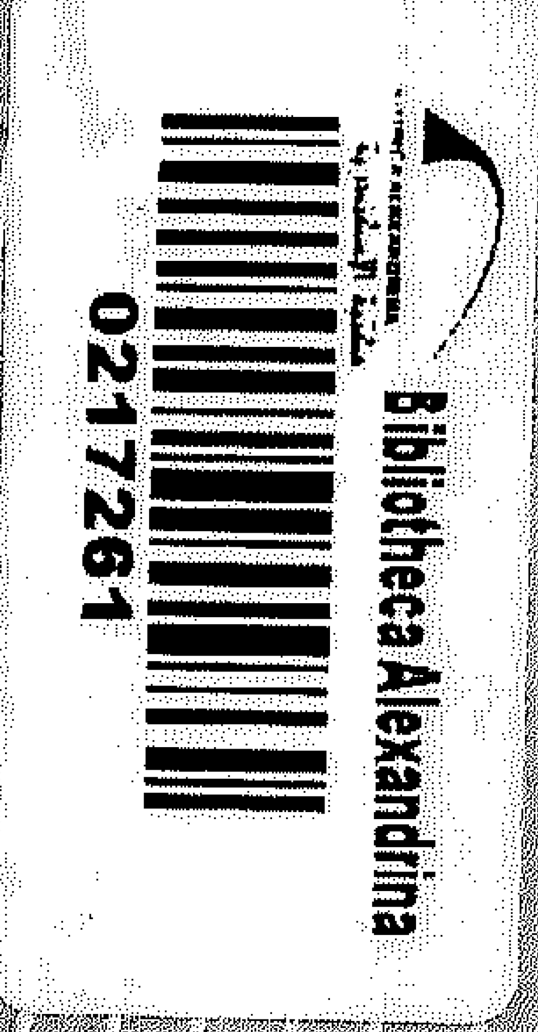
المخططات الإستعمارية لمكافحة



اهداءات ٢٠٠١

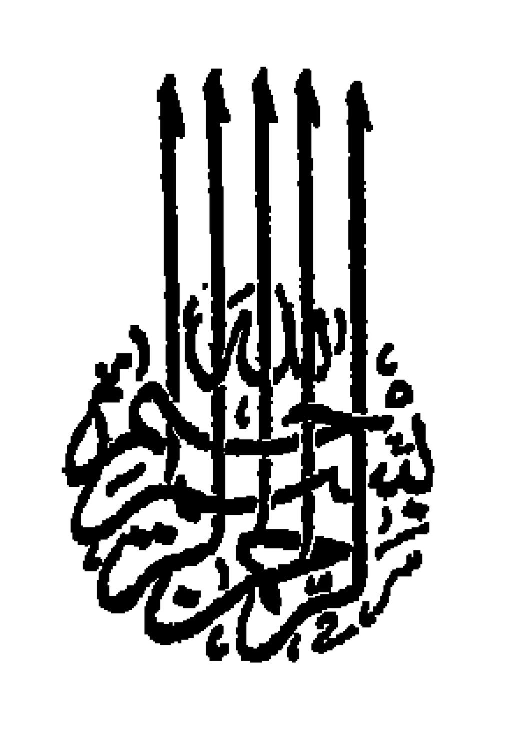
ا.د. محمود دياب

جراح بالمستشفى الملكي المصري

محمد محمود الصواف

المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام

دار الاعتصام



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز

١ – ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون . والذين كفروا الى جهنم يحشرون .

٢ – ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون .

٣ – قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم مـا قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين .

٤ – وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير .

٥ – وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير .

« سورة الانفال »

بهذه الآيات الخمس المباركات نستفتح هذا الكتاب وبها نخاطب خصوم الاسلام من المشركين والكفار في كل مكان وهي في بيانها المشرق . غنية عن البيان . وكفى بالله شهيداً . وهو حسبنا ونعم الوكيل نعـم المولى ونعم النصير وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

محمد محمود الصواف

تقديم

بقلم الأستاذ الكبير الشيخ علي الطنطاوي

عرفت أخي الصواف في مصر سنة ١٩٤٥ م . وكنت قد ذهبت اليها بعد غيبة عنها امتدت سبع عشرة سنة . وحضرت (حفلة) اقامها لي ولمن جاء معي الاستاذ الشيخ حسن البنا رحمه الله ، المرشد العام للاخوان المسلمين ومجدد الاسلام في هذا العصر ، وكانت قد جمعتنا (دار العلوم) سنة ١٩٢٧ م ، فما نسي وهو في أوج مجده رفيق صباه ، وتفضل فاقام له هذه الحفلة .

وكان ممن خطب فيها شاب جسيم وسيم ، بعمامة شامية لا تشبه عمائم المشايخ في مصر ، وكان يهدر في خطبته ويقذف بكلماتها متدافعة متلاطمة ، كأنها النهر المزبد الجياش ، وقد تورد من فرط الحماسة وجهه ، وتقاطر عرقه فسألت عنه فوصفوه لي باعجاب . وعرفوه بفخر . واذا هو طالب موصلي يدرس في الازهر اسمه محمد محمود الصواف ، وتقصيت خبره فعلمت أنه اعدى بحماسته من كان حوله في الازهر ، من مدرسين وطلاب وبث فيهم من شبابه روح الشباب ، ثم اتصل بالشيخ المرشد العام رحمة الله عليه فكان من أوثق الشبان صلة به وأدناهم منزلة من قلبه .

ورجعت من تلك السفرة الى الشام وسمعت انه اكمل دراسته ورجع الى العراق ولكن لم القه في تلك السنوات الا في زياراته لسورية فكنت اسمع منه من اخبار النهضة الاسلامية التي احدثها في العراق ، مثل الذي كنت اسمعه عنه ، الى ان كان المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في القدس سنة ١٩٥٣ م .

وكانت الدعوة الى هذا المؤتمر من جمعية انقاذ فلسطين في بغداد وبطاقاتها مذيلة باسم (أمجد الزهاوي) و (محمد محمود الصواف)، ونفقات المؤتمر على هذه الجمعية وعلمت ان هذه الجمعية ثمرة من ثمرات نشاط الصواف، وانها قد امدت مجاهدي فلسطين بالمال وبالسلاح، وبعثت اليهم بالمجاهدين الذين دربتهم على القتال واعدتهم له.

والشيخ أمجد الزهاوي عالم العراق، وهو بركة العصر. ما أعرف مثله في اهتمامه بامور المسلمين وحمله المشاق في سبيل القضية الاسلامية، على علو سنه وكثرة ماله. وانه كان يستطيع لو شاء ان يقضي شيخوخته في راحة ودعة، ولكنه آثر الجهاد على القعود، وانفاق المال على الدعوة على انفاقه في المتعة والرفاهية.

ومن الحق أن اقرر ان للاخ الصواف عملا كبيرا في نشاط الشيخ وجهاده، فلقد كان مد الله في عمره – معتزلا – منصرفا الى العلم والتعليم، أمضى في ذلك شبابه، فلما اتصل به الصواف، كان للشيخ في شيخوخته شباب، كان يعجز عن مجاراته فيه اقوياء الشبان.

وانعقد المؤتمر في القدس، وكان الصواف لولبه ومحركه لا يفتر ولا يستريح.

ثم كان من ثمراته أن أوفد وفداً يطوف العالم الإسلامي، يؤسس المكاتب لنصرة فلسطين ومساعدتها وامدادها بالمال، وكان الوفد مؤلفا من الشيخ أمجد والصواف وأنا، وقد اضطرت الصواف ظروف الدعوة ان يعود من كراجي الى بغداد ومشينا نحن الى الهند والملايا واندونيسيا ومن أحب أن يعرف طرفا مما صنعنا فليقرأ مقدمة كتابي (في اندونيسيا). وقد صنعنا بحمد الله كثيراً لفلسطين وان كنا (والحمد لله مرة اخرى) قد قررنا الا نستلم شيئا من الاموال، وأن نكتفي بالدعوة الى الانفاق. ومن شاء ان ينفق ارسل ما يتبرع به الى مكتب المؤتمر في القدس.

قد بدأنا هذه الرحلة بالسفر من الاردن الى العراق . فوصلنا الرمادة قبيل الفجر ، في ليلة باردة ممطرة. من ليالي كانون ، ذات رياح تلفح الوجوه ، واذا نحن نجد مئات من الشبان قد جفوا فرشهم الدافئة وتركوا بيوتهم المريحة ، وذهبوا في الطرق في هذه الليلة القطيعة ينتظرون الصواف لما سمعوا بقدومه .

ثم ما كنا ندخل بلدا ونحن في الطريق الى بغداد الا وجدنا مئات من امثالهم، في بغداد التي كنت ادرس فيها ، والتي اقمت فيها من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٣٩ ، فما كنت أجد فيها من المتدينين الا طائفة من المشايخ ، وما كان فيها من الجمعيات الا جمعية الشبان المسلمين وما لها من عمل الا انها تقيم كل سنة مهرجانا للمولد ، ثم اذا انقضى نامت الى المولد القادم ، وجمعية الهداية الاسلامية التي كان يقوم عليها الشيخ الطائي ، واشهد ان الطائي كان يتحرق ألماً لحال المسلمين في بغداد يومئذ ، ويعمل كل ما يستطيع ،تعطل الحكومة مجلة (الهداية الاسلامية) فيخرجها باسم (الصراط المستقيم) وكنت اكتب فيها احيانا ، ونجتمع فنتشاكي ونتباكى ولكن لا نقدر على شيء .

فلما عدت مع الصواف ، ودخلت دار جمعية الأخوة الاسلامية ، ووجدت الآلاف من الشبان في دار (الاخوة) وتذكرت الآلاف التي رأيناها في القرى والمدن على الطريق لم أصدق انني في بغداد ، وعرفت مبلغ التوفيق الذي كتبه الله للصواف ، حين حقق هذا كله على يديه .

وللاخ الصواف اثر في كل بلد اسلامي ، وما بلد الا ويعرف من رجال الدعوة فيه ، والعاملين من علمائه، اكثر مما يعرف ابناؤه واشهد انه طالما عرفني بناس من الدمشقيين في دمشق ، اعيش معهم في نصف قرن ، فما عرفتهم حتى جاء هذا (الموصلي) فعرفني بهم .

ولقد جلت معه في كثير من بلاد المسلمين ، فما يكاد يلقى أحداً حتى يخاطبه باسمه ويخوض معه في خاصة امره ، ولا اعرف من أوتي مثل هـــذه

الحافظة للاسماء الا الشيخ البنا رحمه الله والاستاذ سعيد رمضان ، أما أنـا فاعرف الرجل اليوم باسمه،فاذا لقيته بعد يومين نسيت اسمه وتذكرت وجهه ، واما استاذنا الزهاوي حفظه الله ، فينسى الرجل واسمه بعد ساعة واحدة وان كانت له مزايا اخرى ، مزايا أجل واكبر ، لا يتعلق بها واحد منا .

ولما أشيع ان الشيوعيين على عهد قاسم في العراق قتلوا الصواف ، اذعت رثاءه من اذاعة دمشق فلما جئت اقول (رحمه الله) ما طاوعني لساني ، وغلبني البكاء فبكيت وابكيت الملايين من السامعين ، لما للصواف في قلوبهم من الحب ، الحب لله لا للدنيا ، وما لاكثرهم صلة به وما عرفوا وجهه ، وبلغ من ذلك ان زوجتي لما سمعت ان الخبر قد يكون مكذوبا ، نذرت ان تذبح لله كبشا ان تحقق كذبه ، وقد وفت بهذا النذر .

وأخي الصواف كالغمام . ما بلغ بلدا الا أناها الله به الغيث . ولئن احيا الله بفيض الغمام الارض ، وأنبت به الزرع . وأدرّ به الضرع . ففيض قلم الاستاذ . وفيض لسانه يحيي القلوب ، وينشيء الله به انفساً مؤمنة ، وعقولا .

تشرّفه الله كما شرفني بجوار حرمه ، فترك الأثر الحسن في نفوس الشبان في كل مكان . في كلية الشريعة حيث كان يدرس ، وفي المدارس الثانوية والمتوسطة حيث يحاضر ، وفي الاذاعة حيث يتحدث ، وفي مجالسه في الحرم. وفي عمله في الرابطة وفي جهده في لجنة التوعية وفي مقالاته في الصحف ، وفي الكتب التي اخرجها ، ومنها هذا الكتاب الذي اقدم له .

ولن الخص موضوعه ، فافسد على القارىء متعته به ولكن انبه الى جلال موضوعه ، وعظم خطره .

ذلك ان الاسلام ابتلي باعداء كثيرين على مرّ الزمان ، وحاقت به شدائد صعاب ، من يوم الردّة ، الى ايام الانقسام والحروب ، الى نكبة هولاكو والمغول ، الى هجمات الصليبيين الى مفاسد الباطنية السفاحين ، والقرامطة الملحدين .

عشرات وعشرات من النكبات . ولكنها كلها دون ما يواجه الاسلام ، في هذه الايام .

هل ان الاسلام يواجه اليوم حربا منظمة ، خططت لها عقول كبيرة جدا ، شريرة جدا ، وصرفت عليها أموال كثيرة جدا ، وقامت وراءها توجهها وتمدّها وتنصرها ، قوى ضخمة جدا .

وكثير منا مع ذلك ، من علمائنا وزعمائنا ؛ من الدعاة الى الاسلام لا يعرف ما يخطط لحربنا ، لذلك تراهم يشتغلون بالفروع دون الاصول . يعملون هادئين مطمئنين لا يدرون أنهم حيال حرب حقيقية ، حرب مهولة مخيفة ، يختلفون فيما لا يستوجب الاختلاف . والأعداء اعداء الاسلام متفقون عليهم جميعا ، ينامون آمنين والاعداء ساهرون يعملون على هدم دينهم . واخـذ اولادهم وبناتهم ، وتبديل اعرافهم وعاداتهم .

لذلك كان من اوجب الواجبات على من يدعو إلى الله — ان يعرف المسلمين بهاتيك المخططات — ليحاربوها بمثلها ، ولذلك كان هذا الكتاب واحدا من الكتب التي ينبغي الا تخلو منها مكتبة مسلم .

وقد عرف القراء بحمد الله منزلة هذا الكتاب فكثر الطلب له ، والاقبال عليه ، حتى نفدت نسخه ، واعيد طبعه وهذه طبعة جديدة ، اسأل الله ان ينفع بها ويجزل الثواب لمؤلف الكتاب .

وبعد فان هذا الكتاب لا يحتاج الى مقدمة ، والصواف لا يعوزه تعريف ولكنه احب ان يشرفني فيجعل لي كلمة في اول هذا الكتاب .

وليست هذه الكلمة مقدمة ، وليست ترجمة للمؤلف استقصي فيها اخباره فاخباره اكبر من ان تتسع لها كلمة ولعل الله يحقق من الخير على يديه فيما يأتي من الايام اكثر مما حقق على يديه فيما مضى، وان يجعله ويجعلنا ممن يبتغي بعمله وجهه ، وان يكثر في الناس من انصار الحق ، وان يرزقهم النصر على الباطل واهله .

مكة المكرمة ، غرة رجب ١٣٨٤

علي الطنطاوي

مقدمة الطبعة الثالثة

أحمد الله تبارك وتعالى بجميع محامده ، وأثنى عليه فى بادئ الأمر وخاتمه ، وحمدُ الله عز وجل فاتحة كل خير وتمام كل نعمة .. نحمده حمد الشاكرين حمداً طاهراً ، طيباً مباركاً فيه ، ونصلى ونسلم على سيد العالمين ، وأكمل المرسلين ، وإمام المتقين ، سيدنا محمد المبعوث رحمة للناس أجمعين ، وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين ، ومن سلك سبيلهم ، ونهج نهجهم إلى يوم الدين . وبعد ..

فإلى القراء الكرام أقدم هذا الكتاب « المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام » فى طبعته الثالثة راجياً أن ينفع الله به وأن يتقبل منا أعمالنا ويجعلها خالصة لوجهه الكريم .

وقصة هذا الكتاب ترجع إلى أكثر من ربع قرن من الزمن ، فمنذ أن شرفنى الله وجعلنى جندياً من جنود دعوة الإسلام ، ومنذ أن بدأنا السير كنا نجد العقبات تلو العقبات ، والمشاكل يأخذ بعضها برقاب بعض ، والخصومات

والشائعات الباطلة ، والدس والافتراء ، والتشكيك ، والحرب السافرة حيناً ، والمبطنة أحياناً كثيرة ، من بعض الحكام خاصة ومن عملائهم فى كل مكان .. لقد اعتصمنا بالله سبحانه وتعالى وتوكلنا عليه وصبرنا وصمدنا وتحملنا ما تحملنا ونحن راضون شاكرون لربنا .. إذ نحن على يقين أن بناء الرجال هو القاعدة الأولى لكل دعوة يراد لها البقاء ، وكل دعوة لا تبنى على القواعد الثابتة الرصينة المتينة تكون كنار الهشيم تهب سريعاً وتخمد سريعاً .. والدعوة بناء .. والبناء عمل شاق .. وكل دعوة لا بد لها من الصمود ، والصمود جهد عسير .

لقد أمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاماً فى بناء الرجال ، وعشر سنوات فقط قضاها فى بناء الدولة .. علام يدل هذا الأمر ؟ إن الله الذى يدبر الأمر هو الذى قسم لرسوله هذه القسمة ، وهو الذى وجهه هذا التوجيه ، إن بناء الرجال عملية أشق من بناء القلاع والحصون والدول ، وإن تكوين الأفراد المختارين لحمل الأمانة عملية أصعب مما يتصور الناس ، وأخطر شىء فى الدعوات ، وهى الأساس الذى يجب أن يبدأ به الدعاة كما بدأ به سيد الدعاة وإمامهم الأعظم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

لقد كان الإسلام ثورة وتغييراً تاماً فى نظام الحياة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والعقائدية ، فلم يكن بد أن يتم هذا التغيير المطلق وتلك الثورة العارمة على الكفر والفساد والضلال ، ولم يكن بد من إقامة الأسس البشرية التى يقوم عليها هذا التغيير وتلك الانطلاقة الكبيرة .

ثلاثة عشر عاماً قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى

مكة خرج منها بحفنة من الرجال .. ولكن هذه الحفنة هي التي حملت الأمانة ، وكرست الدعوة ، وأقامت البناء ، وقادت الكتل البشرية التي اندفعت هنا وهناك .. ولو لم تكن هذه القيادة الواعية العظيمة لانتهى كل شيء بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأيام أو أسابيع أو أشهر أو سنين .. ولكنه البناء المحكم الذي وضع لبناته الأولى نبي عظيم ورسول كريم ، ورعاه رب عظيم ، وإله كبير متعال .. فقام وارتفع ، ورسخ ونفع . لقد سلكنا هذا السبيل ، وسرنا في ذات الطريق ، ولكنا عانينا الكثير ، واعترضتنا المشاكل ، وداهمتنا الخطوب ، ووقف الأعداء من كل مكان يهدمون ما نبني ، ويخربون ما نعمر ويتخطفون منا شبابنا بمختلف الوسائل .. بالإغراء وبالعطاء ، وبالوظائف والمناصب ، وبالتهديد والوعيد أحياناً ، وبالتشكيك والتضليل أحياناً أخرى .. ثم انتقلت وتنوعت أساليبهم ، وكنا نلمح مخططات مدروسة وطرقاً شيطانية مختلفة توضع لحربنا وحرب دعوتنا ، وتسلط نيرانها الملتهبة على شبابنا وشاباتنا المؤمنات ، وعلى القادة بالذات .. إذ تصب عليهم ناراً حامية ، وترميهم بشرر كالقصر ، وتقذفهم بأضخم التهم والقذائف الجهنمية .. ولكنهم بفضل ربهم صامدون صابرون مبغي عليهم ولكنهم منصورون..لقد فكرت ملياً في مخططات الأعداء ، واستقصيتها من تجاربي وحياتي في الدعوة فخرجت منها بهذا الكتاب « المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام » وطبعت منه الطبعة الأولى قبل خمسة عشر عاماً من الزمن في مكة المكرمة .. رجاء أن ينتبه إخواني وأبنائي إلى مخططات الأعداء فيتجنبوها ويحاربوها .. والطبيب

الحاذق عليه أن يشخص ويعرف الداء قبل أن يصف الدواء ..
ونحن يجب أن نعرف نوايا ومخططات أعدائنا الكفرة الفجرة
لنكون منها على حذر ، ونقضى عليها قبل أن تقضى علينا ..
ثم طبعناه طبعة ثانية فى بيروت فنفدت بسرعة وتلقى المسلمون
هذا الكتاب بالقبول .. ولقد ترجم إلى اللغة الفارسية فى إيران ..
ترجمه فضيلة السيد جواد الهشترودى من علماء إيران ، وطبع
الكتاب أكثر من خمس طبعات فى خلال بضع سنوات ولقى
المترجم عنتاً وإرهاقاً وسجن وأوذى من أجله جزاه الله خيراً ..

وهأنذا أقدمه فى طبعته الثالثة من غير أن أبدل فيه
شيئاً أو أغيره .. لقد أبقيته كما هو ليحتفظ بقيمته التاريخية
وأنا أعلم أنه قد جدت أمور ، وظهرت مخططات كان يجب
أن أذكرها وأشير إليها ، ولكنها فى الواقع ترجع إلى الأسس
والقواعد العامة التى وضعتها فى كتابى هذا .. راجياً من شباب
الدعوة أن يقرأ هذا الكتاب بإمعان وهدوء ليرى ما يضعه
الأعداء فى طريقه من جلاميد الصخر المحرقة .. ولكنها بفضل
الله ستحرق الأعداء الألداء .. ويبقى الإسلام وينتشر وينتصر
بإذن الله ، وتظهر آيات هذا الدين فى آفاق الدنيا حتى يقر
الناس ويعترفوا أنه الحق وما دونه الباطل .. وصدق الله العظيم
الكريم إذ يقول : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى
يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

والحمد لله رب العالمين .. وصلى الله تعالى على سيدنا
محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .

محمد محمود الصواف

مكة المكرمة { ٢٠ صفر الخير سنة ١٣٩٩
١٨ يناير سنة ١٩٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد :

أصل هذا الكتاب محاضرة عامة القيتها بقاعة المحاضرات للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة وأتم التسليم . وقد حضرها طلاب الجامعة واساتذتها وجمع كبير من رجال المدينة وشبابها المثقف .

وقد دعاني فضيلة الاخ الكريم العلامة المفضال الشيخ عبد العزيز بن باز نائب رئيس الجامعة الاسلامية الى إلقاء محاضرتين في موسم الجامعة الثقافي ، حدد لي موضوع إحداهما وترك موضوع الاخرى لاختياري .

وقد اختار ان أحاضر عن موضوع التشريع الاسلامي باعتباري أستاذا لهذه المادة بكلية الشريعة بمكة المكرمة مع مادة التفسير . لأعطي فكرة شاملة عن هذه المادة من العلوم الاسلامية الحديثة .

ولما ترك الاختيار لي في موضوع المحاضرة الثانية ، فقد عن لي أن اكتب شيئاً من مخططات المبشرين والمستشرقين لمكافحة الاسلام ومحاربة أهله وهؤلاء هم رسل الاستعمار وطلائع الفتح الفكري والسياسي لديار الاسلام والمسلمين .

وبدأت افكر واكتب واذا بالموضوع يجرني الى اكداس ومخلفات من هذه

المؤامرات والمخططات المختلفة الوجوه والاشكال والالوان . فكتبت ما وفقني الله اليه ، وهداني عليه وما ساعدني وقتي على كتابته وتدوينه .

وفي شعبان من عام ١٣٨٣ هـ اجتمع المجلس الاستشاري الاعلى للجامعة الاسلامية وأنا عضو فيه ، وبعد انتهاء جلسات المجلس دعت الجامعة لحضور هـذه المحاضرة وكانت بعنوان (المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام) وفي وقتها المحدد ألقيت المحاضرة وكانت بفضل الله موفقة الى حد لا بأس به بحيث طالبني العديد من الحاضرين . وعلى رأسهم سماحة نائب رئيس الجامعة بطبع هذه المحاضرة ، كما استعدت الجامعة لطبعها وتوزيعها على نفقتها الخاصة ، ولكنني استمهلتهم ورجوتهم أن يسمحوا لي بتكميل هذه المحاضرة وإخراجها في كتاب مستقل يفي بهذا الموضوع الخطير ، ويعطيه بعض ما يستحق من العناية والاهتمام ، لينير السبيل أمام الكثير من شباب اليوم الذين استهوتهم حضارة الغرب . ومدنية الغرب . وغفلوا عن مؤامرات الغرب والشرق ومخططاتهم التي تهدف إلى تدميرهم وخراب بلادهم وديارهم . فوافقوا على هذه الفكرة واستحسنوها واستعد سماحة نائب رئيس الجامعة الاسلامية لشراء ألفي نسخة من هذا الكتاب بعد طبعه لتقوم الجامعة بتوزيعه للناس وعلى طلابها بصـورة خاصة .

وأخيرا كتبت لي الجامعة كما أبرقت لي طالبة صورة المحاضرة لاخراجها مع بقية محاضرات الموسم في كتاب مستقل باسم الجامعة الاسلامية .

ونزولا عند رغبة سماحة أخي الداعي الى الله على بصيرة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز فقد أرسلت لهم الطرف الاول من المحاضرة ، أما أطرافهـا الباقية وموضوعاتها الشاملة ، فقد اجتمعت كلها فكانت هذا الكتاب الذي بين يدي القراء الكرام . وأرجو الله ، أن اكون قد وفقت فيما قصدت اليه ، من

تنبيه المسلمين الى الأخطار التي تحيق بهم . والاعداء الذين يحيطون بهم ، من كل جانب . والمؤامرات التي تدبر ضدهم. والدسائس التي تحاك لتفرق كلمتهم وتشتت شملهم ، والمخططات التي توضع لتدميرهم ، ومكافحة دينهم وعقيدتهم وهدم ديارهم ، وأرجو الله تبارك وتعالى أن ينفع به ويجعله خالصا لوجهه الكريم انه نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين .

محمد محمود الصواف

مكة المكرمة

المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام

منذ ألف سنة او تزيد ، واليهود والنصارى (الافرنج) والمجوس والذين اشركوا يكيدون للاسلام ، ويضعون المخططات ويدبرون المؤامرات . ويجمعون التجمعات العالمية . لكسر شوكة الاسلام ومكافحة دعوته ودحر المسلمين في كل ميدان . والاسلام هو الاسلام ، لم ينكسر له جيش . ولم تنكس له راية . ولم ينهزم في معركة . طوال تلك الحقب الطويلة من الازمان . بل كان كالجبل الأشم لم ينتطح به قبيل او عشير الا تحطم . وكان المسلمون على بصيرة من دينهم . وعلى صلة وثيقة بربهم . يجاهدون في سبيله لاعلاء كلمة الله . لا تأخذهم في الله لومة لائم . اخوة الاسلام تجمعهم . وراياته ترفرف فوق رؤسهم . وهم يد على من سواهم . لا تفرقهم عصبية . ولا تباعد بينهم القبلية . ولا يعرفون معنى للقومية الا انها عصبية جاهلية قد قضى عليها الاسلام. وانصهروا جميعاً في بوتقته الربانية حتى كانوا كالجسد الواحد . وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً . يقاتل التركي الى جانب العربي ، ويجاهد الفارسي الى جانب الكردي.ويقف الجيش المسلم وهو خليط من اجناس وقوميات وشعوب وقبائل مختلفة . وهو كالقلعة الحصينة نصبت لحماية الاسلام وصمدت للدفاع عن عقيدتها ، ودينها . ورسالتها الخالدة التي باعت انفسها لها رخيصة في سبيل الله رب هذه الرسالة . وباعث رسولها ونبيها الى العالمين . ولم يشعر أحد من افراد هذا الجيش بغضاضة . ولم يحس العربي بأي فارق بينه وبين أخيه المسلم التركي أو المسلم الفارسي اذ أن أكرمهم عند الله اتقاهم . واقربهم الى القيادة ونفوس الجند هو أشجعهم وأكثرهم استبسالا وثباتا في القتال . ومرة يسير هذا الجيش المظفر جيش الاسلام والقرآن . تحت قيادة عربية واخرى تحت

قيادة تركية . وثالثة تحت قيادة كردية . ولم يحس او يشعر احد من الجند بغضاضة او انتقاص . ما دام القائد مسلما يجاهد في سبيل اعلاء كلمة الله ولا يفرق بين احد من المؤمنين . وقد سارت جيوشهم بهذه الوحدة وهذا الانسجام من نصر الى نصر ومن فوز الى فوز حتى رفعوا شأن هذه الامة الاسلامية التي كانت بحق خير أمة أخرجت للناس . واقسط امة ظهرت بين الناس وأعدل أمه حكمت بين الناس . وارحم أمة فتحت قلوب الناس قبل ان تفتح ديارهم. وشهد لها العدو والصديق . والقريب والبعيد بهذه الخيرية التي امتازت بها . وبتلك المكانة السامية التي بلغتها . وحتى اصبح اعداؤها على ايمان بأن هذه الامة لا تغلب ولن تقهر وان الله معها يحميها وينصرها ويؤيدها .

بدايـــة المؤامـــرة

نظر الاعداء الى حربهم معنا بالسيف . فرأوا انها حرب خاسرة . أكلت شبابهم . وأفنت رجالهم . وقضت على أحلامهم وآمالهم . وأخيرا جاء صلاح الدين الايوبي عليه الرحمة والرضوان . وهو البطل الكردي المسلم . فحطم آخر أمل من آمالهم . وطردهم من ديار الاسلام شر طردة وأصلح ما كانوا قد افسدوه . وبنى ما كانوا قد هدموه وأعاد للاسلام شبابه ومجده . وعادت اليه الهيبة والصولة . والسلطان . ورجع كما كان نديا طريا . قويا . محكم البنيان . متين الاركان .

أما الصليبيون الغادرون . وأعداء الاسلام في كل مكان فكادت الحسرات والزفرات تقطع نياط قلوبهم السوداء التي ران عليها والتي أكلها الحقد والحسد والغيظ والحنق على الاسلام . وأعمى ابصارها عن نوره الوضاح . وأصم آذانها عن سماع ندائه الحق وصراطه المستقيم .

نظر هؤلاء الأعداء الى حربهم معنا بالسيف فرأوها حربا خاسرة لا طائل

نحتها . وان دخولهم معنا في معارك حربية دموية لا يكسبهم الا ذماً وخسارة . والا انكسارا ونكالا .

وقد جربوا الحرب معنا وذاقوا المرارات في معاركهم وعادوا بالخسارات الفاضحة والساحقة معا . ورأوا وشهدوا من بطولات رجالنا وشبابنا . وقـوة الشكيمة في جيوشنا المظفرة.ما جعلهم يتركون المعارك الحربيةبالسيف ويفكرون في طرق اخرى . لعلها تكون اجدى في التغلب علينا . وأقرب الى نصرهم على أمتنا الخالدة .

ونظر أول ما نظر قادتهم وكبراؤهم وعقلاؤهم الاذكياء . نظروا أول ما نظروا الى سر العظمة في هذه الامة الاسلامية . وما هي منابع القوة الدافعة التي اخرجت العرب من جزيرتهم الجدبة القاحلة . وجمعت معهم وتحت لوائهم أمما وشعوبا اخرى . حتى أصبحوا جميعا أمة واحدة متراصة متماسكة . متعاونة متحابة معتصمة بحبل متين . وآوية الى ركن شديد ؟؟

وما هو السر الذي جمع الأشتات المتفرقة . والأوزاع المتمزقة . حتى بنى منهم جيشا لا يقهر . وجدارا لا يصهر . وأمة لا تغلب . وشعباً لايهاب الموت بل يتمناه ويسعى اليه حثيثا . كانه يطلب الشهد والطلى . ؟ ؟

وما هو السر الذي اخرج العرب من ضيق الجزيرة . ومن ضيق الحياة فيها ، وشظف العيش . ومن ضيق التفكير في مسائلها ومصالحها . ومن ضيق التناحر على سيادتها والتكالب على حطامها القليل . وملكها الضئيل وعيشها الذليل ؟؟؟

ما السر الذى أخرجهم من كل هذا وجعلهم لا يفكرون في الشعوب والقبائل . ولا ينظرون الى البطون والفصائل . ولا في ربيعة ومضر . بل ولا في عدنان وقحطان . بل أخذوا يفكرون في العالم وفي سعادته وشقائه . ويحلمون بغزوه في عقائدهم ودينهم الجديد . وقد جمعوا الشعوب في شعب واحد . ووحدوا الاجناس في جنس واحد . هو الشعب الاسلامي والجنس الاسلامي.

فما هو السر الذي يكمن وراء العرب الذين صنعوا هذا الصنيع الذي لم يصنعه أحد قبلهم ولم يستطعه أحد بعدهم في العالم كله ؟؟؟

فكر هؤلاء الأعداء الألداء من الفرنج فى سر نهضتنا . وأسباب انطلاقتنا . وقواعد وحدتنا واجتماعنا . وأسرار بطولاتنا وتضحياتنا .

فكروا وقدروا فقتلوا كيف قدروا . ثم قتلوا كيف قدروا لقد وضعوا أيديهم على السر . واجمعوا على ان سر نهضتنا انما يكمن وراء ديننا . وأن الاسلام هو مبعث وحدتنا وقوتنا ، وانطلاقنا فى الحياة ثم اجمعوا أمرهم ودبروا كيدهم وقالوا : تعالوا نهدم بنيانهم بهدم اسلامهم . فنحاربه فى نفوسهم . ونضعفه في قلوبهم ، وننفرهم منه . ونبعدهم عنه ونشغلهم بمبادىء اخرى . ونفرق كلمتهم ، ونشتت شملهم ، ونرجعهم كما كانوا قبل الاسلام أمما وشعوبا ، وقبائل ، وعشائر ، وحمائل ، وفصائل ، وعملنا هذا كفيل بسيطرتنا عليهم واستيلائنا على ديارهم ، وانتصارنا على قواعدهم وحصونهم . ومن هنا يؤتون ، ولا يمكن ان ننتصر عليهم ، أو نتغلب عليهم فى معركة مهما قويت ومهما أعددنا لها من عدة وعدد ، ما داموا ملتفين حول شريعتهم ، وهى سر عظمتهم فعلينا بهدمها . وهدمها كفيل بهدم بنيان المسلمين فى كل مكان .

أجمعوا أمرهم على هذا وتآمروا على الاسلام ثم انطلقوا يضعون المخططات ويرسمون الخطط لتنفيذ ما اتفقوا عليه ومن هذه المخططات التى اجمعوا عليها وانتصروا بها :

١ — فتح المدارس الاجنبية فى ديار المسلمين وتكثيرها وتنويعها . وارسال القسس والرهبان وحملة الزنانير والصلبان . ليشرفوا على هذه المدارس ويربوا أجيال المسلمين على أعينهم . ففتحوا المدارس التى كمن التبشير والاستعمار فى طيات كتبها المسمومة وفى صدور اساتذتها الحاقدين على الاسلام ، والذين وهبوا انفسهم لمكافحة الاسلام ودحر المسلمين .

٢ – ومنها ارسال البعوث وتكثير الارساليات التبشيرية لتنشر مكامن التبشير في كل مكان، وتشكك الشباب المسلم في دينه وعقيدته . وتحيطه بسياج من أوهامها وضلالاتها ومن وسائلهم فتح المستشفيات والمستوصفات ودور التمريض لنفس الغرض الخبيث .

٣ – ومنها ارسال اكبر قدر ممكن من شباب المسلمين وابنائهم الى ديار الغرب لينهلوا من ثقافته المسمومة هناك ويعودوا الى ديارهم وقد ودعوا هناك دينهم . وخلقهم . ومبادئهم . ورجعوا يحملون هم الامانة . أمانة التبشير وحرب رسالة الاسلام .

٤ – ومنها نشر الكتب المفسدة العابثة المضللة التي تشغل الشباب عن ثقافتهم الاصيلة وتلهيهم بالعبث والخيال الماجن الذى سيجرهم الى المجون والجنون .

٥ – ومن هذه المخططات السيطرة قدر المستطاع على برامج التعليم في الديار الاسلامية وتوجيه التعليم توجيها علمانيا لا يؤمن بدين ولا يصدق برسول وينطلق نحو الالحاد والفساد .

٦ – ومنها نشر المجلات الخليعة والسينمات المسمومة، والتلفزيون والمشحونة بما يثير غرائز الشباب . ويشغلهم بالتفكير في اشباع غرائزهم . عن التفكير في مصالح أمتهم ومستقبل دينهم وعقيدتهم . وحرية اوطانهم وأمتهم .

٧ – ومنها العمل المتواصل لافساد شبابنا ورجالنا بزجاجة الخمرة . وفتاة الهوى . والصورة الخليعة والقصة الماجنة وارسال القينات والفاتنات أفواجا أفواجا ، الى ديار المسلمين ليفسدن باسم الفن ويهدمن باسم الحرية ويخربن باسم الترفيه .

٨ – ومنها فتح نوافذ للحضارة الغربية والثقافة الغربية وتمجيدها . والدعاية لها . لينظر منها شباب الاسلام فيفتن بمباهجها . وتأخذه مظاهرها الخلابة الكاذبة . فيبدأ يأخذ بثقافتها ويعجب بحضارتها ويحتقر بعد ذلك امته وبلاده

لسوء حاضرها الماثل أمام عينيه . وقد جهل هو ماضيها.وفتن بحاضر الغربيين . حتى أصبح قلبه معهم هناك وان كان جسمه هنا ، وروحه مع الغرب وان عاش في الشرق وسكن الشرق . وولد فيه .

٩ — ومنها السيطرة الاقتصادية والتحكم في الاسواق ، وامتصاص أكبر قدر ممكن من ثروة البلاد الاسلامية . واشاعة الفقر والبطالة بين المسلمين وهم أي المسلمين ان اشتغلوا بدنياهم ، لمعالجة عوزهم ، وسد حاجاتهم . وفقرهم نسوا دينهم ، واشغلوا عنه وأهمتهم أنفسهم وأهلوهم واحتاجوا الى الغرب يستجدونه ويستقرضون منه ويسترضونه .

١٠ —ومنها تمجيدواحياء الحضارات القديمة كالحضارة الآشورية، والحضارة الفينيقية والحضارة الفرعونية وتسليط الاضواء عليها . لينبهر بها الشباب المسلم وينسى حضارته الاسلامية الاصيلة وقد طمسوا عنه أخبارها ، وشوهوا لــه حقائقها . وفتحوا عينيه على حضارتهم وأمجادهم ومدنيتهم الحاضرة .

١١ — ومنها العمل على الغاء المحاكم الشرعية في ديار المسلمين والغاء دور الافتاء . والسيطرة على اوقاف المسلمين . ونشر القونين الوضعية ودراستها حتى انشئت كليات للحقوق في أكثر البلاد الاسلامية تدرس القانون الروماني والقانون الفرنسي وغيرهما من القوانين الاجنبية ولا تدرس الشريعة الاسلامية الا في زاوية من زواياها وهي في الاحوال الشخصية فقط أما حقائق الشريعة الإسلامية وتشريعاتها المختلفة فلا نعلم عنها شيئا ونجهل حتى ابسط مبادئها وأحكامها .

١٢ — ومنها اضعاف سلطان الاسلام في نفوس المسلمين ويقوم هذا الاسلوب على السخرية بعلماء الدين وتصويرهم بصورة الجهلاء الجامدين تارة، والمنافقين المستغلين لسلطان وظائفهم ونفوذهم تارة اخرى . وبث الاشاعات ونشر الاتهامات المختلفة حولهم لتقليص نفوذهم وسيطرتهم على نفوس المسلمين . ولقد نجح الاعداء الى حد كبير في الحقبة الاخيرة من هذا القرن حتى شوهوا سمعة العلماء الذين يؤخذ عنهم الدين . وتكتسب منهم الدعوة، ويقتبس منهم

نور الاسلام وحقائقه حتى زهدوا الناس فى طلب العلم الديني واصبح العالم الاسلامي اليوم لا يشكوا نقصا فى شيء كما يشكوا النقص فى علماء الديـــن العاملين فى جميع ديار الاسلام .

١٣ – ومن هذه المخططات تشويه حقائق الاسلام ووضع الاسلام فى قفص الاتهام . والتركيز على القرآن الكريم وتوجيه الهجوم عليه . وترجمته لغرض محاربته .

١٤ – ومنها توجيه الادب والادباء والصحافة وجهة علمانية لادينيةوالسيطرة على دور النشر والتوزيع وانشاء دور ضخمة للطباعة والنشر والتأليف تتولى نشر ما يريده الاستعمار ورجاله فى اوساط المسلمين وقد انشئت فعلا فى بعض العواصم الاسلامية كثير من هذه الدور .

١٥ – ومنها تشويه التاريخ الاسلامى والتشكيك فى حوادثه وابراز الجوانب الضعيفة او المؤسفة فيه كما فعل جرجي زيدان حيث اخذ مثالب في التاريخ الاسلامى ونشرها فى صورة روايات وكما فعل كثير من المستشرقين فى هذا الميدان حتى اشبعوا شبابنا حقدا على الاسلام وكرهوهم ونفروهم من تراثهم وتاريخهم .

١٦ – ومن هذه المخططات انشاء المذاهب والمبادىء الهدامة كالماسونية والبهائية والقاديانية وغيرها واشغال المسلمين بها واخراجهم من دينهم بواسطتها وانشاء الاحزاب السياسية المتناحرة والمختلفة المبادىء والاتجاهات بزعامـــات فارغة يوجهها رجال من الشرق والغرب وهم جميعا اعداء الاسلام .

١٧ – ومنها العمل على الغاء الخلافة الاسلامية وتفريق كلمة المسلمين وجعلهم امماً وشعوبا مختلفة بعد ان كانوا تحت لواء الخلافة امة واحدة .

١٨ – ومنها العمل على افساد المرأة المسلمة ثم اخراجها باسم الثقافة والحرية والديمقراطية سافرة ومتبرجة وجعلها أحبولة الفساد فى المجتمعات الاسلامية ومن ثم تعطيل الاسرة وهدم كيان المجتمع الاسلامى .

١٩ — ومنها محاربة اللغة العربية الاصيلة والدعوة الى العامية أو الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية لقطع الصلة بين ماضي المسلمين وحاضرهم . وضياع كنوزهم العلمية التي تركها سلفهم الصالح وكانوا بها خير أمة اخرجت للناس .

٢٠ — اتفاق الاستعمار والصهيونية العالمية على مكافحة الاسلام ووضع قدم للاستعمار في فلسطين قلب البلاد الاسلامية بواسطة اليهود وباسم العطف على قضاياهم وشعبهم المنكوب وتحويل قضية فلسطين من قضية اسلامية مقدسة الى قضية قومية لا ارتباط لها بالاسلام . وحربهم لنا في القدس انما هي امتداد للحروب الصليبية .

آثارة النعرات القومية

٢١ — ومن هذه المخططات وأهمها واخطرها احياء العاطفة القومية واثارة النعرات القومية بين المسلمين . تلك العاطفة التي قضى عليها الاسلام وأماتها منذ العهد الاول من الرسالة المحمدية الخالدة ومنذ ان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من الطاعة . وفارق الجماعة . فمات . مات ميتة جاهلية . ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية او يدعو الى عصبية . أو ينصر عصبية . فقتل فقتلته جاهلية . ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها . ولا يفي بعهد ذي عهدها فليس مني ولست منه . رواه مسلم والنسائي عن ابي هريرة رضى الله عنه .

أمات الاسلام جميع أصناف هذه النعرات والعصبيات . واحيا اخوة الاسلام وربط الناس برباط الايمان . وجمعهم على دعوة القرآن أكرمهم عند الله اتقاهم . واقربهم الى الله اصلحهم .

ولكن الغرب العدو قرر احياء هذه العصبيات وبذل الجهد والمال . وبث

الرجال من وكلائه في ديار الاسلام حتى يعملوا على نشر هذه العاطفة القومية التي من شأنها ان تبعد المسلم العربي عن اخيه المسلم الاعجمي . وتنشر بينهم هذه العصبية التي نهى عنها الرسول صلى الله عليه وسلم وحاربها الاسلام : « ليس منا من دعا الى عصبية » وتعيد هذه الفكرة عصر الجاهلية الاول عصر الانحطاط والقبلية وهذه الفكرةوحدهاقمينة بتفتيتوحدةالمسلمين.وكافيةلتمزيق شملهم . وتفريق كلمتهم . واشاعة العداوة والبغضاء بينهم . وقد كان للغربيين الصليبيين ما ارادوا . فقد نفذوا مخططهم واشاعوا الفكرة القومية بيننا ونشروا لها المبادىء المختلفة تبعا لاختلاف فكرة القوميات عندهم . وأوهموهم انه لا وحدة للعرب الا في ظل قوميتهم المتحررة . وكذا لبقية الشعوب الاسلامية .

وكل المبادىء التي جاءوا بها . ورسموا لها منهاجا لشبابنا وبعض احزابنا السياسية . لا تصلح اساسا لوحدة العرب . اذ ان دعاة القومية اختلفوا في فكرتهم وانقسموا على انفسهم شيعا واحزابا . وتفرقوا الى فئات مختلفة كل يدعو الى حزبه . وفلسفته الخاصة . بل انهم اختلفوا حتى في تعريف القومية . ولا نجد حتى الان تعريفا للقومية العربيةمتفقا عليه بينالقوميين العرب انفسهم .

وعندما اجتمع مؤتمر أدباء العرب في لبنان . قضى رجال المؤتمر يومين من حياته القصيرة في تعريف القومية العربية وكان فيهم الدكتور طه حسين من كبار الادباء العرب وأخيرا خرجوا على غير وفاق .

والسبب في هذا الخلاف فيما يظهر لنا ناشىء من ان دعاة القومية العربية نادوا بها تقليدا لا ابتكارا ولا ابتداعا . بل هم فيها متأثرون بتيار القوميات الذى اجتاح اوروبا في القر نين الماضيين .

والسبب الثاني : هو عدم احتواء القومية العربية على عناصر الواقعية المطلوبة في كل دعوة تريد البقاء والحياة لنفسها واهم هذه العناصر الحيوية هى . الذاتية والتقدمية . والشمول والعدالة المطلقة . والوضوح الكامل .

عناصـــــر القومـيـــة

والقوميات التي اخذنا عنها وقلدناها تقليداً غير مبصر . هي نفسها مختلفة كل الاختلاف . في تحديد العناصر التي تتألف منها القومية . والاسس التي تقوم عليها . والمـــواد التي يتكون منها بنيان القومية واختلافهم هو : هل العناصر التي تتكون منها القومية هي العرق « الاصل الواحـــد » ؟؟ أم هي اللسان أم هي التاريخ المشترك ؟؟؟ أم هي المصالح المشتركة ؟؟

أم هي الأرض والوطن ؟؟ أم هذه الامور كلها ؟؟

وأريد هنا ان اناقش هذه العناصر الاساسية للقومية عنصراً عنصراً مناقشة هادئة علمية وسوف نخرج بالنتيجة الحتمية وهي : أن جميع هذه العناصر لا تصلح أساساً للترابط الاجتماعي . أو الوحدة السياسية واليكم مناقشتي لها باختصار .

نظريـــة العـــرق

أما نظرية العرق – بكسر العين – والاصل الواحـــد . والقائلة باجتمـــاع الامة ذات الاصل الواحد على قومية واحدة .

اننا نجد القومية الالمانية تقوم على نظرية « العـــرق الآري الممتـــاز »

وفي نفس الوقت نرى العالم الايطالي ماتزيني الذي يلقب بنبي القومية في القرن التاسع عشر . وهو مؤسس القومية الايطالية . نرى هذا الفيلسوف القومي الكبير – بنظر القوميين – نرى هذا الرجل يسخر من النظرية الالمانية التي بنت فلسفتها على اساس العرق الآري الممتاز . ويقول هذا الفيلسوف القومي كما جاء في كتاب « متزيني » لمؤلفه علي أدهم صفحة « ٢٣٠ » يقول :

لا نستطيع ان نجد في بقعة واحدة من بقاع اوروبا شعباً نقياً خالصاً . لم يمتزج بسلالات شعبية أخرى . ففرنسا من الامم الحديثة القوية أهلها مزيج من الالمان والسلافيين والرومان .

وهذه النظرية تنطبق على أكثر الشعوب بما فيها الشعب العربي فانه بعد الفتح الاسلامي . اتصل العرب بالفرس . والروم . والترك وغيرهم من شعوب العالم . واكثر هذه الشعوب دخلت الاسلام . وتصاهرت مع العرب . وتناسلت وتناسبت وحصل بينهم الاختلاط المطلق . حتى اصبحوا شعباً واحداً وأمة واحدة . لا نعرف التفرق القبلي . ولا القومي فاختلط بحكم هذا الامتزاج كثير من الانساب وامتزجت الدماء . فهذا عربي وأمه تركية . وذاك تركي وأمه عربية وآخر فارسي وأخواله من العرب . ولا يجد أحد منهم غضاضة في ذلك فالاسلام لم يجعل الكفاءة في النكاح للعصبية القومية بل جعل الكفاءة في الايمان والتقوى والدين . فالمسلم التركي المؤمن كفء للمسلمة العربية ولو كانت قرشية هاشمية .

والعربي غير المسلم غير كفء للعربية المسلمة فالاسلام يعلو ولا يعلى عليه .

نستخلص من هذا ان نظرية العزق لا تصلح أساسا للترابط اذ لا نجد عرقاً واحداً سليماً لم يختلط بغيره من العروق الاخرى والسلالات الثانية الاخرى .

ورواد المدرسة الالمانية من دعاة القومية اقرب إلى النزعة النازية . والسلالة الممتازة . ويمثلها النشيد العربى المعروف « حسبنا اننا عرب » .

وعند هؤلاء : العرب فوق الجميع بمجرد انهم عرب وكفى . وهؤلاء أقرب إلى النزعة النازية التى كانت تنادي : »المانيا فوق الجميع « . ويكفي أن نعلم أن هتلر زعيم النازية الاول وضع العرب عندما صنف الامم والشعوب في كتابه « كفاحي » على حسب هواه وعصبيته الحادة التى غذى بها الشعب الالماني وأخيراً قاده إلى الدمار والهلاك . بتهوره وغروره . لقد جعل العرب فى الدرجة الثالثة عشرة من درجات الشعوب والامم .

فماذا يقول دعاة القومية العربية بهذا ؟؟؟

فاذا وضعنا نحن العرب انفسنا في الدرجة الاولى وقلنا : العرب فوق الجميع . فماذا يقول الشاب الالماني ؟ وماذا يقول غيره من الشباب القومى ؟؟ ألا

يسخرون منا كما نسخر نحن الآن من عصبية هتلر وغمطه لحق العرب الامجاد ووضعهم في مؤخرة شعوب العالم وهم من هم حضارة وعلماً وتقدماً وفضلا ؟

عنصر اللغة

ويذهب فريق آخر من دعاة القومية العربية إلى أن اللغة هي العنصر الاساسي للوحدة القومية . فالامة التي تتكلم لغة واحدة تربطها بتاريخهم وحدة قومية واحدة . تجمع هذه الامة وتوحد بينها . وترص صفها . وتجمع شتاتها .

وهذه النظرية غير صالحة – بنظرنا – كتلك التي قبلها وغير صحيحة وغير واقعية ايضاً . اذ واقع الحال في كثير من الامم والشعوب يخالف هذه النظرية تماماً . واليكم بعض الامثلة : فبلاد سويسرا يسكنها شعب واحد ولكنه يتكلم ثلاث لغات أصيلات وهن مختلفات كل الاختلاف .

وسكان القارة الهندية يتكلمون باكثر من ثلاثمائة لغة تختلف بعضها عن البعض الآخر اختلافاً اساسياً بحيث لا يستطيع التفاهم احدهم مع الآخر . ولا بد من مترجم بينهم ومع ذلك فسكان الهند شعب واحد وحكومته حكومة واحدة وكذا الحال في الباكستان فاللغات الاصلية فيها خمس لغات عدا اللغات الفرعية . وهي أمة واحدة وشعبها شعب واحد .

كما يصطدم دعاة هذا القول فوق ما ذكرنا . بواقع الامم التي تتكلم اللغة الواحدة وهي شعوب مختلفة اختلافاً كلياً . فامريكا وانكلترا تتكلمان اللغة الانكليزية الواحدة . ذات الاصول والقواعد والاشتقاقات الواحدة ومع ذلك فهما شعبان مختلفان . وأمتان متباينتان فلم تجمع بينهما اللغة الواحدة . ولم تربط بينهما قومية مشتركة لاشتراكهم في اللغة الواحدة .

فدعوى أن اللغة هي العنصر الاساسي للوحدة القومية دعوى باطلة كتلك التي قبلها . ولا تصلح اساساً للترابط بين الاقوام والشعوب ولا يمكن ان تقوم على أساسها فكرة القومية الواحدة .

وسؤال اخير لدعاة هذه الفكرة وهو : ان اللغة الانكليزية اليوم اصبحت لغة عالمية . فهل يا ترى لو تكلم العالم كله هذه اللغة هل . يصبح أمة واحدة ذات قومية واحدة ؟؟؟

الجواب عند اخواننا دعاة القومية !!!

عنصر التاريخ

ولقد حاول دعاة القومية ان يجعلوا التاريخ الواحد بدلا من اللغة الواحدة كعنصر أساسي للقومية .

ويرد على هؤلاء بان التاريخ انما يصنعه الرجال . ويمليه على الزمن الابطال . وانما تصنعه كذلك عوامل مشتركة من عقيدة . او مصلحة أو لغة . وهاته الامور لا تختص بأمة دون أخرى . فقد تشترك أمتان لاشتراك مصالحهما فتسجلان في التاريخ صفحات ضخمة تشغل العديد من صفحات كتب التاريخ. ومع ذلك فهما امتان متباينتان . وإذا انتهت هذه المصالح فلا جامع بينهما . ولا ارتباط بين الشعبين اللذين جمعتهما مصلحة واحدة في فترة من التاريخ . ثم انتهت الفترة وانتهى معها اللقاء لانتهاء تلك المصلحة الآنية .

ففي الحرب العالمية الاولى قاتلت المانيا دول الحلفاء إلى جانب تركيا . وفي الحرب العالمية الثانية اشتركت امريكا وبريطانيا وروسية كذلك في حرب المانية النازية وعند انتهاء الحرب بدأ الصراع بين هذه الدول جميعها بعد انتهاء مصالحها في اللقاء . مع العلم بانها صنعت الغرائب في هذه الحقبة من تاريخ الامم والشعوب . وكان عملها موحداً تاريخياً ولكن التاريخ لم يجمع بينها ولم يكون منها وحدة قومية مشتركة .

رابطة الأرض

ومن دعاة القومية من ينادي برابطة الأرض . فالشعب الذي يلتقي في سكناه

فى ارض واحدة . شعب واحد له قومية واحدة . تجمع بين اواصره . وتوحد بين صفوفه . وتكون منه وحدة بشرية . لها اهداف واحدة تجمعها الارض الواحدة او الوطن الواحد .

ولكن دعاة هذه الفكرة الارضية . والوحدة السكنية يصطدمون بواقع الارض العربية نفسها . فالارض العربية سكنتها شعوب مختلفة . متباينة فى كل شيء . فالآشوريون والفينيقيون والفراعنة سكنوا جميعا الأرض العربية التى نسكنها نحن اليوم . وهم شعوب مختلفة ولهم بقايا بيننا ولكننا لا نشعر ابداً . بما يربطنا . ويشدنا إلى هذه الشعوب . مع انها كانت تسكن ارضنا الّتى نسكنها. ووطننا الذى نعيش عليه . وهو ذو الارض الواسعة الشاسعة الّتى اتسعت لملايين من هؤلاء السكان ولا تتحرك قطرة من دمنا . ولا تقف شعرة فى جسمنا . اذا ذكرت هذه الاقوام الّتى سكنت ارضنا العربية . فلا نشعر بيننا وبينهم بصلة أو رابطة ما . ودعاة هذه الفكرة الارضية يعدون فى نظرنا كما عدهم كثير من دعاة القومية انفسهم وسموهم « قوميين اقليميين » ضاق أفق تفكيرهم فخرج علينا بهذه الفكرة الضيقة الّتى لا تتمشى مع أبسط العقول ولا يستسيغها منطق . ولا يقوم على صحتها برهان . ولا دليل من واقع أو تاريخ .

ويعد القوميون العرب دعاة هذه الفكرة الارضية من ألد أعداء الوطن العربي الواحد . اذ بمقتضى هذه الفكرة يرتبط المصري بالفراعنة . كما يرتبط العراقي بالآشوريين . والسوري بالفينيقيين . وهي فكرة تعادي فكرة الوطن العربي الواحد والقومية العربية الواحدة . لذا فدعاتها من الد اعداء الوطن العربي وهم مدسوسون على القومية العربية بنظر القوميين ودعوتهم باطلة وزائلة لا محالة .

المصالح المشتركة

ومن دعاة القومية . من يجعل المصالح المشتركة . إحدى الاسس الّتى تقوم

عليها فكرة القومية . وهى الرباط الذى يجمع بين اصحاب هذه المصالح ويكون منهم الوحدة القومية الواحدة .

وهذه الفكرة غير منطقية وغير صحيحة أيضاً . ولا يجوز أن تكون المصالح المشتركة وحدها هى أساس القومية والرباط الذى يجمع بين أصحابها .

اذ ان المصالح لا تحديد لها . ولا انتهاء لها كذلك . ولكل بلد مصلحته الذاتية الخاصة . وقد تختلف اختلافاً كلياً مع مصلحة البلد الآخر .

والمصالح المشتركة بين العرب جميعا . قد تكون هى الاخرى مصالح مشتركة بينهم وبين غيرهم من الامم الاخرى . ونرى بعض الامم تجمعها مصالح مشتركة . وهى متباينة كل التباين . كما جمعت هذه المصالح بين امريكا وروسيا لمقاومة النازية ، ولما اجهزوا على المانيا النازية وانتهت هذه المصالح . عادتا دولتين متخاصمتين متناحرتين . كما نرى الدول المشتركة . في ميثاق الحلف الاطلسي تجمعها مصلحة واحدة . وهى مقاومة الشيوعية مع العلم بان دول هذا الميثاق مختلفة كل الاختلاف ومتباينة كل التباين . حتى اجتمعت تركيا وامريكا على صعيد واحد في هذا الحلف ولو انتهت هذه المصالح وانتحرت الشيوعية . ومانت لعادت هذه الدول الى طبيعتها فى الاختلاف . والتباين . والتناحر على المصالح الذاتية الخاصة . فلا يجوز للمصالح المشتركة أن تكون اساسا للقومية . وقد ظهر تباينها واختلافها وعدم صلاحها .

خلاصة المناقشة

ظهر مما تقدم من المناقشة الهادئة لعناصر القومية . أن نظرية العرق — بكسر العين — واللغة الواحدة . والتاريخ والارض . والمصالح المشتركة . كلها لا تصلح أسسا . ولا قواعد . للفكرة القومية . والفكرة القومية نفسها لا تصلح أساسا لوحدة الامة العربية فى هذا الزمن .

والذي يسود الشعوب اليوم ويجمع بينها انما هو العقائد . والحرب حرب عقائدية منذ القدم . وقد انتهى عصر القوميات . والصراع السياسي فى عصرنا الحاضر الذى نعيش فيه ، لا يقوم ولا يتركز على أساس من القوميات . وانما يقوم كما هو مشاهد وملموس على المذاهب السياسية العقائدية . فالشيوعيـــة ليست « قومية » بل تضم اقواما من عدة أجناس . من شرقي أوروبا . وأقصى جنوب آسيا . مع جماعات واحزاب وكتل تدين بالشيوعية وهى في صميم غرب أوروبا الذي يدين بعضه بالرأسمالية كما يدين بالاشتراكية في بعضه الآخر كما يدين بالشيوعية جماعات من العرب جعلوا قبلتهم موسكو . ورائدهم لينين وستالين وغيرهما من أئمة الكفر والضلال .

ولقد اصبحت الشيوعية عقيدة فى نظر اصحابها يؤمنون بها يدافعون عنها. ويحاربون قومهم من اجلها .

وكذلك الحال بالنسبة للرأسمالية فهى ليست « قومية » لانها تضم اقوامـــا مختلفين . وشعوبا متباينة من أوروبا وآسيا . وحتى دول افريقيا التى استقلت حديثا وتخلصت من ربقة الاستعمار الغربى الرأسمالي البغيض . فانها لم تتجه فى نهضتها الى « القومية » .

فان بعضها رأسمالي . وبعضها اشتراكي . وبعضها الآخر وسط بين ذلك . لانه يريد ان يظفر باكبر نصيب واوفر وأكبر قسط . من مساعدات الشيوعية والرأسمالية معا .

فالقومية ما كانت . وسوف لن تكون . يوما من الايام أساسا للوحدة بين الشعوب . خصوصا فى عصرنا هذا الذى اتسم بأنه عصر العقائد والمبادىء وليس هو بعصر القوميات والعصبيات والمبادىء الجنسية أو القبلية .

حاجتنـــا إلى العقيـــدة

العالم العربي اليوم . وهو يموج بالفتن ويضطرم بالمشاكل . وتهتز الارض

من تحت اقدامه . وتتزلزل . وتكاد تهبط به السماء . او تهوي به الريح في مكان سحيق ...

هذا العالم المضطرب في حاجة قصوى الى عقيدة روحية تعمر قلبه . وتجمع شمله . وتوحد صفه . وترجع به كما كان أمة واحدة . تقف امام الاحداث صفا واحدا . تدفع عن نفسها . وشرفها . وكرامتها . وتعود كما كانت خير أمة أخرجت للناس وأقسط أمة . وأبر أمة . وأشجع أمة . وأرجم أمة . وأقوم أمة . والعقيدة هذه ليست غريبة عنها فهي منها واليها ولقد كانت هذه الامة العربية اول من سبق الى اعتناق هذه العقيدة واول من حملها الى الناس . مجاهدا فى سبيلها . وعاملا على نشرها . ومسترخصا كل غال ورخيص فى الدفاع عنها وحمايتها من كيد اعدائها .

وبهذه العقيدة الربانية الروحانية الاسلامية انطلقت الامة انطلاقتها المعهودة. وبها بشرت وعنها اخذت ومنها اقتبست فما عليها الا ان تعود الى سالف عقيدتها . ليعود اليها سالف مجدها . وعزها وسؤددها .

والانسان من حيث هو إنسان . في حاجة منذ نشأته الى عقيدة سليمة تنظم حياته . وتهدىء نفسه ، وتطمئن فؤاده وتريح أعصابه . عقيدة تنبثق منها تصوراته وتبتني عليها حياته . فلا يصدر عنه شيء الا بوحي منها . ولا يقدم على عمل شيء الا اذا كان منسجما مع مبادئها . وقائما على احكامها . وأسسها . وقواعدها .

عقيدة تقدم له التفسير الشامل الكامل لحياته الخاصة والعامة . كما تقدم له التفسير المنطقي . والحقيقي معا . للكون الفسيح من حوله ولعلاقته هو بالكون. وعلاقة هذا الكون العظيم به . وعلاقته هو بالخالق الاعظم . والرب الاكرم عقيدة ترسم له اهدافا عليا . هى اكبر من ذاته وواقعه . وحاضره . وتربطه بذات علوية قدسية لها عليه رقابة مطلقة ولكنها عادلة . وسيطرة شاملة . ولكنها كاملة . وموجهة . ورحيمة . يحبها ويخشاها . ويتقي غضبها ويطلب رضاها .

ويستحي من مواجهتها بالشر والعصيان ويرجو جزاءها الشامل . ويرقب نعيمها الكامل . ويربط حياته كلها بها ويتلقى عنها . وعن وحيها ونبوتها . نظام حياته ومناهج فكره وسلوكه . كما يتلقى عنها شعائر عبادته ومبادىء دينه القويم . ونظام معاملاته . وآدابه وأخلاقه سواء بسواء . فتستقيم حياته . وتنتظم ويكون قد آوى إلى ركن شديد . وعيش رغيد سعيد . ورب قوي عزيز وحليم رشيد وحميد مجيد . وحمل نفسا مطمئنة . راضية . مرضية . يأتيها الخير فتشكر ولا تبطر . ويصيبها الشر فتصبر ولا تكفر .

جوعة الإنسان

والانسانية اليوم بصورة مطلقة . في جوعة روحية عارمة . لا يشدها الطعام ولا يرويها الشراب . ولا يغطيها الكساء ولا تسكن جوعتها . ولا روعتها . كل ضروب المتاع . انها جوعة الى الايمان بقوة اكبر من قوة البشر وعالم اكبر من عالمه المحسوس [1] . ومجال اكبر من الحياة الدنيا الصغيرة الحقيرة التي يعيشها ويتقلب فيها تقلب السليم . ويبكى فيها بكاء الحزين ولا يعرف تفسيرا . ولا تعليلا لحياته المادية التي انغمس فيها حتى اصبح فيها كآلة صماء في اجهزة بكماء عمياء عجفاء .

انها جوعة الى الشريعة التي تحكم ضمير الانسان . وحياة الانسان . جوعة إلى الايمان العميق بإله قوي عظيم وجليل قدير غفور رحيم يتلقى منه شريعة قلبه . وشريعة مجتمعه على السواء . إله واحد لا شريك له يسلم الامر كله اليه ويستريح . ويعلم منه السر والجهر ولا يبيح . ويتوكل عليه ويؤمن به . ويطمئن الى رحمته . وعطفه ولطفه وعدله وعفوه . واحسانه وفضله وكرمه وجوده .

جوعة الى اليقين بالبعث والنشور والحساب والعقاب ليأخذ كل انسان قسطه ونصيبه . وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون .

---

١ ـ من كتاب المستقبل لهذا الدين لسيد قطب .

وكل نظام للحياة . أو قانون وضعي . لا يحقق السعادة . لهذا الانسان الا اذا تضمن كفاية مطلقة لسد هذه الجوعات الروحية المتعددة لهذا الانسان الفقير الدائم الى عفو ربه الدائم . وجميل فضله . ومعونته له في جميع مجالات الحياة وفي الممات ايضا .

والمؤمن الحق لا يخاف الموت . ولا يرهب الردى . فنفسه مطمئنة . الى لقاء رب كريم . وإله عظيم . يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم . وسيقال لهاته النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي .

فأي فضل أعظم على الانسان من الايمان الذى يرسم له طريق السعادة ويدفعه إليه . ويحدد له مناهج الحياة ويسوقه اليها . ويصوغه صياغة ربانية خاصة. يكون معها دائما هادىء الطبع رضي النفس . دائم الانس . نقي الضمير . مرتاح البال على كل حال .

سـؤال ؟؟

فهل تستطيع الفكرة القومية ؟ أو العاطفة القومية ؟ ان تسد جوعة الانسان الروحية ؟؟ وهل بوسعها ان تنمي فيه روح الثقة . والاطمئنان . التي يجدها المرء في رحاب الدين ؟ وفسحة اليقين . وفي كنف العقيدة الربانية السامية ؟ تلك العقيدة العظيمة التي انتفضت الامة العربية بفضلها . ونتيجة لتمسكها بها حتى اختلطت بلحمها ودمها . وبعدها انطلقت انطلاقتها التي بهرت العالم . وادهشت الناس ، ونقلت العرب من جزيرتهم التي كانوا يتناحرون فيها . ويتصارعون الى العالم الفسيح الذى قادوه من ناصيته الى الهدى والرشاد وكانوا أرحم فاتح عرفه تساريخ البشرية .

ونقلتهم هذه العقيدة من الحياة القبلية المحدودة التي ضاقوا بها . الى الانسانية

الواسعة التى اصبحوا يشرفون عايها . ويوجهونها ويعلمونها ويحضرونها . فكانت حضاراتهم أعظم الحضارات عمقا . ونبلا وإنسانية وفضلا .

واصبحوا بفضل هذا التطور العجيب الذى بعثته فيهم عقيدة الاسلام السمحاء التى فاجأت العالم وبهرته وسلمتهم زمام قيادته . وسيادته . وريادته . حتى قاله ا بحق وجدارة وبكل وضوح وشجاعة لامبراطور المملكة الفارسية العظيمة وأركان دولته حينما سألوا مندوب القيادة الاسلامية قائلين له : من جاء بكم ؟؟؟ قال :

« الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد . الى عبادة الله وحده . ومن ضيق الدنيا الى سعتها . ومن جور الأديان الى عدل الاسلام » .

وقد صدقوا حقا . فقد خرجوا من ضيق الدنيا اولا الى سعتها . ثم اخرجوا الامم والشعوب من ضيق الدنيا الى سعتها وهل اضيق من الحياة القبلية التى كانوا يحيونها ! والتى لا يفكر فيها صاحبها الا فى المادة الزائلة . والحياة الفانية ولا يعمل ولا يفكر ولا يجاهد . الا فى سبيلها . وتحقيق اهدافها المحدودة الضيقة .

وهل أوسع من الحياة الانسانية الآفاقية الشاملة التى نقلوا اليها ؟ وهل ارحب وافسح من الحياة الايمانية والروحانية التي لا نهاية لها ولا تحديد . تلك الحياة السعيدة التى اظلتهم بظلالها الوارفة . منذ أن اعزهم الله بالإسلام . واكرمهم بمحمد نبيا وهاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . فكانوا بهذا النبي كل شيء بعد ان لم يكونوا شيئا مذكورا لقد خرج العرب حقا بفضل هذه العقيدة من ضيق الجزيرة ومن ضيق الحياة فيها . وضيق التناحر على رئاستها وقيادتها .

قال توماس كارليل :

لقد اخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات الى النور واحيا به منها أمة

خاملة لا يسمع لها صوت ولا يحس فيها حركة منذ بدء العالم . فما أن ارسل الله لهم نبيهم حتى صار الخمول شهرة . والغموض نباهة والضعة رفعة ، والضعف قوة والشرارة حريقا .. وشمل نوره الانحاء ، وعم ضوؤه الارجاء . وما هو الا قرن بعد اعلان هذا الدين حتى اصبح للعرب قدم فى الهند ، واخرى فى الاندلس وعم نوره ونبله وهداه نصف المعمورة » انتهى .

واخرجهم الاسلام من ضيق التخاصم على حطامها القليل . وملكها الضئيل وعيشها الذليل . خرجوا منها الى عالم جديد سلمهم بفضل جهادهم زمام السيادة والقيادة الروحية والخلقية والعلمية والسياسية .

ولقد قام عالمهم الكبير على أساس العقيدة الواحدة والايمان العميق والصلة الروحية القوية . وكان اوسع عالم عرفه التاريخ وكانت الشعوب التى تكون منها هذا العالم الضخم الكبير . أقوى اسرة بشرية متآخية عرفها تاريخ الشعوب انصهرت فى هذا العالم الواحد الثقافات المختلفة والعقول والعبقريات المتباينة . فتكونت منها ثقافة واحدة هى : الثقافة الاسلامية .. وتكونت منها عبقرية واحدة ايضا هى : العبقرية الاسلامية . التى كان من نتائجها نوابغ عظام لا يحصيهم عد : ملأوا الدنيا علما وفهما ، وحكمة وفلسفة . وصدقا . وعدلا فهل استطاعت القومية ان تفعل شيئا من ذلك او جزءا من ذلك ؟؟

وهل بوسعها ان تفعل ما فعلته العقيدة فى نفوس معتنقيها من حميد الخصال. وجليل الاعمال . التى بهرت العالم بعجائبها وغرائبها . وتضحياتها الفذة ومثاليتها السامية ؟؟؟

بين الإسلاميين والقوميين

من المؤسف حقا أن نجد الصراع عنيفا ومتواصلا بين القوميين والاسلاميين ، فى كل بلد اسلامى نشأت فيه جماعة تدعو الى القومية . وقد نجح اعداء الاسلام الى حد بعيد فى مخططهم فى تفريق كلمة المسلمين . وتفتيت قواهم وتشتيتها

وعلى رأس هؤلاء الخصوم دعاة النعرات القومية من ابناء بطرس الاكبر ، وأحفاد ريكاردوس قلب الاسد . من حملة القلوب الحاقدة على الاسلام والكائدة للمسلمين . ولا تزال هـــذه القلوب تظهر من حقدها وبغضائها النزر اليسير وما تخفي صدورها اكبر . وما تنطوي عليه ضلوعها اخطر . وصدق الله وهو الصادق العظيم اذ يقول : «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم . ثم يقول عز وجل : قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر » .

وقد عجزت الفئات الصليبية الحاقدة أن تحاربنا وتتغلب علينا بنفسها . فلوت أعناقها صوب أجيالنا الصاعدة . فسممت افكارهم . وشوهت تاريخهم . وزهدتهم في دينهم . وبغضته اليهم . ونفرتهم منه . ومن رجاله . ودعاته . ووضعت لهم دينا آخر مجدته لهم . وزينته لعيونهم . وحببته الى قلوبهم . ولم تسمح لابصارهم ان تنظر الا من الزاوية التي فتحتها لهم على الدين الجديد وهو القومية يختلف كل الاختلاف عن دينهم الاصيل بل يناقض دينهم القويم ويعتبره سببا من اسباب التخلف والانتكاس . وان الدين بزعمهم يفرق ولا يجمع وأنه يذهب بأمن الحياة ؟!! والتمسك به يبعد عنا اخواننا في العروبة ومواطنينا الكرام واخواننا في القومية من غير المسلمين !!!

ولما كانت الدعوة الى الاسلام تزعجهم . وانهم لا يطيقون لها سماعا .ولا يمدون لها باعا . وان اجسامهم تهتز والارض من تحتهم تتزلزل . اذا سمعوا داعيا يدعو الى الاسلام . قالوا : فلنترك ديننا اذن ما دام يزعجهم الى هذا الحد اكراما لاخواننا في الدم واللسان وعلينا أن ندعو الى القومية التي تجمع بيننا وبينهم . وتوحد صفنا العربي . ولنحارب كل مفرق لهذا الصف المتراص . وعلى رأس هؤلاء المفرقين دعاة الفكرة الاسلامية الرجعيين الذين يريدون منا كما يقول دعاة القومية — ان نرجع الى الوراء اربعة عشر قرنا من الزمن . ونحن في عصر الذرة والاقمار الصناعية ؟؟؟

وللمسلم العربى كما يقول رائد من رواد القومية العربية الكبار فى هـــذا العصر . للمسلم العربى دينان . الاسلام . والقومية . وللمسيحي العربي دينان النصرانية والقومية العربية . والاسلام والنصرانية يختلفان ويفرقان . أما القومية العربية فهى التى تجمعهم وتوحد صفهم العربى أمام المستعمر الغاشم فعليهم أن يتمسكوا بها ويدينوا لها بالولاء والحب والتضحية والاخلاص وينبذوا كل شيء يناقضها . وكل دعوة ضد القومية — بنظرهم — فهى دعوة استعمارية . أصحابها عملاء مأجورون للأجنبي !!! ولو كانت الدعوة ربانية خالصة لله .

هذه دعوتهم . وهذا نداؤهم والمستعان الله . ولا حول ولا قوة الا بالله . وهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتا ولكنهم مع الاسف دعاة الى ابواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها .

والشاب المسلم القومي قد استجاب للنداء وحمل الدعوة الجديدة . بأمانة . وحصانة . وحماس منقطع النظير وقد ترك دينه بكل بطولة ورجولة . واخذ يصاول المسلمين ويطاولهم . ويقاتل دون دينه الجديد وهو قوميته . وأصبح الكثير منهم يأنف من دخول المسجد ويكره قراءة القرآن لئلا يتهم بالرجعية . ويوصم بالتخلف وهو شاب تقدمي . وقومي عربي . مؤمن بقوميته وعروبته.

أما الشاب المسيحي القومي فقد بقي مسيحيا . وبقي رباطه الوثيق بانجيله وكنيسته ورجال دينه من القسس والرهبان وهو يشكر على هذا وقل أن تجد شابا مسيحيا يحمل العداء لدينه .

وهذا ما يدلنا على مدى ارتباطهم بدينهم. وتمسكهم بعقيدتهم.مع عملهم في الاحزاب القومية والسياسية وهذا لا شك يعود الى قوة التركيز في مقاومة الاسلام وتجريد الشباب المسلم من دينه . على أيدى دعاة القومية من غير المسلمين امثال الصليبي ميشيل عفلق ومن لف لفه .

انني لا أريد ان اناقش النصارى أو اتحدث عن تمسكهم بدينهم . فهذا من

حقهم وشأنهم الخاص بهم بل انني أقدر واحترم المسيحي المتمسك بدينه والوفي لرسالته . وقد أثق فيه اكثر من ثقتي بشاب مسلم تحلل من دينه وتنكر لرسالته وصد عن أمر ربه .

وقد نقل عن ابن رشد الفيلسوف والعالم المسلم الكبير انه قال : ثق بصاحب الدين ولو كان من ابناء غير دينك . ولا تثق بمن لا دين له ولو كان من ابناء دينك .

كما لا أريد أن استعرض التاريخ القديم والحديث ومواقف النصارى من المسلمين في الاحداث الكبرى التي مرت على المسلمين في تاريخهم الطويل .

ولا أريد ان استشهد بالمؤرخين الافرنج وهم من النصارى وأنقل ما قالوه هم بأنفسهم عن نصارى الشرق ابان الحروب الصليبية . وما كان لهم عليهم من فضل في انتصارهم على المسلمين . في تلك الحروب الدامية . وكيف ان نصارى الشرق كانوا عونا للصليبيين ، وعيونا على المسلمين .

وقد قدموا المساعدات والمعونات الفعالة . التي أكسبتهم النصر على المسلمين. وكيف أن ثلاثين ألف ماروني من نصارى الشرق . انقلبوا على مواطنيهم المسلمين واخوانهم في العروبة وأخذوا يحاربون الى جانب الصليبيين في أحلك الظروف وأدقها وأقساها على المسلمين .

كما لا أريد أن استرسل في بيان مؤاقفهم في حرب فلسطين وخاصة عند سقوط الناصرة . ولا عن موقفهم في بور سعيد عند الهجوم الثلاثي الغادر على مصر المسلمة ولا في موقفهم في حوادث الموصل الدامية عند المد الشيوعي الاحمر في العراق على عهد حاكمه العسكري عبد الكريم قاسم الذى اخذه الله اخذ عزيز مقتدر وجعله عبرة ومثلا للخالفين هو وعصابته المجرمة من الشوعيين العملاء :

كما لا أريد أن استرسل او أنبش التاريخ الحديث والقديم ولو نبشا خفيفا

وألقي شعاعا ولو خافتا على مواقف اخوان القوميين في العروبة . من قضايا الاسلام والمسلمين في كل مكان وفي كل عصر وزمـــان . انني اترك ذلك للتاريخ ليتحدث عنه . واتركه لذكاء القارىء وفطنته . وأتركه لئلا يقـــال بأنني أريد إثارة الفتنة بين أبناء الدم الواحد . والعنصر الواحد وهم النصارى العرب والمسلمون العرب الذين تآخوا كما يظنون تحت الفكرة القومية ونبذوا الدين المفرق للجماعة بزعمهم . واعجب كل العجب ممن يدعو بهذه الدعوة ويزعم بأن الدين يفرق والقومية تجمع . كيف يكون هذا والدين الاسلامي واحد ، والقوميات في ابنائه ومتبعيه متعددات ومختلفات ومتباينات فالدعوة الى الدين دعوة الى الوحدة الصادقة الحقة تحت لواء دين واحد . وشريعـــة واحدة . وقبلة واحدة . وقرآن واحد . ورب واحد . واسلام واحد . لذا نجد دعاة الاسلام في كل مكان من اندونيسيا في اقصى المشرق الى مراكش في أقصى المغرب دعوتهم واحدة واهدافهم واحدة . ووسائلهم واحدة وغاياتهم واحدة وأمانيهم واحدة . كل ذلك تبعا لوحدة دينهم الذى جمع بينهم حتى امتزجت بينهم الاذواق . وتفاعلت الافكار . وتشابكت الاحاسيس . فكان من جراء ذلك التآخي العظيم بين جميع هذه الشعوب . ويعود ذلك الى مفهوم الآية الكريمة « انما المؤمنون اخوة » هذه الآية العظيمة التي نفحت الشعوب الاسلامية بروح جديدة . قضت على التعصب القبلي والعرقي والعنصري . وعلمت الانسان انه اخ الانسان وان الناس جميعا الذين آمنوا برسالة واحدة هم اعضاء لجسد واحد اذا تألم عضو ارتجت له سائر الاعضاء وتألمت . وقد حقق المسلمون الاولون هذا الاخاء فكانوا بحق خير أمة أخرجت لخير الناس . وسعادة الناس . وتمدين الناس . وهداية الناس وقيادة الناس .

والقوميات مختلفـــات

أما الدعوة الى القومية فهي الدعوة المفرقة المشتتة للجماعات تبعا لاختلاف القوميات وتعددها ، وليست الدعوة الى الدين مفرقة ، لان الدين واحد — كما

قلنا — وحتى الاديان بمجموعها فهى قليلة ومحدودة جدا . اما القوميات فلا حصر لها . ولا نهاية لعددها فالدعوة اليها دعوة الى الفرقة والشتات . فكيف تغيرت المفاهيم وجعلنا الدعوة الدينية مفرقة . والدعوة الى القومية جامعة ومحققة للوحدة المنشودة؟؟ التي يتمناها كل مسلم ويرجوها لهذه الامة ذات التاريخ المجيد والحضارة الانسانية التي حملتها للناس اجمعين . وحمتها وقدمتها. للامم كاملة ناضجة . بعد أن اضفت عليها من علومها . وفنونها . وآدابها وفلسفتها ما زادها بهاءا ورونقا . وكمالا . وجعلها اروع حضارة انسانية عرفها تاريخ البشرية ولولا هذه الحضارة الاسلامية الجامعة . لما كانت حضارة اليوم ولا نبتت أصولها ولا فروعها واقرأوا ان شئتم التوسع والتأكد مما أقول كتاب « حضارة العرب » لغوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ، لتروا فيه شهادة رجل من رجال الحضارة الغربية المعاصرة الكبار والذى يعترف صراحة بان الحضارة الغربية ما هى الا وليدة للحضارة الاسلامية ولولاها لما كانت حضارة اليوم .

لم يكن العرب دعاة عصبية

لم يكن العرب يوماً من الايام ، منذ ان آمنوا برسالة الاسلام دعاة عصبية ولا دعاة قبلية . ولا أنصار جاهلية . فقد فارقوا هذه الامور والمعاني وعافتها انفسهم منذ أن اعتصموا بحبل الله المتين وآمنوا بأخوة الاسلام وأنها فوق العصبيات . وفوق العنصريات الضيقة . لذا تراهم لم يستأثروا برسالة الاسلام التي اختارها الله لهم . واختارهم لها . وجعلهم بها وبفضلها . خير أمة أخرجت للناس بل هم وغيرهم فيها سواء . ولقد قدروا وقدموا الصالحين الصادقين من غير العرب . وأوصلوهم إلى أعلى المناصب والمراتب العلمية. والدينية . والسياسية والادارية ووثقوا فيهم . واعتمدوا عليهم . ولم يفرقوا بين العربي وغير العربي في جميع الشؤون الخاصة والعامة . بل في جميع شؤون الدولة السياسية . والادارية . والاقتصادية والعلمية وغيرها . فقد كان العرب المسلمون

مثال التسامح ومثال الصدق فى الاخاء والتقدير ، للايمان والعمل الصالح ، والعلم النافع والكفاءات . بقطع النظر عن كل عصبية او ميل مع الهوى .

وليس ذلك غريباً منهم ، وقد ربوا بمدرسة الايمان . وتلقوا أخلاقهم . وتربيتهم . عن سيد الخلق . وسيد أهل العدل والاحسان والايمان . محمد صلوات الله وسلامه عليه الذى تبرأ من عمه ، وشقيق والده ابى لهب لأنه كفر وصد عن سبيل الله وقال في الفارسي سلمان : سلمان منا اهل البيت لانه آمن ، وصدق ، بما جاء عن الله ورسوله . وصدق معهما .

وهذا من أروع الأمثال على تقدير اخوة الاسلام وانها فوق كل اعتبار آخر فى هذه الحياة وهو صلى الله عليه وسلم الذى قال : ليس منا من دعا إلى عصبية .

لقد تولى كثير من الموالي اخطر المناصب العلمية والدينية في الدولة الاسلامية ولم يحز ذلك فى نفوس العرب المسلمين . ولم يشعروا بغضاضة او انتقاص . فالكفاءة عندهم فى الايمان والاسلام والصدق فيهما . والعمل بهما . وما دام المولى قد استكمل أسباب الولاية فهو الذي يستحقها وهو الذى يولى ، وان كان غير عربى وغير قرشى ايضاً فالعربى وغير العربياخوان بأخوة الاسلام ، تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وليس لاحدهم فضل على الآخر الا بالتقوى .

« ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ولننظر كيف آخى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار وكان ممن آخى بينهم بعض الموالي ، فآخى بينهم وبين كبار الصحابة الكرام ، اذ آخى بين بلال بن رباح وخالد بن رويحة الخثعمى . وبين مولاه زيد . وعمه حمزة بن عبد المطلب . وبين خارجة بن زيد . وابي بكر الصديق . وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان .

ولقد انصرف كثير من الموالي إلى العلم ، والفقه ، فبرعوا فيهما حتى اصبحوا فقهاء الامصار وعلماء الاقطار بفضل اجتهادهم وورعهم . وتقواهم

لله عز وجل وهذا هو الذى قدمهم إلى تلك المراكز العلمية الرفيعة التى تبوأوها ونالوها بفضل الله اولا ثم بفضل سعيهم وكسبهم وصبرهم واسمعوا هذه الرواية التاريخية لتروا ما بلغه الموالي ، وهم غير عرب من أعلى المناصب العلمية والدينية في الدولة الاسلامية . قال ابن أبى ليلى : قال لى عيسى بن موسى وكان ديانا شديد العصبية للعرب ، من كان فقيه البصرة ؟ قلت : الحسن بن ابى الحسن ، قال : ثم من ؟ قلت : محمد بن سيرين . قال : فما هما ؟ قلت : موليان قال : فمن كان فقيه مكة ؟ قلت عطاء بن رباح ومجاهد وسعيد بن جبير وسليمان بن يسار قال : فما هؤلاء ؟ قلت موالي قال : فمن فقهاء المدينة ؟ قلت : زيد بن أسلم ومحمد بن المنكدر ونافع بن أبى نجيح . قال فما هؤلاء ؟ قلت : موالي . فتغير لونه ثم قال : فمن أفقه أهل قباء ؟ قلت ربيعة الرأي وابن أبي الزناد . قال : فما كانا ؟ قلت : من الموالي فأربد وجهه ثم قال : فمن فقيه اليمن ؟ قلت : طاووس وابنه وابن منبه ، قال فمن هؤلاء ؟ قلت : من الموالي . فانتفخت أوداجه وانتصب قاعداً وقال : فمن كان فقيه خراسان ؟ قلت : عطاء بن عبد الله الخراساني قال : فما كان عطاء هذا ؟ قلت : مولى فازداد وجهه تربداً ، واسودادا حتى خفته ، ثم قال فمن كان فقيه الشام ؟ قلت مكحول ، قال فما كان مكحول هذا ؟ قلت موالى . ثم قال : من كان فقيه الكوفة ! والله لولا خوفه لقلت : الحكم بن عتبة وحماد بن أبي سليمان ولكن رأيت فيه الشر فقلت : ابراهيم النخعي والشعبي قال فما كانا ؟ قلت : عربيان فقال : الله أكبر . وسكن جأشه .

وهكذا نرى الموالي يتبوأون أسمى المراتب وينالون أعلى المناصب ولا من عاتب . وإذا رأينا عيسى بن موسى قد أخذته العزة ونالته العصبية فان غيره من آلاف العرب المسلمين . لم يتأثروا . ولم يعيروا اهتماماً لمثل هذا الامر ما دام أهل الكفاءة قد تقدموا وان كانوا غير عرب فهم مسلمون والاسلام قد ساوى بين الجميع ولله الامر وبيده الفضل يهبه لمن يشاء وهو على كل شيء قدير

دور غير العرب في الحضارة الإسلامية

لقد أسهم المسلمون فى بناء الحضارة الانسانية ولا تزال آثار الحضارة الاسلامية باقية خالدة فى الشرق والغرب حتى اليوم . وما الحضارة الحاضرة الا وليدة لتلك الحضارة الشامخة التى بناها المسلمون ، ووضعوا لها الاسس الثابتة والقواعد الرصينة المتينة . وحين ظهر الاسلام فى أواسط القرن السابع الميلادي . كانت الحضارة الاغريقية – اللاتينية في طريقها الى الافول والزوال. وقد انتهت فى طريق زوالها إلى الامبراطورية البيزنطية ولكن هذه الاخيرة فشلت فى السير على دربها أو الاخذ بيدها واحيائها كما كانت اذ لم تستطع المحافظة على الكنوز الفكرية التي انحدرت اليها وتركتها لها إلحضارة الاغريقية. ولقد حاول الاباطرة الجهلة أن يدمروا بقايا الحضارات السابقة ، بزعم أنها حضارات همجية « ولقد اكتسب الامبراطور ثيودوس الثانى لنفسه سمعة سيئة بالتدمير الواسع النطاق الذى الحقه بأقطار شمال افريقيا وبناء على تعليماته هو . لا تعليمات الخليفة عمر كما تردد الاساطير المغرضة . دمرت مكتبة الاسكندرية الشهيرة » [(١)]

قال الاستاذ «فيليب حتى» في كتابه : «تاريخ العرب المختصر» : خلال القسم الاول من القرون الوسطى لم يساهم أي شعب من شعوب الارض بقدر ما ساهم العرب فى التقدم البشرى . ونعني هنا بالعرب ليس فقط الذين كانوا يعيشون فى حدود الجزيرة العربية ولكن جميع الذين تكلموا العربية – ويقصد المسلمين غير العرب – .

فقد ظلت هذه اللغة لعدة قرون لغة الآداب والعلوم ، والتقدم الفكري في جميع انحاء العالم المتمدن آنذاك باستثناء الشرق الاقصى ، وفيما بين القرنين

---

١ – من كتاب : دور المسلمين في بناء المدنية الغربية للاستاذ حيدر بامات ص ١٧ .

التاسع والثانى عشر فاق ما كتب بالعربية عن الفلسفة . والطب . والتاريخ . والآلهيات . والفلك والجغرافية . كل ما كتب بأي لسان آخر » .

وقد اعترف الكاتب هنا وهو غير مسلم بدور غير العرب من المسلمين فى بناء الحضارة الاسلامية ومشاركتهم الفعالة فى وضع اسسها وقواعدها . ولقد كانت الحضارة الاسلامية ثمرة جهود شعوب كثيرة متباينة الاجناس واللغات . ولكن الاسلام العظيم قد صاغها فى وحدة روحية أساسها الايمان ودعامتها الاسلام وكون منها مجتمعاً مثالياً حلق فوق حدود القوميات الضيقة وحمل كله اعباء الحضارة الضخمة التى شادها الاسلام . ومنذ ان انفجر نوره فى بطاح مكة . انقدح الضياء فى قلوبهم وعقولهم وأخذوا يسيرون بنوره ويبددون ظلمات الجهل والهمجية التي كانت قد خيمت عليهم قبل ظهور الاسلام .

لقد كان العرب موجودين قبل الاسلام برجالهم ونسائهم وأرضهم وسمائهم وقبائلهم وعشائرهم وخيرهم وشرهم . ولكنهم مع هذا الوجود الواقعى لم يكونوا شيئاً مذكورا بل لم يكونوا أمة صحيحة بالمعنى الحضاري المعروف ، بل كانوا قبائل وحمائل ، وافخاذاً وعشائر ، تتناحر وتتخاصم . وتسلب وتنهب .وتقتل وتعيش تحت كابوس الفرقة . والشتات والعبث والفساد . فلما جاء الاسلام وسطع نوره فى آفاق بلادهم وأقطارهم ، وقلوبهم ، وعقولهم وآمنوا به واتبعوا النور الذى جاءهم من ربهم . أصبحوا بفضله أمة تحمل كل عناصر ومقومات الامة الحضارية الكاملة بل كانوا خير أمة أُخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . وكانوا بحق أشجع امة . واصدق امة وابر أمة . حتى اصبحوا بفضل الاسلام كل شيء فى السياسة . والكياسة . والحضارة والاخلاق . والاجتماع والقوة والهيبة والسلطان . وقوة الشوكة والشكيمة حتى دانت لهم الامم والشعوب وفتحوا الديار شرقاً وغربا . ولا ينكر هذا الا جاهل او مكابر .

ان احداً لا يستطيع ان ينكر ان للعرب دوراً خطيراً وعظيماً فى حمل لواء الاسلام . والدعوة إلى الله ، وفى المشاركة الفعالة فى وضع أسس الحضارة ، ثم تطويرها نحو المستوى الرائع الذى بلغته . بفضل جهودهم . وجهادهم . وتضحياتهم ولكننا نمزج هذا بقولنا ان الفضل لله أولا اذ بعث فى العرب رسولا منهم ، يزكيهم ، ويعلمهم الكتاب ، والحكمة وقد فعل صلوات الله وسلامه عليه فاخرج من العرب المتناحرين ، امة متحدة . وكون من العرب المتفرقين دولة فاتحة . اصبحت بفضله ، وامامته صلى الله عليه وسلم سيدة الامم وقائدة الشعوب ومعدن الخير والمجد والبطولات .

يقول الاستاذ حيدر بامات فى كتاب«دور المسلمين فى بناء المدنية الغربية» ص ١٣ :

اننا فى الوقت الذي نعطي فيه للعرب حقهم من التقدير فانه لما يخالف مبادىء الأنصاف ويناقض الحقائق التاريخية الا نعترف بالمساهمة المدهشة التى قدمتها للحضارة الأسلامية شعوب أواسط آسيا . وايران وتركيا . وامبراطورية المغول فى الهند .

انه من المستحيل ان يتجاهل المرء ما تدين به الحضارة الأسلامية : للعصر السلجوقى الذى تقف آثاره الفنية حتى اليوم ، شاهدة على هذا الدين ، ولا ان يتجاهل ما قدمته للحضارة الاسلامية نهضة التيموريين فى أواسط آسيا ، فى القرن الخامس عشر ، حين كانت مدن سمرقند . وبخارى . وحيرات مراكز مهمة للعلم والادب كما انه من غير المعقول أن ينكر المرء ما تدين به هذه للمدنية الفارسية وللعصر الذهبي الذى حكم فيه الفرس . فيما بين عامي ١٥٠٠ – ١٧٧٢ ميلادية وهى العصور التى بعث فيها تاريخ ممالك فارس القديمة وبعثت فيها عظمة العصر الساسانى لقرنين كاملين اعتبرهما بعض العلماء العصرين الذهبيين اللذين وجد فيهما الفن الفارسي أروع وسائل التعبير عن ذاته وبلغ به الأوج محققاً معجزة الجمال والتوازن والتأنق الرائع ،كان

اشبه بالحالات التى تبلغ فيها الألعاب النارية قمة تألقها وبهائها. ثم قال : « وكذلك فانه من غير الانصاف ان يحذو المرء حذو بعض المستشرقين حين يتجاهلون الدور الهائل الذى لعبه الاتراك العثمانيون فى الحضارة الاسلامية. فالامبراطورية العثمانية لم تحافظ لقرون طويلة على تماسك الامبراطورية الاسلامية فحسب . ولكنها برزت الى الوجود كدولة من اكثر دول العالم حضارة وتقدما . فى القرن السادس عشر الميلادي وقد كان « سليمان القانوني » في زمنه أقوى ملوك الارض قاطبة بالاضافة إلى انه كان شاعراً . وراعياً للاداب والفنون ، ويجد المرء أدلة كثيرة على المستوى الحضاري الرفيع الذي بلغته الامبراطورية العثمانية في عهده سواء في تطور العلوم والقوانين ، أو في ازدهار الاعمال الادبية باللغات العربية ، والفارسية ، والتركية.ثم يقول : واخيرا وليس آخرا ذلك التسامح الديني الرائع الذى ساد زمانه . ثم يقول كيف يتسنى للمرء أن ينسى بأنه فى ذلك الوقت كانت الامبراطورية المغولية فى الهند تعطى العالم تلك التحفة الهندسية التى ليس لها مثيل والتى اسماها (تاج محل) والتحفة الاخرى التى اسماها « أكبر نامة»وهو المؤلف الضخم الذى وضعه ابو الفضل والذى وصفه المسيو « كارادى فو » بقوله :«انه عمل عظيم يموج بالحياة والافكار والعلوم حيث يخضع كل مظهر من مظاهر الحياة للدراسة ثم التسجيل، فالتبويب ، حيث يبهر التقدم المستمر . انه وثيقة يحق للحضارة الشرقية أن تفخر بها . وان الرجال الذين وجدت عبقرياتهم . وسيلة للتعبير عن نفسها فى هذا الكتاب الضخم لهي متقدمة عن عصرها بكثير في فن الحكم ولعلها كانت متقدمة عنهم أيضاً في تأملاتها في الفلسفة الدينية » .

ويختم المسيو كارادى فوا كلامه بالثناء على روح التسامح ، والعدالة ، والانسانية ، التى سادت خلال حكم الامبراطور المغولي المسلم« أكبر الطويل» — ص ١٦٠

خطر النعرة القومية على الإسلام

من المؤسف حقا والمحزن جدا : أن النعرة القومية التى نبعت من الغرب ، والتى غذاها رجاله وأساطينه بكل قواهم وبذلوا فى سبيل تنميتها واشاعتها بين المسلمين كل غال ورخيص . استطاعت هذه الفكرة ان تزحزح الاسلام عن الميدان السياسى والاجتماعي ، كما استطاعت ان تستل عقيدة الاسلام الصافية وعقيدة التوحيد الخالص التى ايقظت الامة العربية من سباتها ، وبعثتها من رقادها وجعلتها خير امة أخرجت للناس . استلت هذه العقيدة من كثير من شباب الاسلام حتى اصبحوا اعداء لدينهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون . ويرون فى الفكرة الاسلامية التخلف والخطر على دينهم السياسي الجديد النعرة العربية وهو ما أحلوه بفضل اساتذتهم وأئمتهم محل العقيدة الدينية ينافحون عنها ويدافعون دفاع المستميت في عقيدته بل سموها عقيدة وأطلقوا على بعض احزابها بالاحزاب العقائدية ؟؟؟

والعجيب فى الامر — وان كان الامر ليس بالعجب — ما دام الغرب هو الذى يغذيها ويطرب لرنين أصواتها .

الغريب أن اعمال القوميين وواقعهم يخالف دعواهم تمام المخالفة فهم يدعون أن الدعوة الى القومية تجمع العرب وتجعل منهم امة واحدة لا تتفرق. واذا بدعاة القومية يتفرقون شيعا ، واحزابا حتى وصلت بهم الفرقة الى الحرب والضرب فاصبح العربى يقتل العربى ويكيد له ويتآمر عليه ليهدم بنيانه من القواعد . لقد نجح الاستعمار حقا ففرقنا . وجعلنا شيعا واحزابا وشتت شملنا . وفرق جمعنا واشعل نار الفتنة بيننا وجعلها نارا حامية . والعجب كذلك ان تجد ان غالبية دعاة القومية العربية وموجهي الاحزاب العقائدية هم من غير المسلمين ويندر أن ترى واحداً منهم يؤمن برسالة القرآن ويدين بالاسلام . ويصدق برسالة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

فهل يا ترى جاءت هذه الموافقة من قبيل الصدمة ؟؟؟ وهي ان تجد غالبية زعماء هذه الدعوة من غير المسلمين وهم يدعون اليها المسلمين ، وفي بلاد الاسلام ، ومجد الاسلام وبلاد الخلافة الاسلامية العباسية والاموية وغيرهما فزعيم حزب البعث العربي الاشتراكي ميشيل عفلق وهو غير مسلم ، وزعيم حزب القوميين السوريين انطون سعادة وهو غير مسلم . وزعيم القوميين العرب جورج حبش وهو غير مسلم وقسطنطين زريق زعيم فريق آخر من القوميين وهو غير مسلم أيضا .

فهل يا ترى الصدفة المجردة هي التي جمعت هؤلاء جميعا ، وجعلت منهم زعماء روحيين وفلاسفة موجهين لشباب اسلامي بريء خدع بدعواتهم . فضل السبيل وتاه في بيداء الجهالة ، حتى عادوا به الى الجاهلية المظلمة يستجلي أخبارها ويعظم رجالها ، وانسوه ذكر الله ورسوله وأعموه ، فلم يعد يرى مجد الاسلام ولا عظمة المسلمين ولا نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم هل هي الصدفة ؟ أم هي المؤامرات الاستعمارية حيكت خيوطها هناك في ديار الظلام ، ونفذت هنا في ديار الاسلام الممتحنة ؟ . وكانت الجامعة الامريكية في بيروت هي مصدر هذه الشرور ، ومنطلق الحركات الهدامة كلها . ومنها ذر الشيطان قرنه . وجيش حزبه وأعوانه ، ونشر ألويته ، وشباكه وبث احابيله؟؟

يؤسفني أن اقول : ان النعرة القومية هي اخطر ما وصل اليه الغرب لمكافحة الاسلام ، وصد تياره الجارف ، ووقوف زحفه في الشرق والغرب .

لقد استطاعوا ان يخرجوا الاسلام من ميدانه العالمي الفسيح الى الدروب القومية الضيقة والتي قال عنها رسولنا الامين عليه الصلاةوالسلام منذ اربعة عشر قرنا من الزمن حين نادى احد المسلمين ، يا لفلان ! وقال خصمه ، يا لفلان ! فقال الرسول : دعوها فإنها منتنة .

وقال صلى الله عليه وسلم : ليس منا من دعا الى عصبية . وأود هنا أن انقل ما كتبه امير البيان شكيب ارسلان رحمه الله في كتاب «حاضر العالم

الاسلامي» ليتبين للقارىء كيف أن الغربيين هم اصحـــاب الفكرةالقوميـــة واربابها وانهم ايدوها لتناهض النزعة الدينية ، المتعصبة بزعمهم قال رحمه الله فيما نقلته عنه مجلةَ المسلمون تحت عنوان :

مســـتشـــرق يتأســـف

من المؤسف حقاً والمحزن جدا : أن النعرة القومية التي نقلهامسلمو الجزائر «جزائراندونيسيا»مقلدين في ديانتهم وعاداتهم وآدابهم مسلمي مصر ، وحضرموت وجزيرة العرب عاكفين على مطالعة التآليف التى تحرر في البلاد العربية والى اليوم لم يوجد عاطفة جاوية قومية تناهض هذه النزعة الدينيةالعربية» .

ثم قال رحمه الله

يظهر من هذا اتفاق الاوروبيين على بث روح القومية بين أمم الاسلام أملا بتشظية عصا الجامعة الاسلامية فاننا قد رأينا أثر هذه السياسة فى مواضع كثيرة من بلاد الاسلام فكان الاوروبيون يرون خطر الاسلام أخف من خطر تلك الجامعات .

شكيب أرسلان

حاضر العالم الاسلامى جـ ١ ص ٣٤٢

فماذا يقول دعاة القومية بهذا الرأي الذي يبديه رجل من أكابر رجال الاسلام فى هذا العصر ؟؟

القوميــة التي نحــاربها...

اننا لا نحارب القومية لمجرد انها قومية فذلك من خطل الرأي وفساد العقل ، لا نحارب القومية بصفتها الرابطة الجنسية التي يرتبط فيها الانسان ببني جنسه . وقومه ووطنه . فالقومية بهذا الاعتبار حقيقة فطرية قائمة بيننا جميعاً والانسان

يساق إلى مثل هذه الرابطة بحكم فطرته وغريزته وجبلته التي فطره الله عليها .

كما اننا لا نحارب القومية بمعنى ان الانسان يحب أمته . ووطنه . ويتمنى لهما الرقي والتقدم والازدهار والعزة والفخار والمجد الدائم .

ونحن كذلك لا نحارب القومية ولا نعاديها ولا نخاصمها بمعنى ان تطمح كل أمة في الارض الى استقلالها . وحريتها . ونيل اعلى مراتب المجد ودرجات الكمال في حياتها . فانه من حق كل أمة ان لا تقوم بجملة شؤونها ولا تدبر جميع اعمالها وأمورها الا بنفسها . ولا يحق بوجه من الوجوه ان تحكمها أمة أخرى أو تسيطر عليها أو على مواردها . وخيراتها . أو تتسلط عليها بأى نوع من أنواع التحكم أو التسلط .

لا نحارب القومية التي تعتز بالاسلام وتجعله نظام حياتها ومصدر عزها وطريق سعادتها .

اننا نحارب القومية المجردة التي يتخذها بعض القوميين عقيدة يستبدلونها بعقيدة الإسلام ويستبدلون الذى هو ادنى بالذي هو خير .

نحارب القومية التي يتخذها بعض الناس فكرة سياسية . أو مذهباً مستقلا ، أو نظاماً اجتماعياً لحياة تلك الامة التي ينتمي اليها أولئك القوميون . فليست حقيقة هذه القومية بهذا المعنى الا ان تعبد تلك الامة .. نفسها . واغراضها . ومصالحها . الذاتية ، وتعمى بعدها عن كل مصلحة لغيرها ولا يهمها في حين من أحيانها الا مصالحها القومية وتكون هي الهها . أو بمثابة إلهها . تعكف لعبادته وتعمل استجابة لندائه بكل وسيلة مشروعة أو غير مشروعة .

ولقد ورطت الحضارة الغربية المادية الحديثة كثيراً من أمم الارض في هذه الفكرة . التي تردت اليها الانسانية . وهي الانانية القومية المستعلية الباغية . حتى تحولت أكثر الشعوب خاصة الشعوب العقائدية . الى ميادين للصراع القومي . العنيف . ولقد شهدت الكرة الارضية حربين عالميتين وصراعين داميين كبيرين . أزهقت فيهما ملايين الارواح . وها هي ذه تشهد صراعاً

ثالثاً تجهز له الاستعدادات فى كل مكان .

كل ذلك حباً فى السيطرة والاستعلاء والعزة القومية الباغية

اننا نحارب العصبية حيث كانت ولا نريد ان يستعلي أحد على أحد . وندعو الى الاخاء العام والانسانية الفاضلة التى دعا الاسلام الى التآخى في ظلالها الوارفة .

اننا نحارب دعاة القومية المجردة الذين غلوا فى تقديس القومية . والتغنى بها ، وانكار كل ما عداها ، وجعلوها عقيدة وديانة يتعصبون لها . ويحاربون كل ما سواها ويحتقرون شأن الدين . ويقللون من قيمته . ومن قيمة رجاله ودعاته المصلحين .

يقول الكاتب العربى على ناصر الدين فى كتابه « قضية العرب » ص ١٩ طبعة ٣ « القضية العربية لن تكون ابداً عند العربى المؤمن الحر العاقل الشريف الصالح الخير الابى . المترفع الا قضية ايمان . ايمان بالوطن للوطن . كقضية الايمان بالله لله ليس غير »

ثم تكلم هذا القومى عن الاسلام وعن مهمة قضية العرب واهدافها فقال : « وتحارب الجهل والفقر والمرض والظلم وكل عصبية الا العصبية القومية وتفصل الدين عن السياسة ، وتحرم على رجال الدين الاشتغال بها . وتعلم العربى اينما كان أن يتعصب لأمرين قوميته والحق » نفس المصدر صفحة ٢٥.

قولوا بربكم أيها القراء ماذا يريد الاستعمار أكثر من هذا ؟؟ وهل نجح في مخططاته هذه أم لا ! ؟ وكل مخططاته تهدف إلى مكافحة الاسلام . وابعاده عن الميادين السياسية والاجتماعية وهذ ما أخذ به أكثر القوميين انفسهم فجردوا اقلامهم وسيوفهم لمحاربة الاسلام ، ومكافحة دعوته في كل مكان وكان هؤلاء أشد خطراً على الاسلام من المبشرين انفسهم

والى القراء شرح الكاتب القومى آنف الذكر المدعو علي ناصر الدين في

كتابه « قضية العرب » وهو يشرح العروبة فى بيان واضح ولفظ صريح وهو الكفر بعينه قال :

« العروبة نفسها دين عندنا نحن « القوميين العرب المؤمنين العريقين » من مسلمين ومسيحيين . لأنها وجدت قبل الاسلام . وقبل المسيحية فى هذه الحياة الدنيا مع دعوتها — أى العروبة — إلى أسمى ما فى الاديان السماوية من اخلاق ومعاملات وفضائل وحسنات » .

ومما يدل على أن القومية العربية اصبحت فى نظر كثير من دعاتها والمؤمنين بها ديانة ازاء ديانة ، وعقيدة ازاء عقيدة أخرى مثلها ، بل هي أفضل منها عندهم . يقول كاتب قومي عربي في مجلة العربي عدد يناير ١٩٥٩ : « ومن معانيه الاولى وحدة لكل من تسمى به من أهل هذه الارض . والوحدة العربية يجب أن تنزل من قلوب العرب أينما كانوا منزل وحدة الله من قلوب قوم مؤمنين » .

ويقول الكاتب المصرى القصصى المعروف محمود تيمور فى مقال له نشر فى مجلة العالم العربى عدد ١٧١ بعنوان : النثر والقومية العربية « لئن كان لكل عصر نبوته المقدسة .. إن القومية العربية لهى نبوة هذا العصر فى مجتمعنا العربى . ورسالة هذه النبوة هى تجميع القوة . وتكتيل الجبهة . والانطلاقة بالطاقة البشرية فى كيان المجتمع العربى نحو كسب الحياة . وان كتاب العرب فى أعناقهم أمانة هى أن يكونوا حواريين لتلك النبوة الصادقة ، يزكونها بأقلامهم . وينفخون فيها من أرواحهم ، ويعملون على أن تتكتل لها أسباب النماء والازدهار.

ويقول الكاتب القومي العربي عمر الفاخوري فى كتاب له سماه « كيف ينهض العرب » كما نقله الاستاذ محمد المبارك واستدل به ونقله سماحة السيد ابو الحسن الندوي فى كتاب « العرب والاسلام » : « لا ينهض العرب الا إذا أصبحت العربية أو المبدأ العربى ديانة لهم يغارون عليها كما يغار المسلمون

على قرآن النبي الكريم ، والمسيحيون والكاثوليك على انجيل المسيح الرحيم ، والبرتستانت على تعاليم لوثر الاصلاحية . وثورويو فرنسا فى عهد الرعب على مبادىء الديمقراطية ويتعصبون لها تعصب الصليبيين لدعوة بطرس الناسك ».

هذه الانماط من القومية هى التى يجب أن يحاربها ، ويقف فى وجهها ويشهر السيف لحربها كل غيور على الاسلام محب لدينه العظيم وكل محب للعرب انفسهم . وهذا ما سعى اليه المستعمر الكافر فى مكافحة الاسلام ، ومحاربة دعوته ، وجنده فى كل مكان .

واننا في الوقت الذى نحارب فيه هذه الدعوة الباطلة إلى الايمان بالقومية العربية مجردة عن الاسلام بعيدة عن مبادئه ، واحكامه وأدبه . ففى الوقت نفسه اننا نحارب الشعوبية الظالمة التى قام بها بعض الحاقدين على العرب من علماء أجانب فى القرن الثالث الهجري ممن لم يشرح الله صدورهم للاسلام ، فاظهروا الاسلام نفاقاً ثم اخذوا يكيدون له بالكيد لجنده وحملته من العرب المسلمين الذين أختارهم الله لحمل رسالته الخالدة . وبغض العرب نفاق وحربهم لانهم عرب أشد الضلال . وانكى الخبال . فنحن حرب على هؤلاء الذين يبخسون الناس حقهم * ويحقرون العرب ويحطون من شأنهم ونحن نقول كما قال الله عز وجل : الله أعلم حيث يجعل رسالته ولو لم يكن العرب اهلا لحمل هذه الرسالة الربانية لما أنزلها الله فيهم . ولما بعث رسوله منهم واعطاهم مركز القيادة والريادة والعرب خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم على الناس وحسبهم أن رسول الله قال فيهم : «من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم » وفي ذات الوقت نحارب غطرسة بعض العناصر غير العربية وأساءتهم إلى مركز العرب . وبخسهم لنصيبهم الشرعي من التضحية والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله . ولكن العرب هم كل شيء بالاسلام وإذا تجردوا من الاسلام فهم لا شيء يذكر . فلينتبه لذالك دعاة القومية . وليعلموا بأنهم في حربهم للدعوة الاسلامية يخدمون الاستعمار أجل الخدمات . من حيث

يشعرون أو لا يشعرون بل يكونون قرة عين للمبشرين والمستشرقين الذين وضعوا المخططات الجهنمية لمكافحة الاسلام واستلال عقيدته . من نفوس أهله والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

الكنيسة تتعاون مع الاستعمار

من المؤسف حقاً أن نجد الكنيسة ، ورجال الكنيسة ، يسيرون جنباً إلى جنب مع رجال الاستعمار لمكافحة الاسلام وحرب مبادئه ، وصد الناس عنها . وكان المؤمل العكس فالكنيسة المفروض فيها أن تكون صاحبة رسالة ، ورسالتها الايمان بالله ودعوة الناس اليه . وأنها يجب ان تحترم ، وتقدس جميع الاديان السماوية فكيف يسوغ لها أن تحارب ديناً يدعو إلى الايمان بالله وحده ، ثم يعمل على تكميل الانسان بالفضائل السماوية والاخلاق الربانية ويحارب الالحاد والاباحية والفساد في الارض .

ومن المؤسف أيضاً أن يكون هذا دين الكنيسة منذ القدم واليكم بعض ما جاء في كتاب نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين لمؤلفه محمد عبد الله عنان ص ٥٤ :

لبث المدجنون عصراً يتمتعون في ظل الحكم الانساني بامتيازات كثيرة ويعيشون في نوع من الامن والدعة بعيداً عن عصف الاهواء السياسية والقومية العنيفة . ولكن هذه الحال أخذت في التبدل منذ اتسع نطاق الفتوحات النصرانية في أراضي الاندلس وزاد عدد المدجنين في مختلف المناطق المفتوحة .

وكانت الكنيسة تبغض هذه الطوائف الاسلامية القائمة فى قلب المجتمع النصراني ، وتنقم على المدجنين هذه الدعة وهذا التسامح ، وترى فى احتفاظهم بدينهم ولغتهم ، نوعاً من التحدي المذموم ، وتأخذ على ملوك قشتالة وارجون تسامحهم فى معاملتهم وتسعى جاهدة لتحريضهم على اتباع سياسة الانتقام والعنف ازاء أولئك الرعايا المسالمين من المسلمين ومنذ اوائل القرن الثالث

تتوالى اوامر البابوية وقراراتها ضد المدجنين والحض على استرقاقهم أو تنصيرهم ومن ذلك ما أمر به البابا أنوسان الرابع فى سنة ١٢٤٨ م ملك ارجون خايمي الاول من وجوب استرقاق المسلمين فى الجزائر الشرقية » .

ولأن الكنيسة ورجالها نسوا أو تناسوا التسامح الإسلامي العظيم الذى كان يتمتع به النصارى الذين عاشوا فى ظل الحكم الاسلامي ولا اريد ان اكثر من الدلائل والنصوص على هذا الموضوع الا انني اكتفي بأن انقل فقرة مختصرة من نفس المصدر وهو كتاب نهاية الاندلس لعبد الله عنان قال فى صفحة ٥٨ « كان نظائر هؤلاء الاندلسيين المدجنين ، جمهرة من النصارى الاسبان يعيشون فى القواعد والثغور الاسلامية ويعرفون بالنصارى المعاهدين . أو المستعربين ، وقد لبثوا عصورا يتمتعون في ظل الحكم الاسلامى بضروب الرعاية والتسامح وكانت الحكومات الاندلسية حتى فى أزهى عصورها تحافظ على سياسة التسامح التي اتبعت ازاءهم وتقاليدهم القومية وتجانب اية محاولة لارغامهم على اعتناق الاسلام ، وكان من ضروب هذه الرعاية ، ان أنشىء فى ظل حكومة قرطبة منذ عهد الحكم بن هشام ، ديوان خاص للنظر فى شؤون اهل الذمة « النصارى واليهود » يتولاه كبير من الأحبار النصارى يطلق عليه « قومس أهل الذمة » وهكذا استطاعوا أن يحتفظوا بدينهم ، ولغتهم ، ومميزاتهم القومية والاجتماعية . وكانت حال النصارى فى ظل الحكم الاسلامى أفضل بكثير مما كانت عليه أيام القوط ، وكثيراً ما كان يعهد اليهم بمناصب القيادة والوزارة أو ينتظمون فى البلاد والحرس الملكي ثم قال : ومع ذلك فقد كانت منهم دائماً طوائف متعصبة تسيء استعمال هذا التسامح وتحاول بمختلف الوسائل أن تكيد للاسلام ودولته ، ومن ذلك ما حدث في عهد عبد الرحمن بن الحكم « اواسط القرن التاسع الميلادى » من الحوادث الدموية التى اثارها تعصب النصارى » .

ثم قال المؤلف : وهكذا فان النصارى المعاهدين ، لم يشعروا دائماً بالولاء ،

والاخلاص للدولة الاسلامية ، التي يعيشون في ظلها والتي توليهم كثيراً من رعايتها ، ورفقها ، وكانوا دائماً يتربصون بها وينتهزون الفرص لمناوأتها والكيد لها . ويستعدون عليها الوطن القديم كلما اضطربت شئونها وعصفت بهـا عواصف الثورة والحرب الاهلية وكانت أعظم خيانة ارتكبوها من هذا النوع في اواخر ايام المرابطين حينما دعوا الفونسو الاول ملك اراجون الملقب بالمحارب عقب استيلائه على سرقسطة . الى أن يسير إلى غزو الاندلس . بعد ما لأح من انحلال سلطان المرابطين فيها واستجاب ملك اراجون لتحريضهم . وسار مخترقاً الاندلس بجيوشه . والنصارى المعاهدون في كل قاعدة ينهضون الى معاونته بوسائلهم وذلك في سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) حتى انتهى إلى فحص غرناطة وحاصرها حيناً ثم غادرها إلى الجنوب ونشب القتال بينه وبين المرابطين فهزمهم ولبث حيناً يعيث في تلك الانحاء . والنصارى المعاهدون يهرعون إلى شد ازره ، ويمدونه بالاقوات والمؤن . ثم عاد ثانية إلى اختراق الاندلس إلى اراجون وقد انضم إلى جيشه آلاف من النصارى المعاهدين .

المؤتمرات المسيحية لمكافحة الإسلام في القديم

في اواخر القرن الحادي عشر المسيحي « القرن الخامس الهجري » دعا البابا أوربان الثاني إلى عقد مجمع بهيئة مؤتمر للرهبان لدراسة وسائل مقاومة انتشار الاسلام ومبادئه السامية باعتبارها تهدد الافكار المسيحة ، وتوقف نفوذ الكنيسة في كثير من الاقطار وانعقد المؤتمر فعلا ، وتدارس المنهاج الذى وضع له من قبل الرئيس الروحي لهم وهو البابا أوربان الثاني الذي ابى له حقده على هذا الدين ، الا ان يحمل عليه حملات شعواء ويحمل القسس والرهبان مسؤولية مقاومة تيار الاسلام الجارف ، الذى اخذت دعوته تجوب الآفاق ، وتغزو

العقول والقلوب فى شتى انحاء المعمورة . بما حير عقولهم ، وألبابهم ، عن السر الذى يكمن وراء الاسلام ، فهو ينتشر ويسير كالنور فى الظلام ومن غير ان يبذل اهله الجهد الكبير لانتشاره والتبشير بمبادئه . ويقابل هذا أن المسيحية ومن ورائها دولها الكبيرة المتعددة ، تمدها بالمال ، وبجميع وسائل التبشير ومع هذه الدول الجمعيات التبشيرية المنتشرة فى جميع الاقطار وحماس المبشرين انفسهم ، وبذلهم للنفس ، والنفيس فى سبيل عقيدتهم . ومع ذلك فتيار المسيحية واقف وتيار الاسلام يزحف في كل مكان . وهذا ما دعاهم الى استمرار اقامة المؤتمرات والمشاورات ، والمؤآمرات لمكافحة هذا الدين الشامخ الذى وقف لهم كالجبل الاشم وما انتطح به قبيل الاخسر وخاب وتحطم وقد جعلهم الاسلام يقفون صفاً واحداً أمام تيار زحفه ، وما التقت المسيحية بمذاهبها المختلفة من كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذكسية على شيء ، التقاءها على محاربة الاسلام وصد تياره ، ومقاومة افكاره التي ينشرها بين الناس .

وفى العصر الحديث

وفي العصر الحديث اقيمت عدة مؤتمرات مسيحية انتدب لها أكابر القسس والرهبان وأساطين المبشرين والمستشرقين ووضعت لها البرامج والمناهج لدراسة وسائل القضاء على الدعوة الاسلامية التجديدية ، التي كان يدعو اليها الشيخ المصلح جمال الدين الأفغاني رحمه الله وتلاميذه من بعده ومحاولة قبر هذه الدعوة فى مهدها ، قبل ان تعظم وتنتشر وتصبح خطراً يهدد الكنيسة ، ومبادئها وانصارها . وافكارها بزعمهم .

١ – ومن هذه المؤتمرات المسيحية مؤتمر القاهرة الذى انعقد فى سنة ١٩٠٦ فى منزل عرابي باشا وقد بلغ عدد مندوبي ارسالياته ٦٢ اثنين وستين مندوباً .

٢ – ومؤتمر اودنبرج سنة ١٩١٠ وقد ضم اكثر من ١٢٠٠ الف ومائتي مندوب منهم ٥٠٦ من الانكليز و ٥٠٥ من الامريكيين والباقون من الدول

المسيحية الاخرى وكان المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة سابقاً احد مندوبي ارسالية التبشير الامريكية الا انه ارسل اعتذاراً لعدم تمكنه من الحضور .

٣ — ومنها مؤتمر لكنو بالهند وقد انعقد في سبتمبر اى سنة ١٩١١ وشارك فيه ١٦٨ مائة وثمانية وستون مندوباً وممثلون عن ٥٤ جمعية تبشيرية بلغوا ١١٣ مائة وثلاثة عشر عضوا وكان رئيس هذا المؤتمر القسيس زويمر وهو رئيس المبشرين في الشرق واسمه الدكتور صمويل زويمر وهو من اعلام التبشير وكانوا يلقبونه « بالرسول المختار إلى العالم الاسلامى » ويريدون بذلك انه تكفل أمام جماعات التبشير بتحويل العالم الاسلامى عن عقيدته !!! .

وقد بلغ الخامسة والثمانين ومات سنة ١٩٥٢ ولم يؤثر على مسلم واحد ويحوله من دينه إلى النصرانية وكان رئيساً للمبشرين في الشرق . وقد خطب فى هذا المؤتمر ودعا إلى البحث عن الوسائل التى يمكن بها مقاومة الاسلام وعرقلة سيره . ومما قال فى خطابه كما جاء فى مجلة العالم الاسلامى :

ان الاسلام تمخض عن حوادث خارقة لم يسبق لها نظير وان الامور الاسلامية دخلت فى قالب يلائم العصر ازداد به التمسك بمبادىء الاسلام وانتشر الاسلام بافريقيا والهند الغربية . والجزائر الجنوبية . ثم قال :

ان هذه الحوادث تحتم على الكنيسة ان تعمل بحزم وجد وتنظر فى امر التبشير والمبشرين بكل عناية الخ .

٤ — ومنها مؤتمر القدس الذى دعا اليه القسيس زويمر نفسه ابان الاحتلال البريطاني لفلسطين وخطب فيه تلك الخطبة المشهورة والتى حدد فيها اغراض التبشير وظهر منها كيف ان الكنيسة تتعاون مع الاستعمار لمحاربة الاسلام ، واليكم خلاصة هذه الخطبة بكلماتها وحروفها وارجو ان يتدبرها كل مسلم حق التدبر قال هذا القسيس بعد ان سمع إلى خطب كثير من المبشرين اليائسة والدالة على افلاس التبشير فى البلاد الاسلامية .

« ايهـــا الأخوان الابطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد فى سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الاسلام فاحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس لقد اديتم الرسالة التى نيطت بكم احسن اداء ووفقتم لها اسمى التوفيق وان كان يخيل إلي انه مع اتمامكم العمل على اكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الاساسية منه .

انى أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين . لقد كانوا كما قلتم احد ثلاثة .... اما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الاسلام او رجل مستخف بالاديان . لا يبغي غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش وآخر يبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية . ولكن مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ، ليست هى ادخال المسلمين فى المسيحية ، فان فى هذا هداية لهم وتكريما — هكذا — وانما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله — وبالتالي فلا صلة تربطه بالاخلاق التى تعتمد عليها الامم فى حياتها وبذلك تكونون انتم بعملكم هذا طليعة الفتح الإستعماري في الممالك الاسلامية . وهذا ما قمتم به فى خلال الاعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما اهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً كل التهنئة .

لقد قبضنا ايها الاخوان فى هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الاسلامية ونشرنا فى تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس ، والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التى تهيمن عليها الدول الاوروبية والامريكية والفضل اليكم وحدكم ايها الزملاء انكم اعددتم بوسائلكم جميع العقول فى الممالك الاسلامية إلى قبول السير فى الطريق الذى مهدتم له كل التمهيد . انكم اعددتم شباباً فى ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد ان يعرفها واخرجتم المسلم من الاسلام

ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النش ء الاسلامي طبقاً لما اراده له الاستعمار لا يهتم للعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في دنياه الا فى الشهوات فاذا تعلم فللشهوات واذا جمع المال فللشهوات وان تبوأ اسمى المراكز ففى سبيل الشهوات يجود بكل شيء .

ان مهمتكم تمت على اكمل الوجوه وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضي عنكم الاستعمار فاستمروا فى اداء رسالتكم فقد اصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب » .

هنا انتهى هذا الخطاب وقد افصح فيه هذا القسيس عن اغراض التبشير وبرامج التعليم بشكل فاضح واضح والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

المؤتمر المسكوني الجديد واسرائيل

التاريخ دوماً يعيد نفسه . وها ان الصليبية تجدد عزمها وحزمها . وتجمع قواها المشتتة وفرقها المبعثرة ، والمتخاصمة لتجعلها صفاً واحداً تقف به لمقاومة الاسلام ومكافحة دعوته الزاحفة .

وها هو البابا الحالي يدعو بدوره لعقد مؤتمر يتدارس فيه الوسائل الناجحة ، لعرقلة سير الزحف الاسلامي في افريقيا وآسيا وامريكا الشمالية . وها هو يعتبر ان الاسلام يجب ان تقاوم افكاره وعقائده وتعاليمه مثل ما يقاوم الالحاد مثلا بمثل . بل ربما نظروا إلى خطر الاسلام اشد من نظرهم إلى خطر الشيوعية الملحدة الكافرة وإلى القارىء الكريم تفصيل الخبر .

لقد قرأت في جريدة الحسنى التي تصدر في المغرب بعددها رقم ٣٠ تاريخ ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٨٢ مقالا افتتاحيا للاستاذ السيد ابو بكر القاردي جزاه الله كل خير وبارك فيه ونفع به وكان مقاله بعنوان :

الكنيسة تتهيب الزحف الإسلامي
فما موقف قـــادة المسلمـــين

قال فيه : قرأت في جريدة العلم الغراء اخيراً أن البابا يوحنا الثالث والعشرين يعمل على عقد مؤتمر مسيحي يضم احبار النصارى ، ورؤساءهم الدينيين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم . لدراسة ماجد من احداث . وما طرأ على العالم الانساني من تقلبات ، وتأثير هذه التقلبات على المعتقدات المسيحية والدعوات التبشيرية التي تقوم بها الكنيسة الصليبية خصوصاً امام هذه الموجات الإلحادية ، والنظريات المادية التي اصبحت تغزو كثيراً من انحاء المعمورة ، والتي اصبح يتأثر بها كثير من الناس ، ويتضاءل بسببها الوازع الديني في النفس ثم قال الكاتب وفقه الله وهنا موطن العبرة ومحل الاستشهاد فليتدبره المسلمون : لو اقتصر جدول الأعمال على هذه النقطة ، أو ما يتصل بها من بعيد أو قريب لما وجدنا انفسنا مضطرين إلى هذا التعليق الا بما يدعونا اليه الواجب الديني من مكافحة الالحاد والزيغ عن اتباع الدعوات السماوية .

ولكن العجيب حقاً أن يضاف إلى النقطة المذكورة نقطة أخرى ، لا تقل في نظر البابا والكنيسة خطراً عن سابقتها ألا وهي : انتشار الاسلام في آسيا وافريقيا وامريكا الشمالية انتشاراً من شأنه أن يهدد الفكرة الصليبية ويثبط دعوات المحبة التي يقوم بها رسل الكنيسة !! .

إن الكنيسة التي تقول : انها تخشى من انتشار الافكار الالحادية . والتنكر للاديان . ترى أن انتشار دين التوحيد . والاخوة والسلام . الدين الذي لا يعتبر الا امتداداً للرسالات التوحيدية التي اتى بها الرسل الاولون . من نوح . إلى المسيح عليهما السلام وعلى جميع الرسل وعلى رسولنا افضل الصلاة وازكى التسليم ترى له من الخطر والضرر ما يوازي خطر الالحاد ورفض الرسالات السماوية .

أن مثل هذه النظرة التى تنظرها الكنيسة الى ديننا السماوي السمح تدعونا للكثير من الانتباه وكثير من الحذر ، وكثير من الدراسة كذلك . ثم قال :

فكأنى بأولئك الاحبار ، لم يستطيعوا أن ينسلخوا عن تلك التعاليم ، التى زودهم بها آباؤهم ، واجدادهم الاولون والتى كانت كلها حقداً وكراهية للاسلام وافتراءً وبهتانا على المسلمين وعلى رسولهم الاعظم صلى الله عليه وسلم

كأنى بهم وقد رأوا هذه الشعوب الاسلامية استيقظت من سباتها ، واستعادت كرامتها ، وصارت تعمل على بناء مستقبلها وتدعم كيان مجتمعها ، وتعمل على ابراز حقيقة دينها . فهالهم هذا الاستيقاظ ، وغاظهم استعادة الكرامة ، وخشوا من ان يستعيد الاسلام مكانته ويتبوأ مكانه ، وينشر ظلاله لقد هالهم ان دعوة الاسلام وبساطة الاسلام . وروح الاسلام تجد طريقها إلى النفوس فتهدي الحائر وتأخذ بيد الضال وتنقذ التائهين ، في بيداء الجهل والوثنية هالهم كل ذلك فى الوقت الذى يدعون ، انهم مشفقون من انتشار موجة الالحاد ، متألمون من التنكر للاديان . بينما هم يتنكرون لاشرف الاديان ، الذى أتى بخلاصة التوحيد وأقر برسالات جميع المرسلين . وجعل شعاره الاخوة والمحبة . والسلام . ان عقليات هؤلاء المتشبعين بروح التعصب والكراهية تدلنا دلالة قاطعة ، على أن دار لقمان لا زالت على حالها وأن الفكرة التى كانت تسيطر على امثال البابا أوربان الثانى والقسيس المبشر زويمر ، هى نفس الفكرة التى تسيطر على المسؤولين ، عن الكنيسة اليوم ، ولقد مات البابا الذى دعا فى هذا العصر إلى وحدة المسيحية ووقوفها ضد المد الاسلامى ، فى افريقيا ، وامريكا الشمالية ، وآسيا ، ثم جاء خلفه البابا الجديد بولس السادس فدعا إلى المجمع المسكوني وقد نشرت مجلة الاسبوع العربي التي تصدر بلبنان خبر هذا المؤتمر فى عددها ٢٢٦ من السنة الخامسة للمجلة والصادر فى يوم الاثنين ٧ تشرين الاول ١٩٦٣ تحت عنوان :

« ٢٤٢٧ شخصية دينية يلتقون فى المجمع المسكونى »

قالت المجلة :

«لا تزال العاصمة الايطالية فى ذروة ضجيجها، ثم قالت على أن روما شهدت منذ اسبوع زواراً جاءوا من أجل « الرب » فقط ولعله لم يسبق لمطار « فيوميشيونو » ان استقبل مثل هذا العدد الكبير من زعماء الكنيسة المسيحية فقد مر به من مختلف انحاء العالم ٢٤٢٧ أسقفاً ومطراناً ، وزعيماً دينياً منهم ٧٥ كردينالا و ٦٥٪ من رؤساء الرهبنات وكان الجميع يتجهون إلى الفاتيكان بشيء كبير من الفضول لحضور الدورة الثانية لمجمع الفاتيكان المسكونى الثانى الذى توقفت دورته الأولى في ٨ كانون الاول « ديسمبر » الماضى وتأخر انعقاده بسبب وفاة البابا وانتخاب بابا جديد » .

ثم قالت المجلة فى آخر مقالها :

« وقد بدأ المجمع يدرس موضوع طبيعة الكنيسة على ضوء الاقتراحات المقدمة من اجل تطويرها وسيبدأ بعد ذلك فى دراسة الاصلاحات المقترحة للنظام الكنسي ثم مسألة اعادة الوحدة المسيحية واخيراً موضوع صلات الكنيسة مع العالم الحديث .

وبالطبع فان المجمع يواصل دورته في جو من الكتمان ولكن الاجراس التى دقت جميعاً فى الكاتدرائية اعلاناً لافتتاح الدورة كانت تحمل الى المراقبين رسالة واضحة وهى أن بول السادس يوسع الباب الذي فتحه يوحنا الثالث والعشرين انتهى» .

وانتهت هذه الدورة ولم يعلن شيء من قراراتها ومن الجائز أنها أعلنت ولكننا لم نطلع عليها ولا يهمنا ما تتخذ من مقررات وتوصيات وما تضع من مخططات لصالح أممهم ودينهم وحاضرهم ومستقبلهم ولكن الذي يهمنا من الامر هو الجانب الذي يتخذ ضد الاسلام وضد مصالح المسلمين فمن حقنا أن نعلمه وأن نبحث عنه وأن نرد عن انفسنا وديننا ومصالح أمتنا .

وها هو المجمع المسكوني يعقد في هذا العام اجتماعه الثالث بدعوة من البابا

بولس السادس وتحت رياسته انعقدت الجلسات ، وتعددت الاجتماعات ، في عاصمة الفاتيكان بايطاليا ثم خرج المجمع المسكوني الثالث بقرار عجيب وغريب ، وكان العجب فيه عند المسيحيين العقلاء قبل المسلمين . اذ خرج هذا المجمع بقرار تبرئة اليهود المجرمين من دم المسيح الطاهر عليه الصلاة والسلام . ولا شك ان هذه خطوة صهيونية ومكيدة من مكائد اليهود ضد النصارى . فالنصارى يقرأون أناجيلهم منذ الفي سنة وهي تقرر الصلب وتدين اليهود بهذه الجريمة — بزعمهم — وشعار النصارى الصليب . والصليب رمز لصلب السيد المسيح على يد اليهود الآثمين — فماذا عدا مما بدا ؟ ! حتى يأتي اليوم هـذا المجمع فيصدر مثل هذا القرار الذى سيشكك اول ما يشكك شباب النصارى فى دينهم اذ أصبح العوبة بيد هؤلاء القسس والرهبان فيقررون ما يشاؤون ويغيرون ويبدلون .

ان هذا القرار له ما بعده . ولقد حركته الصهيونية العالمية واستخرجته من هؤلاء المجتمعين تحت رياسة زعيم الكنيسة الكاثوليكية البابا بولس السادس والذى يكمن وراء هذا القرار هو جلب عطف المسيحية العالمية على اليهـود وتبييت نية التعاون معهم فى أوسع المجالات ، ثم يعقبه اعتراف دولة الفاتيكان وعلى رأسها البابا بدولة العصابات اليهودية فى فلسطين العربية .

ومن ثم يعقبه اعتراف الدول الكاثوليكية باسرائيل لان اكثرها يتبع فى سياسته الخارجية سياسة الفاتيكان ومنهـا أسبانيا إذ لم تعترف حـتى الآن باسرائيل .

وهنا لا أريد أن أطيل الحديث عن هذا الموضوع الخطير ولكنني وددت القاء بعض الاضواء على المخططات والمؤامرات التي يسهر عليها ويدبرهـا رجال الكنيسة الكاثوليكية بالذات الذين اتسموا بالحقد الدفين ضد الاسلام والمسلمين .

واكتفي للرد على هذا القرار الذى اتخذه المجمع المسكوني واثني فيه ثناء

عاطرا على أحبائه واوليائه اليهود ، أكتفي برد رابطة العالم الاسلامي اذ صدر قرار المجمع والرابطة مجتمعة في دورتها الخامسة بمقرها بمكة المكرمة وقد ناقشنا قرار المجمع هذا وعلمنا ما سبقه من ملابسات وبعد المداولة قرر المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي «وأنا احد اعضائه» أن يصدر البيان الاتي ردا على قرار المجمع المسكوني الآنف الذكر .

بيان من المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة حول قرار المجلس المسكونى

استعرض المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي المنعقد في دورته الخامسة بمقر الرابطة بمكة المكرمة القرار الذي اصدره المجمع المسكوني المنعقد في مدينة الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم السيد المسيح وقرر اصدار البيان التالي :

طالعتنا الصحف يوم أمس بقرار صادر عن المجمع المسكوني بأغلبية ساحقة يقضي بتبرئة الشعب اليهودي من صلب نبي الله المسيح عليه السلام ، وقد سبق هذا القرار محاولات خفية وظاهرة قامت بها الدوائر الصهيونية والقوى — الإستعمارية الضالعة معها زمنا طويلا لاصدار هذه التبرئة ، الامر الذى ينفى عن هذا الموضوع أى صفة دينية ويجعله مجرد حركة سياسية ترمي لضمان تأييد العالم المسيحي للفكرة الصهيونية وما تبيته من شرور للاسلام والعرب بل للانسانية قاطبة ، ولا يسعنا فى هذا المقام الا ان نسجل تقديرنا لموقف الاساقفة الشرقيين وغيرهم الذين حاولوا جهدهم منع صدور هذا القرار تكريما لدينهم وعقائدهم ان تكون العوبة في يد اليهود واعوانهم .

اننا نؤمن ايمانا لا يتزعزع برأي الإسلام الثابت في قضية الصلب حيث جاء

في القرآن الكريم « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » كما لا يزيدنا إقدام المسيحيين على تبديل عقائدهم ، وتحوير شرائعهم ، تحت تأثير الشهوات والاهواء . الا استمساكاً بما أنزل الينا من كتاب لا يتغير ولا يتبدل ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، واننا لنعجب أشد العجب ان تسمح الشعوب المسيحية لحفنة من القادة الذين تأثروا بنفوذ الصهيونية الخادعة وتعاونوا معها الى درجة العبث بالعقائد الدينية الموروثة ونقض ما كان عليه اسلافهم طوال ألفي سنة مما يقوي الشكوك التي تروج لدى الكثيرين من المسيحيين أنفسهم فى صحة كتبهم وعقائدهم ، وتعطي سلاحا جديدا للقوى الالحادية والمادية التى تسخر بالشرائع المسيحية وتعمل على نقض عراها واحدة بعد الاخرى..

واذا كان بعض اقطاب الكنيسة الكاثوليكية قد اكتشفوا بعد عشرين قرناً أن كتبهم المقدسة عندهم كانت تقوم على خطأ ، وان اليهود لم يتعرضوا لنبي الله عيسى بأي أذى فماذا تراهم يقولون فى أنواع الاضطهاد التى صبها اليهود على المسيح عليه السلام منذ ان جهر برسالته الكريمة ؟ إلى أن رفعه الله تعالى اليه ! . وماذا تراهم يقولون عن المجازر الدموية التى أوقعها اليهود بأتباعه فى كل بقعة كان لليهودية فيها سطوة ، وسلطان ، طوال قرون عديدة ؟ بل ماذا يقولون فيما تنقله الصحف ووكالات الانباء العالمية فى هذه الايام عن اضطهاد السلطات اليهودية فى اسرائيل المزعومة للرعايا المسيحيين ؟ واغتصاب كنائسهم وممتلكاتهم ، . وزج رهبانهم فى السجون بدعوى ان اسرائيل وطن للشعب اليهودي وحده ولا يجوز أن يمارس على ارضها دين غير الدين اليهودي .

انه من المؤسف حقا أن ينسى قادة الكنيسة الكاثوليكية هذه الحقائق الثابتة لديهم قديما وحديثا ، ويعرضوا دينهم لنكسة كبرى ، لم يسبق لها مثيل في

تاريخ الاديان . ارضاء للصهيونية العالمية . ولحفنة من رجال السياسة الذين وقعوا تحت تأثيرها الخادع اندفاعا وراء مآربهم السياسية .

واذا كانت الصهيونية العالمية قد نجحت فى التأثير على اقطاب الكنيسة الكاثوليكية لاتخاذ هذا القرار فان ذلك يعني ان هذه الكنيسة فى عهدها الجديد اصبحت على استعداد لأن تسير فى اتجاه موال للصهيونية . معاد للاسلام والعرب وعلى الأمة الاسلامية ان تكون على استعداد لمواجهة خطوات عدائية اخرى فى هذا الاتجاه .

إن على الكنيسة الكاثوليكية أن تذكر ان استمرار هذه السياسة العدائية التى لا تحمل أى مجاملة للمسلمين والعرب . ليس من شأنها الا إثارة العداء بين العالمين الاسلامي والمسيحي . وربما كانت هذه هي الغاية التي يريدها اليهود ، ولا شك ان متابعتها يمكن ان تجر اضرارا بعيدة المدى على الكاثوليكية كدين . لان اتباعها من المسيحيين العرب سيكتشفون حتما ان دينهم ومقدساتهم قد استحالت الى مطية للاغراض السياسية ، اما دولة الفاتيكان فان مصالحها فى بلاد الاسلام يمكن ان تتعرض لاذى بليغ لاسيما وأن لها فى بلادنا مؤسسات. ورعايا يتمتعون بالحماية الكريمة ، والضيافة الحسنة التى اسبغها عليهم المسلمون والعرب ، خلال القرون . ولا سيما فى أزمنة مظلمة ، كانت المذاهب والفرق المسيحية المختلفة يضطهد بعضها بعضا . فما وجد الجميع غير ديار الاسلام ملاذا وحمى المسلمين مأمنا .

ان المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي اذ يستنكر الدوافع السياسية الخبيثة الكامنة وراء هذا القرار ليهيب بالمسلمين ، حكاما وشعوبا . ان يعتبروا. ويزدادوا ثقة بدينهم . وأن يوحدوا كلمتهم ويجمعوا صفهم ، تجاه هذا الحلف الشرير ، وان يدركوا أن تآزرهم واجتماع أمرهم هو العصمة لهم من المكائد والشرور بعد عون الله تعالى وتأييده (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) .

٢٠ رجب ١٣٨٤ — ٢٤ نوفمبر — تشرين الثانى — ١٩٦٤ م .

المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي مكة المكرمة

العرب في شقاق دائم ما لم يعودوا إلى الإسلام

هذا بحث نشرته لي جريدة البلاد الغراء التي تصدر بجدة بعددها ١١٥٧ وتاريخ ١٣٨٢/٦/١٩ هـ . الموافق ١٦/ ١٩٦٢/١١ م . وكان على اثر حديث جرى لي مع بعض الشباب بمدينة الرياض ولارتباط هذا البحث بموضوعات كتابي هذا أحببت ان ألحقه فيه لتتم به الفائدة ، والله الموفق .

الصواف

حديث الناس اليوم وقبل اليوم ما يجري على الصعيد العربي من مشاقات عنيفة ، وخصومات سافرة ، ومشاحنات ماكرة ، تعدت حدود اللياقة والادب والدين ، وتجردت حتى من الانسانية .

وفي غمرة الاحاديث المختلفة سألني أحد الجالسين ما تقول يا فلان عن هذا الوضع المزري الذي نحن فيه والذي جعلنا اضحوكة أمام العالمين ، واشمت بنا اعداءنا وخيب فينا آمال ورجاء اخواننا وأصدقائنا في كل مكان ؟ اما لهذا الليل من آخر . اما لهذه المهازل من نهاية ؟

قل لنا بربك رأيك فيها بصراحة تامة . فقلت له خذها مني صريحة واضحة لا لبس فيها ولا غموض . وسأقولها لك واعلنها للناس لعل الله ينفعنا بما نقول وبما نبدي من آراء خالصة لوجه الله عز وجل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

ايها الاخ : ان الشقاق بين العرب سيبقى دائما ومستمرا ومستعصيا ومتفاقما ما لم يعودوا الى الاسلام ويحتكموا الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويتأدبوا بآدابهما ويتخلقوا باخلاقهما حكاما وشعوبا وسيزداد بينهم التخاصم ويشتد بينهم التناحر وربما عاد عليهم بما لا تحمد عقباه ، وسيجر عليهم الويل والثبور ، ويصل بهم الى الهاوية والدبور . ما داموا ينفذون المخططات الاستعمارية في مكافحة الاسلام من حيث يشعرون او لا يشعرون فقال السائل : وكيف تحكم عليهم بهذا الحكم القاطع والعرب هم العرب في ماضيهم المشرق وأيامهم الخالدة وتاريخهم المجيد ، وصفحاتهم الناصعة البيضاء ؟

فقلت له : ان قولي هذا لم يكن مجرد رأي أبديه ، ولا هوى اتبعه واعوذ بالله من شر الهوى ، بل هو رأي يستند الى الكتاب والسنة والتاريخ وحوادث الدهر وشواهد الزمان وواقع الحال ، فقال السائل : وضح رأيك وهات ادلتك التفصيلية لنكون على بينة من الامر ونستيقن بما تقول ان كان هو الحق وثبت لنا بالدليل والبرهان القاطعين .

فقلت له : خذ الجواب مني مفصلا بعض الشيء والله الهادي الى سواء السبيل.

ياأخي لقد كنا قبل الاسلام عربا ، فكنا شعوبا وقبائل ، وعمائر وبطونا ، وافخاذا وفصائل ، وكنا نتخاصم ونتقاتل ونتشاحن ويغزو بعضنا البعض الآخر ويستبيح بعضنا دم أخيه وعرضه وماله وتنشب بيننا الحرب الدامية الضروس . وقد تدوم مائة عام او تزيد ، والنار مشتعلة والقلوب ملتهبة والنفوس محترقة ولا رحمة ولا تواصل بل تدابر وتقاطع وتحاسد وتباغض . حتى اكل بعضهم

بعضاً وتفانوا بعد ان الهاهم التكاثر حتى زاروا المقابر . وعدوا الاموات الدوابر ليكثر عدد القبيلة ويعلنوا الفخر الكـاذب والتعالى المصطنع على اعدائهم وخصومهم من اخوانهم وابناء عمومتهم وخؤولتهم . ووأدوا البنات خشية الفقر أو خوف العار ، وسودوا صفحات تاريخهم بأحلك الصفحات واكبر السيئات . لم تجمعهم جامعة ولم تؤلف بينهم رابطة ، تفصل بينهم الصحراوات وتباعد بينهم الخصومات والعداوات ، حتى طمع فيهم عدوهم واستعمـر ارضهم وديارهم فالروم من جهة والفرس من جهة اخرى والمناذرة في صقع والغساسنة فى صقع والروم تسير هؤلاء فيأتمرون بامرهم وينفذون حكمهم . والفرس تحرك اولئك وتسيرهم بعصاها السحرية وتجعلهم إلباً على اخوانهم وبني عمومتهم وتفرق بين الاخ واخيه والوالد وبنيه وبقي الحال على هـذا المنوال من التمزق والتفرق ، حتى جاءنا الله بهذا الاسلام وأكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم فجاء الخير كله الى العرب وفتح الله عليهم ابواب الرحمة ومنافذ المجد ومعارج الكمال ومدارج العز حتى اصبحوا خير أمة اخرجت للناس تحمل الرسالة الى امم الارض وتبلغ الامانة وتجاهد فى الله حق جهاده وتدعو الى الله على بصيره وتخلص العباد من عبادة العباد الى عبادة الله الواحد القهار وملأوا الارض عدلا واحسانا ونورا ، وضياءا وخيرا بعد ان كانت قد ملئت جورا وظلما وشرا وشركا وظلاما .

لقد كنا يا اخى قبل الاسلام عربا – كما قلت لك وكنا شعوبا وقبائـل وعمائر وبطونا وافخاذا وفصائل فلما جاءنا الاسلام اصبحنا بفضله أمة كاملة تحمل معها مقومات البقاء وعناصر الخير والحياة وكنا خير أمة واصدق أمـة وارحم أمة واشجع أمة ، وأكمل أمة ، وأوصل أمة واسعد أمة وأمثل أمـة وأهيب أمة واعز أمة ، وأخلد أمة وأبر أمة . وأقوم أمة واعلم أمة وانبه أمة فى العالم . تؤمن بالله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتجاهد في الله حق الجهاد قال تعالى :«كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» .

وقال تعالى : (ان هذه امتكم أمةواحدة وأنا ربكم فاعبدون) هكذا اصبحنا بشهادة الله عز وجل لنا وبفضل هذا الاسلام العظيم وهو رسالتنا الخالدة ، ودعوة الله الماجدة التى تعلي شأن من تمسك بها وتتكفل بنصره اسعاده فى الدنيا والآخرة. كما أنها تهدد من تركها وتنذره بالويل والثبور والخزي والدبور في كل الامور جزاءا وفاقا وما ربك بظلام للعبيد بل ينذر الحق تبارك وتعالى الامة اذا تولت عن رسالتها وادبرت عنها واستعاضت عنها بدعوة اخرى كائنة ما كانت تلك الدعوة ينذرها بأن يسلب منها الامانة ويحملها قوما آخرين من الامم ويدع الامة الجاحدة خالية خاوية على عروشها كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار . قال تعالى :«وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم » .

ولله تبارك وتعالى أقوام آخرون غيرنا فى السماوات والارض فيحمل الامانة من شاء منهم ولكننا نحن ان تولينا عن الله فأين نذهب ؟ واين نولي وجوهنا ؟ والى من نلتجىء وبمن نعتصم؟وليس لنا الارب واحد لا إله الاهو ولا معبود سواه هو الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد . اين نذهب ان تولينا عن الله العظيم الكريم ؟ انذهب الى الشيطان نجعله لنا اماما وقدوة ليضلنا عن سواء السبيل ؟ ام نذهب الى الكفرة المارقين الذين يجعلون لله انـدادا وشركاء؟وهل سنصل بعدها الاالى جهنم وساءت مصيرا .ونستبدل الذي هو أدنى بالذي هوخير فننقلب خاسرين خاسئين متدابرين ومدبرين ونعوذ بالله من شر الشيطان وشركه ، وشر جهنم ، وشر الدبور والنكول . لقد تولينا يا اخى عن رسالتنا فتولى الله عنا ووكلنا الى انفسنا ونسيناه فنسينا وانسانا انفسنا حتى تهنا فى بيداء الضلالة وتولى امورنا وحكمنا فى اكثر ديار الاسلام رؤساء جهال اعداء لامتهم وخصوم لدينهم دعاة إلى ابواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها .

العرب في شقاق دائم

لقد عدنا يا أخي عرباً كما كنا قبل الاسلام فعدنا كما كنا شعوباً وقبائل وفصائل وحمائل وبطوناً وافخاذا .

نتقاتل ونتخاصم ويعدو بعضنا على الآخر عدو الأسد ويحاول احدنا ان يفترس الآخر افتراس الذئب ولا يرعى أحدنا للآخر إلاّ ولا ذمة ، وتقاطعنا وتدابرنا وتباغضنا وتحاسدنا وتخاصمنا تخاصم الالداء . لقد عدنا يا اخي عرباً كما كنا قبل الاسلام فعادت الينا الجاهلية الجهلاء والعصبية العمياء ..

وجاهلية اليوم اشد فتكاً وأنكى من جاهلية الامس وجاهلية اليوم ماكرة خبيثة جعلت للكفر والالحاد فلسفة .

لقد عدنا يا أخي عربا كما كنا قبل الاسلام فرفعنا شعارات الجاهلية ونعراتها وتنكرنا لدعوة الاسلام بل نحرنا دعوة الاسلام من الوريد إلى الوريد ونفّرنا الشعوب منها وحذرنا الناس وابعدناهم عنها وسمينا دعاة الاسلام رجعيين وعملاء فنحن اليوم دعاة عروبة وانصار عصبية وأئمة قبلية وقادة جاهلية فكيف لا نتخاصم ولا نتقاتل ؟ وكيف لا يدوم الشقاق بيننا ما دمنا في هذه الجاهلية الجهلاء التي تنكرت للاسلام وسمته رجعية ، وابعدته عن كل الميادين وحجرته في المساجد . وفي المساجد راقبته بجواسيسها وخدامها المشاركين للظالمين في الاجرام ؟ .

لقد خدعت الشعوب المسكينة بهذه الدعوة البراقة دعوة القومية وظنوها وطنية وحماسة صافية لمصالحهم ومصالح بلادهم وما عرفوا انها الخدعة الكبرى في هذا العصر وقد استطــاع دعاتها وحملة فكرتها واكثرهم من دعاة الصليبية وحملة السموم التبشيرية استطاعوا ان يبعدوا الاسلام ويجعلوا اهله يتنكرون له ويرونه خطرا ومعوقاً لتقدمهم المزعوم .. وهم ان تقدموا فانما

يتقدمون إلى الهاوية وان ساروا فانما يسيرون إلى الوراء وإلى الحيرة والضلال .

لقد عدنا يا اخي عربا فكثرت بيننا الدعوات وانتشرت تبعاً لها المشاكل والخصومات عم الشقاق وزاد النفاق ، ودهمنا البلاء حتى شمل جميع الارجاء واسمع لقول الحق تبارك وتعالى اذ يقول :

« فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة . ونحن له عابدون » .

قال صاحب الكشاف : «ان الآية تعريض بأهل الكتاب وتبكيت لهم ».
وقال صاحب المنار رحمه الله في تفسيره :

«ان اهل الكتاب يؤمنون بالله وبما انزل على الأنبياء ولكن طرأت على ايمانهم بالله نزعات الوثنية وأضاعوا لباب ما انزل على الانبياء وهو الاخلاص والتوحيد وتزكية النفس والتأليف بين الناس وتمسكوا بالقشور وهي رسوم العبادات الظاهرة ونقصوا منها وزادوا عليها ما يبعد كلا منهم عن الآخر ويزيد في عداوته وبغضائه . ففسقوا عن مقصد الدين من حيث يدعون العمل بالدين فلما بيّن الله حقيقة دين الانبياء وانه واحد لا خلاف فيه ولا تفريق . وان هؤلاء الذين يدعون اتباع الانبياء قد ضلوا عنه فوقعوا في الخلاف والشقاق . وقد امرنا الله سبحانه وتعالى ان ندعوهم إلى الايمان الصحيح بالله وبما انزل على النبيين والمرسلين بأن يؤمنوا بمثل ما نؤمن نحن به ونترك التفرق والشقاق .

وقوله تعالى : « فان تولوا » اى اعرضوا عما تدعوهم اليه من دين الانبياء ولبابه بايمان كايمانكم « فانما هم في شقاق»ها هنا موطن العبرة ومحل الشاهد والتمثيل في موضعنا الذى نحن بصدد شرحه وبيانه للناس . أى أن أمرهم سينحصر في العداوة والمشاقة ما داموا بعيدين عن الايمان الصحيح والاسلام الصحيح .

ثم قال تعالى فى آخر هذه الآية :

«صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون» أي فطرة الله التى فطرنا عليها وفطر عليها الانبياء والمرسلين ولا احسن من صبغة الله تعالى فهي جماع الخير الذى يؤلف بين الشعوب والقبائل ويجعلها امة واحدة متحابة في الله متآخية فى الله : (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم) وبها يزكي الله النفوس ويطهر القلوب والعقول .

واما ما اضافه اهل الكتاب إلى الدين من آراء احبارهم ورهبانهم وما نسبه الى الاسلام المبتدعون من بدع وخرافات او من ضلالات حديثة كنسبة الاشتراكية العربية المزعومة او النعرات القومية الى الاسلام . فهذا كله من الصفة الانسانية والصبغة البشرية التى جعلت الدين الواحد مذاهب متفرقة ومفرقة والامة الواحدة شيعا متنافرة متناحرة متمزقة .

اما نحن معاشر المسلمين ودعاة الفكرة الربانية (فنحن له تعالى وحده عابدون ساجدون شاكرون حامدون ولا نرضى ان يزيد احد في ديننا أو ان ينقص منه أو ينسب اليه اشياء ليست منه ولا هو منها في شيء ونحن نؤمن بصبغة الله وحدها التي فطرنا الله عليها ونكفر بالصبغة البشرية التي تبعدنا عن صبغة الله . وتقضي بيننا بالباطل وتنسب إلى الاسلام ظلما ما ليس منه وتغلف الضلال وتسميه بكل اسف اسلاما اذ تفتري على الاسلام جهارا ونهارا وتريد أن تحمل الناس على الايمان بان هذا الافتراء من صميم الاسلام او هو الاسلام نفسه وحاشا لله ان تكون القوانين الوضعية او المبادىء التى صدرها الينا قوم كافرون واستوردها منهم تلاميذهم المخدوعون .

حاشا لله ان تكون من صبغة الله وهي من صبغة البشر والبشر هو البشر يزل ويضل ويخطىء ويصيب ولا يمكن ان يهتدي إلى الحق الا اذا هداه الله اليه ومكنه منه .

هذا الدليل يا اخى من كتاب الله ورأيت فيه كيف أن الذين لا يؤمنون بمثل ايمان المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الاخر وبالقدر خيره وشره .

فانما هم فى شقاق دائم وبلاء مقيم . واليك الدليل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته المطهرة .

ذنوب وعقوبات

لقد اخذت الدليل من كتاب الله وهاك الدليل من حديث رسول الله صلوات الله وسلامه على النبي المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى «ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى» .

فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا معشر المهاجرين خصال خمس ان ابتليتم بهن ونزلن بكم اعوذ بالله ان تدركوهن :

١ — لم تظهر الفاحشة فى قوم قط الا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى اسلافهم .

٢ — ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان .

٣ — ولم يمنعوا زكاة اموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا .

٤ — ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فيأخذ بعض ما في ايديهم .

٥ — وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم . رواه البيهقى وروى نحوه الحاكم وابن ماجه .

هذا حديث خطير يقرر اموراً خطيرة وقد رآها الناس ولا يزالون يرونها رأي العين وهو من معجزات رسول الله وكلماته الخالدة التي تنطق بنبوته وتشهد برسالته وعظمته صلى الله عليه وسلم . وقد حذر امته وهو الرحيم بها الحريص على مصالحها ومستقبلها .. المشفق عليها من غضب الله وعذاب الآخرة .. وخزي الدنيا وعذابها ولم يترك الدنيا صلوات الله وسلامه عليه حتى اكمل الله على يديه دينه واتم رسالته وبلغ الرسالة وادى الامانة وجاهد في الله حق جهاده . وما ترك من شيء يقرب امته من النار الا حذرها منه ونهاها عنه ونفرها منه .

وانظر اخي إلى الخصلة الخامسة من الحديث الشريف وهي قوله عليه الصلاة والسلام : « وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم » وصدق رسول الله وهو الصادق الامين والنبي الحكيم فقد جعل الله بأسنا بيننا شديد فغمرنا الشقاء وعمنا البلاء وزاد الشقاق وكثر التخاصم وقل التراحم واخذ بعضنا يكيد للبعض الآخر كل ذلك كان نتيجة ً حتمية ً وامراً لازماً لازبا لعدم حكم أئمتهم وحكامهم ورؤسائهم بكتاب الله وعدم احتكامهم لكتاب الله وسنة رسول الله ورضائهم بحكم الجاهلية بدل حكم الله عز وجل « أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون » .

استعرض بنظرك ديار الوطن العربي الكبير فكم منها اقتدى بالسعودية التي تحكم بالاسلام وترضى بحكم الله فيها ولا ترضى بغيره بديلا ؟ صوب بصرك نحو الشرق او الغرب من ديار العروبة فماذا ترى ؟ ترى العجب من انحراف عن شريعة الله ، وبعد عن دينه القويم ومحادة لكتابه العظيم ومؤامرات لابعاد الاسلام عن كل محيط واحزاب وجماعات تكيد للاسلام في دياره وتدعو للحكم بغير ما نزل الله وتضع لها برامج ومناهج كلها مستمدة من غير الاسلام وكلها من الصنعة الانسانية والصبغة البشرية ولا يخطر ببال واحدة منها ان تحسب حسابا لنظام الاسلام وقواعده واسسه الرصينة المتينة واصحاب هذه الاحزاب وتلك الجماعات منسوبون للاسلام ومحسوبون عليه .

ومع هذا فهم يدعون للحكم بقوانين فرنسية او انكليزية او امريكية او سويسرية بل ويرضون بالحكم بالقوانين الرومانية القديمة العتيقة ولا يرضون بحكم الشريعة السماوية السمحاء فكيف لا يدوم بينهم الشقاق ؟ وكيف لا يعمهم البلاء ؟ وكيف لا تنتشر بينهم الفتن ، ولا يقعون في المحن وكيف لا يتفرقون اشتاتاً ويلعن بعضهم الآخر ؟ وكيف لا يكون بأسهم بينهم وهذه حالهم وتلك خلالهم ؟ وهل يمكن ان يتخلف قول الرسول فيهم وهو الذى لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه ؟ .

وقد رأيت كيف قال وحكم « وما لم تحكم ائمتهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم » .

اظن ايها الاخ ان في هذه الادلة ما يكفي ويشفي ولعلك استيقنت معي ان الشقاق سيبقى دائماً بين العرب ما لم يعودوا إلى الاسلام . وكذلك غير العرب من المسلمين الذين ابتعدوا عن الاسلام واصبحوا لا يحكمون بما انزل الله .

اما الدليل من التاريخ وواقع الحال ، ففى واقع الحال ما يغني عن المقال كما يقولون . ولكننى أود ان أذكرك بحالنا معشر العرب منذ ان ثرنا على الخلافة الاسلامية .. وتعانقنا مع الصليب وحطمنا الهلال الخصيب . لقد قمنا بثورة اسميناها « الثورة العربية الكبرى » وما كانت هذه الثورة الا خنجراً في خاصرة الاسلام إذ حطمنا بها الخلافة الاسلامية وادخلنا الاستعمار على ديارنا.ثورة خاسرة لم نر منها إلا الشر والضرر والبلاء وكيف لا تكون خاسرة وقائدها لورانس القائد الانكليزى الكافر والثعلب الماكر ؟ ورجالها كانوا على غير هدى من الله . وقد كانت السفارات الانكليزية والفرنسية والامريكية فى اسطنبول عاصمة الخلافة الاسلامية آنذاك كانت هذه السفارات مقر الاجتماع ومركز المؤامرات للثوار العرب الذين اعانوا المستعمرين جميعاً على هدم آخر خلافة اسلامية ومهما كان النقصان فى هذه الخلافة ومهما قال عنها اعداؤها

فهي خلافة اسلامية لا يجوز الخروج عليها والتعاون مع الكفار على هدمهـــا وتحطيمها بل كان يجب عليهم العمل لاصلاحها والنهوض بها .

ولقد عجل الله العقوبة على الكثير من هؤلاء الثوار والذين تولوا القيادة منهم قادوا شعوبهم شر قيادة .

والبلاد العربية ماذا جنت من وراء هذه الثورة العربية الكبرى المزعومة ، لقد جنت الشوك وحصدت الشر من ورائها ولم تر الراحة منذ ان اعلنتها عصبية جاهلية جهلاء ولقد اصبحنا دولا بعد ان كنا دولة واحدة واصبحنا شعوباً وقبائل تتناحر وتتخاصم ولكل منها امير المؤمنين ومنبر ..

واخيراً اضعنا فلسطين قلب العروبة والاسلام النابض وسلط الله علينا اخس خلق الله .. واجبن عباد الله وهم اليهود شرار خلق الله .. لقد حاول اليهود اقناع السلطان التركى عبد الحميد رحمه الله وقدموا له من ملايين الجنيهات الذهبية ما يسيل له لعاب الكثيرين ولكن السلطان المسلم ابى ووقف وقفة الاسد فى قضية فلسطين وجئنا نحن العرب فبعنا فلسطين لليهود وخنا العهود ونسينا الوعيد الذى ينتظر الخونة المارقين فعجل الله البطش بالكثير من هؤلاء الذين شاركوا فى الجريمة فلم يبق منهم احداً فى خلال عشر سنوات من وقوع الكارثة الكبرى والمصيبة العظمى على المسلمين فى هذا العصر ولو دخلنا معركة فلسطين كمسلمين مجاهدين لما خبنا فيها ولما خسرنا المعركة وهي معركة الاسلام الكبرى فى هذا العصر ولكننا دخلنا فلسطين باسم النعرة القومية وشعارنا فيها العروبة وليس الاسلام الذى يخيف شبحه ، ويهز اسمه قلوب اعدائه فيجعلها واجفة . وترتعد له فرائص الكافرين فى كل مكان . وفى معاركنا باسم الاسلام لم ينكس لنا علم ولم نهزم في معركة بل نصرنا بالرعب مسيرة شهر وكانت الغلبة والانتصار شعار جيوشنا المظفرة في كل الميادين .. والتاريخ شاهد عدل على ما نقول ..

وانتقلنا الآن من المعارك مع الصهيونية العالمية والاستعمار إلى معارك جانبية

داخل الوطن العربي واصبح العربي يقتل أخاه العربي وكل ذلك باسم القومية فرجعنا كما كنا عرباً متقاتلين متناحرين ، متخاصمين لا يرعى احدنا فى الآخر الا ولا ذمة فما احوجنا اليوم إلى نهضة اسلامية شاملة تعيدنا إلى حظيرة ديننا مسلمين مؤمنين مجاهدين فى الله حق جهاده .

ما احوجنا اليوم الى رجعة سريعة الى الله العلي الكبير نعبده ونتوب اليه ونستغفره ونعتصم بحبله ونتآخى تحت لواء الايمان ، ونقاتل تحت شعار الاسلام لا نريد علوا في الارض ولا فساداً انما هو جهاد سليم نظيف طاهر لرفع راية الاسلام وجعل كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ..

ما احوجنا الى العودة الى فطرة الله التى فطرنا عليها ليسود بيننا الحب والوئام .. ونعود كما كنا امة السلام والاسلام ولنكون كما وصفنا الله خير امة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله هذه يا أخي ادلتي وهذه آرائي سقتها لك صريحة واضحة لعلك اقتنعت بها وآمنت كما آمنت أنا وكثير من أمثالي بان العرب سيستمرون على الشقاق ما لم يعودوا الى الاسلام .. فان عادوا اليه فقد عادوا الى فطرتهم السليمة ورسالتهم الحكيمة والله يهديهم الى سواء السبيل وينصرهم بعدها نصراً مؤزراً ..

نسأل الله ان يكون ذلك قريباً وما ذلك على الله بعزيز .. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ..

مكافحة القرآن فى القديم والحديث

القرآن العظيم كتاب الله الخالد ودستوره الماجد ، ومعجزة النبى الكبرى ، وحجة الله البالغة ولا اسلام بدون قرآن اذ القرآن عماد الاسلام ، ودستور الاسلام ، ونور الاسلام . وحجة الاسلام وسناد الاسلام ،.أنزله الله ليكون برهانا وضياء للناس وبين لهم فيه ما فيه صلاح معاشهم ، ومعادهم ، وما فيه سعادتهم ، فى دينهم ودنياهم ، ولمكان القرآن العظيم فى نفوس المسلمين . وفى سناد الاسلام وحياة الاسلام فقد وجه اعداء الاسلام سهامهم إلى القرآن . وجعلوه الهدف الاول فى هجماتهم لمكافحة الاسلام . ونحن نذكرها وان باءت كلها بفضل الله بالخيبة والفشل وكان مثلهم كمثل من هاجم جبلا أشم بذرات من التراب والوحل يريد بها اقتلاع الجبل من جذوره . فكان موضع الهزء والسخرية والاشفاق على ذهاب عقله وامتلاء قلبه بالحقد الدفين .

نذكرها ليطلع عليها شبابنا ويروا أساليب اعدائنا فى طرق محاربتنا ومحاربة عقائدنا ، وكتابنا الذى هو إمامنا ونور ابصارنا ، وبصائرنا فى الحياة ، ودستور ربنا الينا وحجة نبينا وحبيبنا وامامنا محمد صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله التوفيق :

لقد تعرض القرآن الكريم منذ اقدم العصور بل منذ نزوله حتى اليوم تعرض لمطاعن ومفتريات ، وشبه واتهامات وتزوير وتحوير وأكاذيب . تحمل معها حجج النفاق والكفر لاصحابها .

وقديماً أجاب الله على افتراء المفترين اذ قال تبارك وتعالى :

«قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين . ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين. ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم .

إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون »

سورة النحل ١٠٦

وقد قصد هؤلاء الكافرون والمنافقون ، في خصومتهم لكتاب الله وإثارة هذه الأمور حوله ، أن يشككوا في صحته ، وفي اعجازه ، وفي صدوره عن الله إذ زعموا بأنه كتاب محمد صلى الله عليه وسلم . وانه هو الذي الفه . واملاه له خياله الخصب وعبقريته الفذة أو أنه أملاه عليه رجل كان الرسول يصاحبه ويا ليته عربي بل هو عجمي وهذا لسان عربي مبين

ويريد الأعداء من وراء ذلك أن يصلوا إلى ما قد أرادوا وبيتوا من التشكيك في الإسلام ، ورسالته السماوية ، الخالدة التي جاءت رحمة للعالمين . لتنقذ الناس من الظلمات إلى النور وجاءت بفضل الله وهي تحمل معها عناصر الحياة والبقاء والخلود .

ولم يكتف أعداء الإسلام في طعن القرآن إبّان نزوله على خير الأنام حيث قالوا : كما قال الله : «وقال الذين كفروا إن هذا إلا أفك أفتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلماً وزورا» .

وقالوا : « إن هذا إلا سحر مبين »

وقالوا : « أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا »

إلى غير ذلك مما هو معلوم في أماكنه من كتاب الله . ولم يكتف الأعداء

بهذه الحملات بل استمرت الحملات والمطاعن تنتقل من جيل إلى جيل - ومن ميدان إلى ميدان حتى جاء الاستشراق والمستشرقون والتبشير والمبشرون ، والاستعمار والمستعمرون واليهود الصهيونيون ، وإذا بالنغمة تتكرر وإذا بالسيوف تشهــر ، وإذا بالمطاعن تنشر . فتارة يتهمون القرآن بالتناقض ، وتارة باللحن ، وأخرى بفساد النظم ، ورابعة بانكار الاعجاز . وخامسة أنه من صنع النبي إلى ما شاء لهم الحقد والهوى ، من ألوان التهم ، حتى لم يتركوا عيباً إلا نسبوه إلى القرآن . وألصقوه به ، وقد استوى في ذلك القدماء والمحدثون والشرقيون والغربيون ، وأود أن أنقل هنا مثلين وقولين أحدهما لشرقي والآخر لغربي من هذه الأقوال المسمومة .

يقول المستشرق الذي يعتبر من أئمة المستشرقين وهو يهودي خبيث يقول عن القرآن في بحثه عن «نمو العقيدة الإسلامية وتطورها» واسمه جولدتسيهر :

« ومن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهباً عقيدياً موحداً متجانساً ، وخالياً من المتناقضات ولم يصلنا من المعارف الدينية ، الأكثر أهمية وخطراً، إلا آثار عامة نجد فيها — إذا بحثناها في تفاصيلها — أحياناً تعاليم متناقضة ، ورسالة النبي الدينية تنعكس في روحه بألوان مختلفة باختلاف الاستعدادات السائدة في نفسه إذ كان لزاماً على علم الكلام المنسق أن يتولى منذ أول الأمر حــل الصعوبات النظرية الناشئة عن مثل هذه المتناقضات .. » ؟!؟

هذا قول رجل من رجال الاستعمار الغربي وكان هو وزملاؤه المستشرقون غير المنصفين ، أركاناً للاستعمــار ومعاول لهدم معاقلنا ، وحصوننا ، ليدخل من ثغراتها الاستعمار الغادر .

واليكم قولاً آخر لرجل من الشرق لتروا كيف اتحد الشرق والغرب في مكافحة الإسلام ولم يتفقوا إلا في محاربتنا . وإلا فمتى اتفقت روسيا وأمريكا وإنكلترا ؟ يقول الكاتب الروسي المعاصر الذي جاهر الإسلام والقرآن بأشد أنواع العدوان واتهم القرآن بأوضح البهتان فقال :

« ... ويقول القرآن : أن الله خلق جميع الحيوانات من المـــاء ، ثم يذكر بعد ذلك في سبع آيات مختلفات أن الله خلق الإنسان خلقاً ثم هو في الوقت نفسه يناقض نفسه بنفسه سبع مرات ، فيقول في مرة أن الله خلق الإنسان من التراب ، وفي مرة ثانية من الطين ، وفي مرة ثالثة من الفخار ، ورابعة من الصلصال ، وخامسة من صلصال كالفخار ، وسادسة من حمأ مسنون ، ومرة سابعة من الماء وهي كلها متناقضات تؤكد أن تأليف القرآن لم يتم في زمن واحد ولا على يد مؤلف واحد [٢]

ويحلو للمستشرق اليهودي أن يبدي ويعيد في مسألة التناقض كما أثار في كتابه « العقيدة والشريعة في الإسلام » مسألة المشكل والمتشابه في القرآن الكريم . ليخلص من ذلك كله . إلى الغمز في القرآن والطعن فيه وتكرار اتهامه بالتناقض وكلامه هذا . وفي كل موطن من كتابه — سالف الذكر — المشحون بالطعن في الإسلام ، والتشكيك في القرآن ، لا نبين فيه براءة البحث — كما يزعمون— ولا نزاهة العلم ولا إخلاص النية وسلامتها . بل يتناثر الحقد والشر والباطل والزور . من ألسنة أقلامهم حين يكتبون عن الإسلام . وإنهم ليفقدون أعصابهم وينسون مقامهم العلمي وترتج نفوسهم وتضطرب قلوبهم حينما يشغلون أنفسهم بالبحوث الإسلامية وأحقاد العصور هي التي ملأت الصدور . وأملت عليهم هذا الحقد والغيظ الذي لم يستطيعوا كظمه ، في كل حالاتهم . يقول المستشرق جولد تسيهر في كتابه العقيدة والشريعة « ومثل هذا النقد للقرآن كان صواباً خلال الجيل الأول التالي لظهوره إلى درجة أنه لم يكتف بأن يهتم خصوم الإسلام بكشف مواطن الضعف فيه فقط ، بل ذهب الأمر إلى درجة أن البحث في التناقضات الظاهرة في القرآن أصبح موضع حديث بين المؤمنين أنفسهم ، وسنرى فيما بعد في مثال بشأن تعليم أساسي في الدين ، وهو مسألة

(١) راجع كتاب الاسلام بين الانصاف والجحود لمؤلفه محمد عبد الغني حسن .
(٢) راجع كتاب المسلمين تحت الحكم الشيوعي لمؤلفه الاستاذ محمد سامي عاشور .

بالجبر والاختيار ، كيف أن الأدلة للرأي وضده قد استقيت من القرآن نفسه » انتهى .

وهكذا لا يدع هذا الكافر الغادر والعدو الفاجر فرصة تمر إلا إنتهزها وقذف سمه القذر من أطراف قلمه ليغمز القرآن في كيانه . ويطعنه في بنيانه ، وليصيبه في وحدته وتماسكه كأنه موكل بذلك وهو فعلا موكل ، فهؤلاء عملاء ورادة للاستعمار موكلون بتوهين عرى الإسلام وتشكيك المسلمين في دينهم بمختلف الوسائل والطرق .

وإلا فما ذنب القرآن العظيم إذا ما وجد العلماء والباحثون والفقهاء أدلة للرأي وضده ؟ وإذا اختلفوا فإنما اختلافهم تبعاً لاختلاف اللغة أو اختلاف الفهوم أحياناً وهل يعد هذا عيباً للقرآن وهو كتاب الكمال ، والبيان والحق والجمال ؟؟

وما ذنب القرآن إذا أول المتأولون في مثل قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » فما ذنب القرآن إذا أنحرفت بعض الفهوم عن المعنى الظاهر للاستواء وهو صريح واضح وأولوه بمعنى الاستيلاء واستدلوا بقول الشاعر :

قـد استوى بشـر على العـراق من غير سيف أو دم مهراق

ورحم الله الإمام مالك ورضي عنه فقد كان كلامه كلام العلماء البررة لأتقياء حين قال : « الاستواء معلوم . والكيف مجهول . والسؤال عنه بدعة ».

وما ذنب القرآن العظيم – وهو المبرأ من كل نقص – إذا نتج عن مثل هذا الفهم ، والتأويل . تباين في قضية التشبيه والتجسيم ؟! .

والكيفية ، والذات والصفات وغيرها مما أثاره علماء الكلام . وأطالوا الكلام فيه بما لم يكن من مصلحة الإسلام ولا في صالح المسلمين . بل أضر أكثر مما نفع وهدم أكثر مما بنى .

أما مسألة الجبر والاختيار بالنسبة إلى أفعال العباد. والعدل والظلم بالنسبة إلى

صفات الله عز وجل ، فقد وجد فيها المستشرقون مجالاً واسعاً للكلام المسموم.
في الطعن بالإسلام . وكتاب الله العظيم ، ولقد اتاحت لهم الخصومات القديمة
التي نشأت بين أهل السنة وأهل الاعتزال أن يثيروا مسألة الحرية الانسانية
والعدالة الآلهية ، بطريقة خبيثة تجعل القرآن مجالاً للتناقض والاضطراب وهو كل
ما يهدفون اليه في كتاباتهم عن الإسلام .

وهذه القضية – قضية التناقض وغيرها – ليست قضية اليوم . بل هي قضية
الامس وقضية الغد كذلك.وعلماؤنا الأولون رحمهم الله لم يتركوها ، بل
وقفوا لهابالمرصاد ، ولكل ما يثار من الكلام حولها. وأعدوا له الردود المفحمة .
وعلى رأس هؤلاء العلماء ابن قتيبة رحمه الله . وأجزل له المثوبة فقد نصب
نفسه ، ووضع قلمه ، القوي وعلمه الغزير العميق لرد شبهات المبطلين .
والمتهمين من أمثال هؤلاء المستشرقين في القديم والحديث ، والاعداء هم هم
وكأنهم تواصوا بهذا الشر لذا فالرد عليهم في القديم هو الرد عليهم في الجديد
وقد كان كتاب « تأويل مشكل القرآن » لمؤلفه ابن قتيبة رحمه الله من خير
الكتب ومن أوائل الكتب في رد هجمات الطاعنين على كتاب الله العزيز وإلى
القراء شيئاً من رد ابن قتيبة هذا رحمه الله .

ترجمة القرآن

في سنة ١١٢٢ ميلادية أي قبل أكثر من ثمانمائة سنة قام الراهب بطرس الفنرابلي رئيس دير كولونيا بفرنسا بالدعوة إلى ترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية، حتى يسهل على رجال الدين المسيحي هناك مناقشته وإثارة الجدل حوله ونقده ووضع الشكوك فيه. هذا ما قصده مترجم القرآن إلى لغتهم .

وقد قام بهذه الترجمة راهبان من رهبانهم هما روبرت وهرمان . وأتما الترجمة سنة ١١٤٣ م وظلت هذه الترجمة مخطوطة في عدة نسخ تتداولها الاديرة إلى أن تم طبعها في مدينة بال بسويسرة سنة ١٥٤٣م أي بعد أربعمائةسنة

ويذكر الاستاذ محمد أسد بأن الأوربيين في خلال الحروب الصليبية وفي أعقابها قد شوهوا تعاليم القرآن . ومبادىء الإسلام ومثله العليا أمام الجموع الجاهلة في ديار الغرب . واستغلوا جهل الاوربيين ببلاد العرب وبالإسلام . واستغلوا تلك العداوة التي رجع بها المحاربون الصليبيون إلى بلادهم ، وأخذوا ينفثون سمومهم . وما أملته عليهم شهواتهم وأحقادهم الدفينة . ضد الإسلام والمسلمين . وحتى اليوم وإلى الغد وإلى ما شاء الله سوف يستمرون ينفثون سمومهم ويكافحون هذا الدين ويحاربون أهله ولا يزال خيال الحروب الصليبية في أذهانهم والوجل في قلوبهم فإذا ذكر الإسلام ارتجت له أجسامهم ووجفت منه قلوبهم .

وفي الحقيقة ، والواقع أن جميع حملات المستشرقين والمبشرين على الإسلام

ومكافحتهم له ولمبادئه وأهله . ما هي إلا ثمرة من ثمرات الحروب الصليبية واتخذت حملات اليوم جلباب العلم الكاذب . وكانت أشبه بحركة مقاومة علمية للإسلام وإذا كانت الحروب الصليبية قد انتهت . بما انتهت اليه من الفشل والخيبة والإخفاق ، بعد أن استمرت قرنين من الزمن . ولم ينجح السلاح ولا القوة . ولا العدد الكثير . ولا الحملات المسلحة التي نظمها الغرب كله . لم ينجحوا في دعم الإمارات الصليبية اللاتينية التي أقامتها الجيوش المتدفقة من الغرب على بلاد الإسلام والمسلمين . وبعد خيبتهم فكروا ودبروا فقضى تدبيرهم أن يعدوا أسلحة أخرى غير الحديد والنار لمحاربة الإسلام . ومكافحة مبادئه ، ونزعه من نفوس أهله ، وحملة رسالته . تلك الاسلحة هي اسلحة المقاومة لهذا الدين بوسائل علمية . وعن طريق الهدم المعنوي وهدم الحصون من داخلها . وعلى أيدي أهلها . في حركات ظاهرها ، العلم ، والبحث ، والحرية ، والقومية ، والوطنية وباطنها المكر ، والخبث ، والهدم ، والتخريب لمعاقل هذا الدين وحصونه المنيعة .

وقديماً بُدىء بهذه الطريقة وتنفيذ هذا المخطط الجهنمي الكافر .

ففي سنة ١٢٩٦ م أي قبل ما يقرب من سبعمائة سنة بدأوا فعلاً في إقامة كلية لاهوتية للرهبان في مدينة ميراما وكانوا يتلقون فيها دروس اللغة العربية ، والدراسات المتصلة بتاريخ العرب قبل الإسلام وبعد الإسلام وكان القرآن الكريم بين أيديهم يتدارسونه ، ويتناقشون فيه ، ولم يجدوا حاجة إلى نسخة مترجمة منه ، إلى اللاتينية ، لان دراستهم للغة العربية ومعرفتهم بها مكنتهم من دراسة القرآن في لغته الأصلية . واستمرت هذه الكلية تنفث السموم وتربي الذئاب البشرية لتحارب دين الله ، وتصد عن كتاب الله ، وتشوه فيه ما استطاعت إلى ذلك سبيلا .

وما علمت — لجهلها — أن هذا الكتاب محفوظ بحفظ الله . وأن أهل الشر . وأئمة الكفر . والضلال . لو أجتمعوا جميعاً على أن ينقضوا حرفاً واحداً من

حروفه لما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون . والله عز وجل هو القائل « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

والله تبارك وتعالى يقول : «قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

رد ابن قتيبة عليهم في القديم

قال الاستاذ محمد عبد الغني حسن في كتابه « الإسلام بين الإنصاف والجحود» ص ٩٥ ولقد سجل « ابن قتيبة » شيئاً من مطاعن الجاحدين على القرآن ، وأشار إليها ورد عليها ردوداً قوية مفحمة لا يثبت معها باطلهم ، ولا تقف أمامها مماطلتهم وكان له في ذلك عبارة يقول فيها :

« وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ما « تشابه منه ابتغاء الفتنة وإبتغاء تأويله ، بأفهام كليلة ، وإبصار عليلة ، ونظر مدخول ، فحرفوا الكلام عن مواضعه وعدلوه عن سبيله ، ثم قضوا عليه بالتناقض ، والإستحالة في اللحن وفساد النظم ، والإختلاف وأدلوا ، في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر ، والحدث الغر واعترضت بالشبه في القلوب ، وقدحت بالشكوك في الصدور . ولو كان ما نحلوا إليه على تقديرهم وتأويلهم لسبق إلى الطعن به من لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتج عليه بالقرآن ويجعله العلم لنبوته ، والدليل على صدقه ، ويتحداه في موطن بعد موطن على أن يأتي بسورة من مثله ، وهم الفصحاء والبلغاء ، والخطباء والشعراء ، والمخصصون من بين جميع الأنام بالالسنة الحداد ، واللدد في الخصام ، مع اللب والنهى ، وإصالة الرأي ، وقد وصفهم الله بذلك في غير موضع من الكتاب وكانوا مرة يقولون : هو سحر ، ومرة يقولون هو قول الكهنة ، ومرة يقولون : أساطير الأولين .

ولم يحك الله تعالى عنهم ، ولا بلغنا في شيء من الروايات انهم جدبوه — أي عابوه — من الجهة التي جدبه منها الطاعنون » ثم قال رحمه الله وقد وجد الطاعنون مجال القول متسعاً في اختلاف القراآت فجعلوا من ذلك موضوعاً للإختلاف في القرآن .. وقالوا : إن الله يقول عن القرآن : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » مع أن الأختلاف حاصل والصحابة ومن بعدهم كانوا يختلفون في الحرف والقراء يختلفون ، وكأنهم يريدون أن يقولوا: إن كان هذا كلام رب العالمين فأي شيء بعد هذا الاختلاف تريدون ؟؟ وأي باطل بعد اللحن والخطأ تبتغون .

نعم قالوا ذلك وأكثر منه . وقالوا أن التناقض في القرآن موجود :

ففي سورة الطور : « وأقبل بعضهم على بعض يتسألون .

وفي سورة المؤمنون « فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » ففي الآية الأولى إثبات للتساؤل ، وفي الثانية نفي له ...

وغفل هؤلاء الجاحدون أن بين الحالتين فرقاً يقتضي التساؤل في واحدة وعدم التساؤل في الأخرى . فانه إذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، تقطعت الارحام ، وبطلت الأنساب وشغلوا بأنفسهم عن التساؤل ، وصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله .

فإذا نفخ فيه نفخة أخرى قاموا : « ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » وكان تساؤلهم يدور حول هذا السؤال :

من بعثنا من مرقدنا ؟ هذا ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون ! ! انتهى .

أرأيتم إلى هذا العالم الجليل كيف يرد مفتريات المفترين ؟؟ وكيف أن الملحدين والكافرين والمنافقين هم هم في كل زمان وكل مكان ، وكأنهم قد تواصى بعضهم مع بعض في طرق الطعن وأساليب الكذب والافتراء والدس الرخيص .

ولقد تجمع هؤلاء جميعاً وشمروا عن ساعد الجد وساق الجد كذلك وجمعوا طائفة من هذه الحالات في القرآن العظيم الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . » ليقيموا منها قضية الاختلافات والمتناقضات المزعومة كهؤلاء المستشرقين وهم طلائع الاستعمار من الغربيين والشرقيين أنهم مساكين مغفلون ، قد أكل الحقد قلوبهم ، فهم يأخذون بظاهر من القول ولا يتدبرون ما وراء الآيات وما بينها من صلات ومناسبات ، أو مفارقات ، والقرآن كله كحلقة مفرغة تأخذ الآية بتلابيب الأخرى ، ويسير بنسج محكم كنسج الزرد في الدرع الحصين .

١ — ومن الآيات التي زعموا أن فيها شيئاً من التناقض قوله تعالى : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » وقوله تعالى على أثر ذلك في آية أخرى من سورة الأنفال نفسها « وما لهم ألا يعذبهم الله » وعند التمحيص والتحقيق ومعرفة الاسباب لا يظهر هنا تناقض ولا شبهة تناقض ، فإن النضر بن الحارث قد قال « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو أئتنا بعذاب أليم » يريد : أهلكنا واهلك محمداً ومن معه عامة ، ولا تبق على أحد من الجميع ... فأنزل الله تعالى قوله « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » أي وفيهم قوم يستغفرون الله — وهم مسلمون » ويدل على ذلك قوله تعالى قبل ذلك « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم »

أما تعذيبهم وهم يصدون عن المسجد الحرام فقد كان بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم عنهم .

٢ — ومن أمثلة الاتهامات الواهية . الهزيلة قولهم : من أدلة التناقض في القرآن قوله تعالى في سورة الرحمن « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان » وقوله تعالى في سورة الحجر : « فوربك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون » وقالوا : كيف يكون سؤال ولا سؤال ؟ بهذه العقول التافهة يناقشون آيات القرآن ولو عقلوا لادركوا أن يوماً مثل يوم القيامة — وهو ما هو من حساب

أيامنا في الدنيا — يسأل فيه الناس . ويوقفون على ذنوبهم ويحاسبون عليها حساباً عسيرا . وذلك موقف معلوم . فإذا انتهت المسألة ولزمت الحجة . وانشقت السماء فكانت وردة كالدهان . انقطع الكلام وذهب الخصام . وانقسم الناس إلى شقي وسعيد واسودت وجوه وابيضت وجوه . وعرف أصحاب اليمين من أصحاب الشمال .

وهذا موقف آخر غير ذاك ، فأين التناقض في موقفين مختلفين كل واحد منهما له حالته الخاصة وله ظرفه المناسب له ؟!؟

٣ — واتهموا القرآن ، ورموه بوجود « المتشابه » الذي يضيع معه الهدى والصواب ، كما قالوا والله عز وجل قد أشار إلى أمثال هؤلاء من مرضى القلوب الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وإبتغاء تأويله وما أصدق ابن قتيبة رحمه الله وهو يقول :

« ولو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل التفاضل بين الناس ، وسقطت المحنة ، وماتت الخواطر . ومع الحاجة فكرة والحيلة ومع الكفاية يقع العجز والبلادة » .

وتعامى هؤلاء المبطلون عن أسلوب العرب في تعابيرهم وكلامهم ومذاهبهم في الإيجاز والاختصار والإطالة والإطناب أحياناً أخرى والإشارة إلى شيء حتى ولو عن طريق الرمز واغماض بعض المعاني ، واظهار بعضها الآخر مسايرة لفنون القول ، ومطابقة لمواطن الأحوال ومقتضياتها الطبيعية في لغتهم العربية التي نزل القرآن بها مطابقاً لاحوالها العامة .

اتهـــــام الإســـلام

إن شر ما منيت به حملات التحامل على الإسلام هو اتهامه بالباطل ، وتشويه حقائقه الناصعة المشرقة . ووضعه موضع المتهم أمام خصومه الألداء ، وكان ذلك في اتفاق مبيت وتدبير محكم ، بين المستشرقين والمبشرين وهم رسل المستعمرين والمستأجرون لمصالحهم السياسية من شرقيين وغربيين أمريكيين وأوروبيين ، وكأنهم جميعاً أمام متهم لا بد أن يدينوه وأن يلصقوا به التهم الكاذبة مع براءته وسلامته من كل عيب ونقص ومن كل إتهام ، وتلك النية المبيتة في الحكم تفضي دائماً إلى نتائج تكاد تكون واحدة ومتشابهة .. حتى لقد أصبحت التهم والأباطيل معروفة ومكررة لكثرة ما توارد منها ولكثرة ما صوب من سهام الاتهام ورخيص الخصام ومرذول الكلام .

وقد لاحظ المستشرق النمساوي الذي هداه الله للإسلام ، وحسن إسلامه ، وألف العديد من الكتب في الإسلام والدفاع عن الإسلام ولا يزال يكتب ويؤلف ويحاضر وينافح عن الإسلام جزاه الله خير الجزاء وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . لاحظ هذا الرجل واسمه الآن (محمد أسد) وكان اسمه « ليوبولدفايس » أن كره الأوروبيين نحو الإسلام كره عميق الجذور يقوم في الأكثر على التعصب الشديد . وهذا الكره ليس عقلياً فحسب ، ولكنه يصطبغ بصبغة عاطفية شديدة وقوية وعنيفة وقد لا تتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية مثلاً ولكنها تحتفظ دائماً فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن ورصين وحكيم ومبني على التفكير وخلق الأعذار لأصحاب

هذه المذاهب الوثنية ، إلا أنهم حين يتجهون إلى الإسلام يختل عندهم التوازن ، ويأخذهم الميل العاطفي حتى إن أبرز المستشرقين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام . ويظهر في جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي بل على أنه متهم يقف أمام قضاته .. ولقد صور هذا الرجل الكريم محاكمة الأوربيين للإسلام بصورة فيها الكثير من السخرية الطريفة واللاذعة بنفس الوقت ليصل في النهاية إلى النتيجة التي خرج من بحثه منها وهي : أن أحكام المستشرقين على الإسلام هي أحكام مبيتة ومدبرة ، وإن بعض ما يبدو في سير المحاكمة من عدالة إنما هو للتعمية والتضليل . فقال وفقه الله وأرجو أن يتدبر شبابنا الصاعد هذا القول من هذا الرجل المنصف خاصة تلاميذ المستشرقين : « إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول إثبات الجريمة وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع ، فهو مع اقتناعه شخصياً باجرام موكله ، لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شيء من الفتور اعتبار الأسباب المخففة . وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش : تلك الدواوين التي أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها في العصور الوسطى ، أي أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبداً أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد ، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل ، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها .

ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذي يقصدون أن يصلوا إليه مبدئياً .. وإذا تعذر عليهم الاختيار العرفي للشهود عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التي شهد بها الشهود الحاضرون ، ثم فصلوها من المتن أو تأولوا الشهادات بروح غير علمي من سوء القصد من غير أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر ، أي من قبل المسلمين أنفسهم ، وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام ، وللإمور الإسلامية تواجهنا

في جميع ما يكتبه مستشرقوا أوربا [1] وقد اتخذت الخصومة للإسلام ومكافحته من قبل هؤلاء الخصوم الالداء اشكالا وألوانا مختلفة حسب طبيعة الأحوال ومقتضيات الظروف ، فتارة تكون بالبهتان الكاذب ووضع الإسلام في قفص الاتهام — كما شهد القارىء الآن وتارة تكون مجادلة في الإسلام خاصة مع من خلى باله منه وجهل مبادئه واحكامه وآدابه من أبناء المسلمين وشباب العصر الحاضر وغيرهم وتارة تكون مناقشة في القرآن وطعنا في بعض آياته البينات ، وأخرى تكون إنتقاصاً لقدر النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه بنعوت يخجل الرجل الحقيقي والعالم الصادق من أن يذكرها أو ينسبها لإنسان فضلاً عن نسبتها لنبي الإنسانية ورسول الكون الإنساني المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

واتخذت الخصومة للإسلام ومكافحته سبيلاً آخر هو طريق التبشير الممهد للاستعمار . فانتشر المبشرون في ديار الإسلام يدعون الى المسيحية ويبشرون بها ومن ورائها يشككون في الإسلام ويطعنون فيه وفي عدم صلاحيته للمجتمع الحديث بزعمهم ، تمدهم دول الاستعمار بكل أسباب الحياة والنشاط .

وفي القرن الثالث عشر المسيحي بدأ الراهب الأوروبي « سان فرنشسكو » فغادر وطنه ورحل الى الشرق مبشراً بالمسيحية في معسكر الملك الكامل الأيوبي بمدينة دمياط ودعاه الى إعتناق المسيحية ، بل نجد البابا بيوس الثاني عقب سقوط مدينة القسطنطينية في يد السلطان المسلم الفاتح « محمد الفاتح » سنة ١٤٥٣ يرسل رسالة الى السلطان يدعوه فيها إلى إعتناق المسيحية .. ويوازن في الرسالة بين الدينين الإسلام والمسيحيه ..

وهكذا يستمر الخصام ، ويستمر الإتهام للإسلام قديماً وحديثاً ، ولا يخجل هؤلاء المستشرقون أو أكثرهم على الاصح فلا يخلو محيطهم من منصف صادق أصيل وهؤلاء المستشرقون المبشرون المستأجرون للإستعمار لا يحمر لهم وجه

---

١ — راجع كتاب الاسلام بين الجحود والانصاف لمؤلفه عبدالرحمن حسن صفحة ١٣.

من خجل بعد أن ظهرت أكاذيبهم . واندحرت إفتراءاتهم وباءت مؤامراتهم بالخيبة والفشل ، وبقي الإسلام وسيبقى بحفظ الله له كالطود الشامخ ، والجبل الراسخ والذهب اللامع يطاول الزمن ويغالب الأحداث والمحن ، وينتصر في كل ميدان والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .. وصدق الله وهو الصادق العظيم إذ يقول :

« إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليضلوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » .

والحمد لله رب العالمين .

صور من اتهام الإسلام

في الموضع السابق ذكرت اتهام بعض المبشرين والمستشرقين وغيرهم من خصوم الاسلام ؛ الذين يحاولون أن يجعلوا من الإسلام متهماً يجب أن يدان . زوراً ، وبهتاناً ، وافكاً . وهنا وددت أن أذكر صوراً . ونماذج من هذه الإتهامات الظالمة التي يوجهها خصوم الإسلام للإسلام .

فمسألة الرق مثلاً موضوع حملة من أقوى الحملات العصرية ضد الإسلام يتآمر عليهاا الذين لا يتفقون على شيء فيما عدا هذه الحملات المصطنعة . فالشيوعيون الماديون المنكرون للأديان والمحاربون لها . وجماعات المبشرين الذين يحترفون صناعة الدعوة ، إلى هذا الدين أو ذاك ، وهم الصليبيون الحاقدون فهؤلاء وأولئك ؛ يتفقون في مكافحة الإسلام ومحاربته وفي توجيه التهم ، ضده لأنهم يتجهون الى وجهتين جهنميتين عندهم جميعاً في هـــذا العمل .

أولاهما : نشر الدعوة بين جهلة الشباب ممن ينتسبون إلى الإسلام ، وهم يسمعون ويقرأون دعاية الديمقراطية والاشتراكية وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية والحرية فيصدقون ما يقال لهم عن الإسلام وعن الرق في الإسلام وهم لا يعلمون أنه الدين الوحيد الذي شرع للأرقاء شرعة لم يسبقه إليها دين من الأديان ، ولا نظام من الأنظمة ،وأن الحضارة الغربية لم تدرك شأو الإسلام، في إنصافه لجميع الأرقاء وأن الإسلام شرع العتق ولم يشرع الرق ، إذ كـــان الرق موجوداً ومشروعاً قبل الإسلام ، في القوانين الوضعية والدينية بجميـــع أنواعه : رق الأسر في الحروب ، ورق السبي في غارات القبائل بعضها على بعض ، والرق في البيع والشراء ، ومنه رق الاستدانة ، أو الوفاء بالديون ، وكانت اليهودية تبيحه ونشأت المسيحية وهو مباح فلم تحرمه ولم تنظر إلى

تحريمه في المستقبل ، وأمر بولس الرسول العبيد بإطاعة ساداتهم كما يطيعون السيد المسيح عليه السلام .

أما الإسلام الذي يتهمونه بالرق . فقد شرع العتق ووضع المخطط الذي يكفل الحرية لجميع الأرقاء في المستقبل وقضى على الرق أو كاد : فكيف يتهم بالرق وهو الذي كافح الرق .

أما الوجهة الأخرى التي يتفق فيها الماديون الشيوعيون وإخوانهم المبشرون الصليبيون في إتهام الإسلام ، فالمراد منها غزو القارة الإفريقية بالدعاية المذهبية المقيتة والتنفير من الإسلام بإتهامه وتشويه حقائقه : والدس عليه ، وخلق الشكوك حول مبادئه النيرة ، خاصة في هذه المرحلة الهامة من مراحل النهضة الافريقية واستقلال تلك البلاد العظيمة التي كافحت ولا تزال تكافح الاستعمار ورجال الاستعمار ورسله من المبشرين وغيرهم ، والأعداء يتهمون الإسلام خوفاً من إقبال هذه القارة على الإسلام ، قياساً على نجاح الإسلام بين الإفريقيين في الأزمنة القريبة ، وقد عاصروها ورأوا كيف تسير الدعوة الإسلامية كما يسير النور في الظلام ، مع قلة الجهود التي يبذلها المسلمون ، لنشر دينهم ودعوتهم السماوية الربانية هناك يقابل هذه — الجهود الجبارة التي يبذلها المبشرون وغيرهم من دعاة الاستعمار . وتعاونهم عليها حكومات الدول القوية ، بكل امكانياتها المادية والمعنوية ولكنها بفضل الله تبوء بالخيبة ، والخسران والفشل والإسلام الى جانب هذا تتفتح له القلوب ، ويدخل الناس فيه أفواجاً أفواجا ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » ويحاول أعداء الإسلام ، أن يصلوا إلى تشويه سمعة الإسلام والمسلمين بإعادة القول في مسألة النخاسة وتلفيق الأكاذيب التي توهم إخواننا الإفريقيين المتحررين أن العرب المسلمين قد احتكروا النخاسة قديماً وحديثاً وهم الذين شرعوها في العالم ، وهؤلاء الأعداء يعملون قبل غيرهم من تاريخ النخاسة أنها

كانت صناعة شركات أوروبية وأمريكية تعتمد على سماسرتها من غير العرب ومن غير المسلمين ايضاً ولكنه مع الأسف تاريخ مجهول عند أبناء الجيل الحاضر.

ونسوا أو تناسوا . تاريخ الإسلام . وعظمة الإسلام . في كل ميدان .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله في كتابه « ما يقال عن الإسلام » «فليست حركة التبشير اليوم تنافساً بين المبشرين والإسلام لكسب القبائل الافريقية . ولكنها حملة من التبشير على الإسلام لغزوه في عقر داره ، والإستعانة على هذا الغزو بمحترفي التبشير الافريقيين تلاميذ المبشرين الاوروبيين. ومحالفة بين الاستعمار . والوطنية الإفريقية من طريق ملفوف لمحاربة الإسلام . تارة بدعوة الوطنية وتارة بدعوة الدين . هذه الطريقة تتبع في إفريقية الشرقية ، وتتبع في البلاد الأسيوية التي تمكن التبشير من إجتذاب فريق منها إليه ، فسبيله منذ اليوم أن يجند الإفريقيين والآسيويين للحملة على الإسلام في كلتا القارتين . ويتوخى هذه الخطة بعينها كل من يجندون الدعاية لتحويل المسلمين عن دينهم وإقناعهم بدعوة الأديان الأخرى ، أو بدعوة المادية والإلحاد فإنهم يستترون ثم يدفعون أمامهم تلاميذهم الإفريقيين والآسيويين ويعقدونها محالفة خفية بين الاستعمار من بعيد وبين القومية الإفريقية أو الآسيوية من قريب .

إن هذه « التعبئة » الجديدة توافق ظروف الأحوال كما يقال ، وتتدارك الأزمة التي وقع فيها الاستعمار بعد الصدمات التي لقيها تباعاً من شعوب. القارتين ، فهو بهذه التعبئة يحاول أن ينقل السلاح من يده الى الوطني الإفريقي أو الوطني الآسيوي، وليس له من عدو يحاربه بهذه اليد أو بتلك غير الإسلام »

لقد نقلت قول هذا الأديب العالم ليرى القراء نماذج من مخطط الإستعمار في محاربة الإسلام ، ومكافحة عقائده ومبادئه ، وتشويه حقائقه ، وكيف أنه يسعى إلى أن ينقل السلاح . سلاح الحرب والإبادة بالدس والغدر والافتراء والكيد إلى يد الوطني الإفريقي أو الوطني الآسيوي ، أو الوطني العربي ،

وصدق هذا الرجل رحمه الله فقد استطاع الاستعمار وأعوانه أن ينقلوا السلاح من أيديهم إلى أيدي تلاميذهم ورواد مدارسهم حتى أصبح هؤلاء التلاميذ أشد إتهاماً للإسلام وأكثر نفوراً منه وابتعاداً عنه حتى من خصومه الألداء من المبشرين وغيرهم . اننا نرى اليوم من خطرهم ما هو أشد خطراً على الإسلام من المبشرين والمستعمرين والملحدين معاً .

فهم كما يزعمون يرون في الإسلام خطراً على دعوتهم لا يوازيه أي خطر آخر ، لذا ، فهم يحاربون ويقاومون دعوته بكل ما أوتوا من قوة ، ومع كل هذا فهم يدعون الإسلام ، نفاقاً وجبناً ، وينتسبون إليه زوراً وبهتاناً ويقودهم في الغالب ويوجههم رجال غير مسلمين بل كفار بدعوة الإسلام ونبي الإسلام والله يعلم بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم .

ونحن نرى العكس في مثل هؤلاء الدعاة إلى النعرات العصبية انهم أشد خطراً على الإسلام من الإستعمار وأكثر ضرراً من جميع رسله ومبشريه الذين يجوبون الأقطار الإسلامية لمحاربة الإسلام ، وعدوك الداخلي الذي يتبطن في ثيابك أشد خطراً عليك من عدوك الخارجي . ومن السهل أن تتقي العدو الخارجي ولكن الطامة الكبرى في العدو الداخلي الذي يتسربل ثياب أخ وصديق ويضمر الغدر والحقد والله المستعان .

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » .

من وسائل الاستعمار ومخططاته لمكافحة الإسلام

الاستعمار الخبيث لم تعد له الجرأة الكافية التي يواجه بها المسلمين ليصدهم عن دينهم جهاراً نهاراً ، بعد أن رأى وأبصر حركات الوعي الإسلامي هنا وهناك وهي تأخذ طريقها للإنتشار في العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، ولكن الاستعمار أخذ يخاتل ، ويراوغ ، ويخادع ، ويقاتل باسم العلم تارة عن طريق المستشرقين المأجورين وتلاميذهم المخدوعين ، وباسم الهداية أحياناً عن طريق المبشرين المأجورين الخادعين ، وباسم التطور أحياناً أخرى عن طريق المخدوعين بمظاهر حضارتهم وتقدمهم الاجتماعي والسياسي والعلمي وباسم التقدم، عن طريق المتحللين والمنحرفين المفسدين، كل هؤلاء يعملون سراً وجهراً لأهداف الاستعمار التي يرمي من ورائها إلى إيقاف الوعي الإسلامي وصد المسلمين عن دينهم إبقاء لسيطرته ونفوذه في بلاد المسلمين ، وليتمتع هو وجنوده الأبالسة ، في خيرات بلاد المسلمين ويسعون في سرقة ثرواتهم والسيطرة عليهم فكرياً وسياسياً واقتصادياً .

ولما كان الاستعمار الغادر يعلم علم اليقين أن الإسلام لو عاد الى نفوس المسلمين ، وحملوه كما حمله أسلافهم مع تكاليفه وتعاليمه الكاملة ، لعادت معجزة الإسلام الأولى مرة أخرى ، وفتح المسلمون مشارق الأرض ومغاربها ولم يعد للإستعمار مكان في الوجود فانحسر واندحر وخاب وخسر .

لذا أخذ المستعمرون يبذلون كل الجهود لإشاعة الفساد في المجتمع

الإسلامي العظيم وزرع الشكوك في العقول الإسلامية وقتل الطموح في نفوس المسلمين ، وبث الفرقة والشقاق في الصف الإسلامي ، حتى تعاونت جميع أجهزة الاستعمار من دعائية وسياسية وفكرية واقتصادية لتحقيق أهـــداف الاستعمار ومن أهداف الاستعمار :

١ — شن الإفتراءات على الإسلام وتشويه حقائقه تحت ستار العلم والبحث العلمي المجرد وزرع الشك في الجيل المسلم في صلاحية دينه لهذا العصر وزعمهم بأن الإسلام لا يتفق مع العلم وأكبر من قام بهذا الافتراء المدرسون المستشرقون المتعصبون المستأجرون ، من أقلام المخابرات في دول الاستعمار وهم جميعاً إلا ما ندر منهم يدرسون الإسلام ليتصيدوا نواقصه بزعمهم ويكشفوا عن عيوبه ، ويثبتوا بطلانه ، كدين سماوي نزل به الروح الأمين من رب العالمين، على نبي الرحمة وقائد الأمة وإمام العالمين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وليتعرفوا بدراستهم للإسلام طبيعة الشعوب الإسلامية ليعملوا على تثبيت ما يتمكن به الاستعمار في ديار المسلمين . وهذه وظائف كل من اشتغل بالاستشراق وعلوم الإسلام وتاريخ الإسلام ، وكان شيخ هؤلاء المستشرقين وحجتهم وعلمهم في عصره وهو القرن الماضي ولا تزال كتبه حتى اليوم هي المرجع الرئيسي للدراسات الإسلامية هناك في مختلف جامعات أوروبا. ذلك المستشرق هو « جولد تسيهر » اليهودي المجري الخبيث الدساس ، وله اليوم طلاب وأحفاد من هؤلاء المستشرقين الذين يدعون النزاهة وهم أكذب الناس، ويدعون العلم وهم أجهل الناس بالإسلام ، ويزعمون البحث العلمي المجرد وهم الدساسون على العلم ، ويستغلون جهل الطلاب الإسلاميين بالإسلام ، وجهل الغربيين به كذلك فيدسون السم في الدسم ويخلطون الحق بالباطل زعماً منهم بأنهم باحثون ، ولا يريدون إلا الوصول إلى الحقائق، وكذبوا، فالذي يطلع على أبحاثهم من علماء المسلمين اليقظين يروعه ، ويدهشه ، ما يتحلون به من مكر ودس وتحريف بيّن سافر للنصوص ، وتشويه ظاهر لمقاصد الإسلام

ومبادىء الإسلام السمحاء . ومحاولتهم لقلب الحقائق الإسلامية رأساً على عقب .

٢ — وثاني ما يهدف إليه الاستعمار اليوم لمستشرقيه ومبشريه وكتابه تفكيك عرى الوحدة بين المسلمين تلك الوحدة الطبيعية الربانية التي أقامها الله بين المسلمين وجعل الحج والاجتماع حول البيت الحرام من أبرز مظاهرها ، ومن أقوى دعائمهما . ولقد كانت الوحدة بين المسلمين فيما مضى من الدهور من أقوى العوامل في اندحار الأعداء في الحروب الصليبية وفي كل مؤامراتهم على الخلافة الإسلامية خلال مائتي عام مضت . وقد عمل الاستعمار الخبيث على بث الشعارات التي فرقت بين المسلمين ، ومزقت صفوفهم كنعرة القومية مثلاً فقد حرضوا الإتراك ، في أوائل القرن الحاضر على المناداة بالقومية الطورانية ، ليضعوا من شأن الخلافة الإسلامية وهي آخر خلافة تجمع عليها الاستعمار من كل مكان ، وبهذه النعرة وتفريق شمل المسلمين يسهل على المستعمر القضاء عليها . كما بثوا في الفارسيين القومية الفارسية وفي المصريين القومية الفرعونية وفي السوريين القومية الفينيقية أو القومية السورية والقومية البربرية في المغرب المسلم .

وأغرب من ذلك كله أنهم يبثون اليوم بخداعهم في الكثيرين من شباب باكستان القومية الباكستانية مع العلم بأن الباكستان كما يعرف الجميع لم تقم إلا باسم الإسلام ، وعلى أساس الإسلام ، ولم تنفصل عن الهند إلا لأن المسلمين يختلفون عن الهنود المجوس في كل شيء ، في عقائدهم وعاداتهم ومثلهم ، وأهدافهم فمتى كان للباكستان قومية خاصة بها ولكنه مكر الاستعمار ، وصدى للدعاوي القومية التي انتشرت في كل مكان من ديار الإسلام وكادوا بهذه النعرات أن يهدموا بنيان الإسلام ، كما وضحنا ذلك في موضعه من هذا الكتاب .

ويعمل المستعمرون اليوم في مخططاتهم الحديثة على إنشاء قومية افريقية

باسم القومية الإفريقية . ليقطعوا كل صلة بين مسلمي إفريقيا ؛ وبين مسلمي العالم الإسلامي . وليسهل عليهم بعد ذلك إدخالهم في النصرانية بزعمهم بعد أن فشلت جهود إرسالياتهم التبشيرية وحكوماتهم في تنصير إفريقيا فشلاً ذريعاً في كل مكان حتى هالهم ما رأوا من انتشار نور الإسلام وسطوع نجمه في كل أفق من آفاق إفريقيا .

٣ — ومما يسعى إليه الاستعمار تمهيد عقول الشباب المسلم وفتياته ، للغزو الفكري الاستعماري مهما كانت أشكاله وصوره ما دام يهدم بنيان الإسلام من شيوعية أو رأسمالية أو إشتراكية أو داروينية متشككة ملحدة أو غير ذلك والمستعمرون مهما اختلفت سياساتهم فهم متفقون على أن الإسلام لا يصلح أن يبقى في الوجود لأنه خطر على مصالح جميع المستعمرين .

٤ — ومنها إشاعة الإنحلال الخلقي في الشباب والفتيات فهم يزينون لهم الخروج على الآداب الإسلامية والأخلاق الربانية بحجة أنها رجعية وتخلف ويزينون لهم الإنصراف إلى العبث واللهو والإنحلال وفقدان المثل الاعلى وضياع الشخصية بحجة أن ذلك كله تقدم وتمدن وأنه علامة الرقي والحضارة ؟

لذا فإن الاستعمار يشجع ويمد الأدب الإباحي والأدباء والشعراء الأباحيين والمغنين والخليعين ويمدهم بكل أسباب القوة ويشيع مؤلفاتهم ويلقي عليهم الأضواء حتى يجعلهم للشباب المثل الأعلى كما يشجعون الأدب العابث الذي لا يلتزم بخلق ولا يعمل إلا للعبث والمجون وقضاء الوقت والفراغ بالباطل .

تشويه حقائق الإسلام
الطعن بالرسول وتشويه سيرته

يسعى المستشرقون والمبشرون بكل قواهم لتشويه سمعة الرسول العظيم وطعنه في دعوته وسيرته فهم يزعمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ دعوته كرسول ومصلح ولم يكن يخطر بالبال أن يكون قائداً أو مؤسساً لدولة حتى هاجر إلى المدينة فبدأت تجول بذهنه وخاطره فكرة إنشاء دولة ويستدلون على هذا الإفك بأنه صلى الله عليه وسلم كان في مكة مسالماً لا يقاوم أعداءه بحرب ولا قتال ولكنه في المدينة خاض مع أعدائه المعارك الدامية ، أولها معركة بدر ، وخاض مع اليهود معارك حتى أجلاهم عنها ، وقالوا بإفكهم : إن محمداً قد تخلى في المدينة عن صفة الداعية إلى الهدى والتوحيد وإتصف بصفة المقاتل الذي لا يهدأ له بال حتى يقضي على أعدائه .

وها هنا تبدو المغالطة والتزوير وتجاهل طبيعة دعوة الإسلام وطبيعة الحياة نفسها وتدرج الدعوة والتشريع في الإسلام ثم الفرق بين الدعوة في مكة والدعوة في المدينة .

ومما يزعم هؤلاء المستشرقون المتعصبون وغيرهم من قسس ورهبان الكنائس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يميل إلى النساء لذلك سمح لأتباعه بتعدد الزوجات وتوفي هو عن تسع زوجات :

وهنا أنقل محاورة جرت بين أخي فقيد الإسلام العالم المجاهد الشيخ مصطفى

السباعي رحمه الله وأسكنه جنته جرت بينه وبين رئيس الآباء اليسوعيين في ايرلندا الجنوبية وهي كاثوليكية قد انفصلت منذ عهد قريب عن بريطانيا لإختلافها معها في الدين كما هو معلوم قال رحمه الله : فقد كان من حديثي مع رئيس اليسوعيين أن سألته لماذا لا تزال كتبكم وبخاصة الكتب التي تدرس للطلاب في مدارسكم مليئة بالطعن البذيء الفاحش على نبينا صلى الله عليه وسلم : فأجاب إننا نحن المسيحيين لا نحترم رجلاً يعدد زوجاته .

فسألته هل سليمان الحكيم عندكم من الأنبياء المحترمين أم لا ؟ قال بلى . قلت : إن التوراة التي بين أيديكم أثبتت أنه كانت له سبعمائة من الحرائر وثلاثمائة من الجواري وكن كلهن باعتراف التوراة من أجمل نساء زمانهن ، أي أنهن في الغالب حين أختارهن كن صبايا عذارى فلماذا تحتقرون من تزوج تسع زوجات لأغراض دينية ؟ واجتماعية ليس فيهن الا صبية واحدة وهي عائشة والباقيات ما بين ذوات أولاد وما بين عجوز مات عنها زوجها فضمها إليه صلى الله عليه وسلم ليقوم بكفالتها ، والإنفاق عليها ؟ وهنا أُفحم الأب اليسوعي ولم يعرف كيف يجاوب ثم حول الحديث إلى غيره ، أقول هذا للتدليل على أن تعدد الزوجات كان أمراً معهوداً عند أنبياء بني إسرائيل ، وما رأينا نبياً منهم ، اقتصر على واحدة وكذلك كان الامر في كل الامم في العصور الماضية بل إن بعض ملوك فرنسا كانت له زوجتان بعلم الكنيسة ورضاها ومباركتها فإثارة الشبهة حول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع تعصب مقيت بل هو نفاق أخلاقي لا مبرر له إلا ما جُبل عليه بعض الغربيين من النفاق في إدعاء الأخلاق وهم عنها بعيدون ، وإلا ما جبلوا عليه كذلك من بغض هذا الرسول الأمين ، وكره هذا الدين العظيم ، الذي جاء فحطم آمالهم وأزال عرش القياصرة ، والاكاسرة وحطم أحلام الصليبية التي سعت مجاهدة للسيطرة على العالم الإسلامي ولكن أتباع هذا الرسول كانوا وما يزالون الجبل الأشم في وجه الطغيان الصليبي والحد الاستعماري وسيبقى الإسلام الجبل الأشم والصخرة التي تتحطم عليها أحلام المستعمرين في كل مكان .

من تشويه الاستعمار لحقائق الإسلام

(١)

القضـــاء والقـــدر

إن تشويه حقائق الإسلام وتاريخ الإسلام ، وتاريخ عظمائه وأبطاله ومعاركه الفاصلة ، لا يقف عند حد ولا ينتهي إلى غاية فأعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين والمتعصبين وغيرهم بيدهم أقلامهم وهي معاول هدم وألسنة سوء يشرقون بها ويغربون ، ويفترون وما يخجلون ، ويكذبون ولا يصدقون ، ومن الحقائق التي شوهوها وبدلوا فيها وغيروا وأعادوا وأبدوا هي عقيدة القضاء والقدر ، فقالوا زوراً وبهتانا :

إن سر إنحطاط المسلمين كما يبدو اليوم ناشىء من عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر ، وإن كل ما يفعله العبد مقدر من الأزل لا سبيل لدفعه ثم قالوا : ويا بئسما قالوا : ولذلك ترى المسلم كسولا ، جاهلاً ، خاملاً اعتقاداً منه بأنه لا فائدة من العمل ما دام كل شيء بقضاء الله وقدره !!!

ومن المؤسف أن هذا الدس الرخيص والبهتان الظاهر وجد سبيله إلى أذهان بعض الكاتبين من المنتسبين للإسلام ، والذين يزعمون أنهم يبحثون عن علل المجتمع الإسلامي. ولقد خابوا وخسروا إذ لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث في هذه الدعوى التي قالها أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين ولو أنهم رجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لوجدوا رائحة الكذب والجهل تفوح من هذه الفرية الظالمة على الإسلام .

إن عقيدة المسلمين اليوم بالقضاءوالقدرلا تبلغ عشر معشار ما بلغته عند أسلافهم وبناة تاريخهم ومجدهم الخالد . بل إن البطولات التي سجلها الآباء في فتوحاتهم وانتصاراتهم المذهلة التي أدهشت العالم ليس لها سبب إلا أنهم فهموا القضاء والقدر على حقيقته وكان هذا الفهم ، وهذا التوكل الصحيح هو سر عظمتهم وانتصاراتهم الرائعة فهموا القضاء والقدر على أنه لا يقدم أجلاً ، ولا يؤخر رزقاً ، فجاهدوا في الله حق جهاده وقالوا كلمة الحق حيث يجب أن تقال . وبذلك ربى الإسلام أجيالاً هي زينة الدنيا وفخرها ببطولاتها وجرأتها ، وقوتها ، ومتانتها ، وإيمانها ، بحقها وتضحيتها وصبرها وجهادها وصلابتها في الحق وجهرها بالحق ...

لقد فهم الأسلاف القضاء والقدر على انه عمل لا كسل وقوة لا ضعف فيها ، وحافز دافع لا تثبيط فيه ، وسعي متواصل لا خمول فيه .

والثواب والعقاب في الدنيا والآخرة إنما هو على أعمال الإنسان التي قام بها ، بمحض إرادته ، واختياره . ولا دخل للقضاء والقدر في الثواب والعقاب ، بل من نعمة الله على الإنسان إيمانه بالقضاء والقدر ، فهو تطمين للنفس ، وتسليم للخالق عز وجل . وتربية للرجولة والبطولة ، فما دام الأجل محدوداً بقضاء الله وقدره فلم يخاف الإنسان ؟ وممَ يخاف وهو لن يموت إلا بأجله المحدود ويومه الموعود – ولكنها الأغراض الخبيثة والمخططات الاستعمارية لقلب حقائق الإسلام وتشويهها ومكافحتها تعميهم وتصم آذانهم عن سماع الحق

(٢)

مركـــــز المـــــرأة

وهذا باب آخر من أبواب تشويه الاستعمار لحقائق الإسلام وهو تشويههم لموقف الإسلام من المرأة . وقد تركزت على هذا الموضوع جهود علمائهم

وأدبائهم ، المنحرفين ، وعند اللاهوتين المتعصبين وعند الصحافيين المأجورين ليكتبوا للجماهير عندهم كل غريب وطريف بنظرهم وبخاصة على المسلمين الذين هم العدو الأول للغرب والغربيين إن أي إنسان إذا قدر له أن يزور أوروبا ويلقى رجالها فسيكون أول حديث بينه ، وبين هؤلاء حين يعرفون أنه مسلم حول موقف الإسلام من المرأة ، وأن الإسلام أهان المرأة وأذلها وانتقصها ، وأضاع حقوقها . فهم يزعمون أن المرأة المسلمة مهينة القدر ، مهضومة الحقوق ، حتّى بلغ من وقاحة أحد كتابهم أن كتب بأن الإسلام يحرم على المرأة دخول الجنة وليس لها مكان في الجنة تستريح فيه أو تنفذ إليه .

وهذا في الواقع لم يكن وليد جهل منهم بحقائق الإسلام فهم أو بعضهم يعرفونها كما يعرفها أهلها . ولكنها العصبية المقيتة والمؤامرة المقصودة ، لتشويه حقائق هذا الدين أمام أجيالهم الصاعدة ، خوفاً عليها من التأثر بالإسلام إن هي اطّلعت عليه كما هو وعرفت حقائقه الناصعة .

ومن جهة أخرى ففيه طعن بالدين وتشكيك للشباب المسلم الذي حجبوه عن دينه ، وحالوا بينه وبين معرفته لحقائق هذا الدين الناصعة . وإلا فمن من الناس خاصة أهل العلم يجهل ما صنعه الإسلام في إعزاز المرأة ، وكرامة المرأة ، وصون المرأة ، واحترام المرأة ؟

لقد جاء الإسلام والمرأة مخلوق حقير بنظر أهل الشرق والغرب فالعرب كانوا يئدون البنت وهي حية ويوسدونها التراب بكل قسوة وغلظة وفظاعة .

والغربيون اجتمع رجالهم في إيطاليا إبان بعثة سيد الرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في شبه مؤتمر مسيحي عام وكان موضوعه الأول : هل المرأة إنسان كالرجل أم هي مخلوق آخر غير إنسان ؟

في هذه الحقبة المظلمة من الزمن تشرق شمس الإسلام ، ويبعث سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فيرفع شأن المرأة ، ويجعل لها من الحقوق ما على الرجال وللرجال عليهن درجة فقط وهي درجة الرياسة والقيادة ،

التي لا تصلح إلا للرجال قال الله تعالى في كتابه العزيز الذي أنزله قبل أربعة عشر قرناً من الزمن « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة »

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « النساء شقائق الرجال » فكيف أنقلب فضل الإسلام وتشوهت حقائقه فجعلوا منه ظالماً للمرأة وهو الرحيم بها ، وجعلوا منه المضيع المفرط لحقوق المرأة ، وهو الذي حفظ المرأة . وكرامة المرأة وعفاف المرأة ، وشرف المرأة ، وتوجها بتاج العفة والخفر والحياء والوقار ، وجعل منها درة مصونة آمنة مأمونة .

إنها الأغراض تعمي وتصم ، وهي المؤامرات والمخططات التي تحاول أن تجعل من كل فضيلة رذيلة ، ومن كل نور ظلاماً ، ومن كل خير شراً .

ولست بصدد بيان فضل الإسلام على المرأة حتى أُسهب في هذا الموضوع وحسبي من هذا الموضوع الخطير الإشارة إليه ليطلع شبابنا ورجالنا على مخططات أعدائنا وخصومنا التي نجحت في مجتمعاتنا وتأثر بها كثير من شبابنا ورجالنا حتى دعوا بدعواتهم ، وصاخوا بأصواتهم، ونادوا بنداآتهم وضربوا على الوتر الذي ضرب عليه رجال الاستعمار وهم لا يدرون ما يصنعون ولا يعلمون أنهم يفسدون ولا يصلحون هداهم الله وردهم إليه رداً جميلا .

(٣)
الزعم بعدم صلاحية الدين ومنافضته للعلم

ومن أعظم دسائس الاستعمار وأخطر مؤامراته ومخططاته التي أراد بها تهديم المجتمع الإسلامي والإتيان عليه من القواعد هو ما ألقاه في أذهان كثير من شبابنا المتعلم الذي رضع في ديارالغرب وتعلم هناك . وما روجه المستشرقون بأساليبهم الماكرة ، وما نشره كتابهم الاستعماريون في أكثر ديار الإسلام التي اتصلت بالغرب اتصالاً مباشراً أوأخذت عنه الكثير من ثقافته وهذاالزعم الباطل :

هو أن من أكبر أسباب إنحطاط المسلمين اليوم وتخلفهم عن ركب الحضارة

إنما هو تمسكهم بدينهم وهم يزعمون بأن الدين عموماً والإسلام بصورة خاصة لا يتفق مع العلم ،والتمسك به لا يؤدي إلى التقدم والتطور بل يقف حجر عثرة في سبيل ذلك كله ، وقد تأثر بهذا الرأي كتاب ينتسبون للإسلام ، ولكنهم قد أجروا أقلامهم للإستعمار وأذناب الإستعمار ، وقد فات هؤلاء الدساسين الذين رضعوا لبان الغرب الفرق الشاسع بين دينهم وديننا . وأنه إذا كان دينهم هناك ورجال الكنيسة قد حاولوا عرقلة النهوض في فترة من الزمن وقادوا حركة التخلف ، ومناهضة التقدم الحضاري فإن ديننا بفضل الله ثم بفضل علمائنا الواعين الذين أقاموا صرح الحضارة الإسلامية الخالدة في التاريخ وهم الذين أنهضوا العالم من كبوته بعد أن كان يغط في سبات عميق وجهل سحيق .

وكل حضارة لا يمكن أن تعيش إلا على ثلاثة أسس :

١ ــ عقيدة صحيحة واعية ونامية ٢ ــ وعلم ثابت يكتشف رجاله نواميس الكون وأسرار الحياة ٣ ــ وخلق قويم عظيم يتحمل أعباء النهضة وتضحياتها وتكاليفها ، هذه هي العناصر الأساسية لبناء كل نهضة وحضارة وقد جاء الإسلام بهذه العناصر الثلاثة على أتم الوجوه وأكمل العناصر فليس أصفى ولا أنقى ولا أبقى من عقيدة التوحيد التي هي عقيدة الإسلام في توحيد الألوهية والربوبية والنبوه والحشر والنشر ، أما الأساس الثاني وهو العلم فليس في الاديان دين حث على العلم ورغب فيه كالإسلام . وقد لفت الإسلام الأنظار إلى ظواهر الكون « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » ليحث على الكشف على نواميس الكون وما فيه من عجائب وغرائب « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت » .

وأما الأساس الثالث وهو الأخلاق وهي أساس الحضارات كلها والنهضات فحدث عن أخلاق المسلمين السامية ولا حرج فهم أمة الأخلاق بحق وصدق

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم «إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق» وأعظم آية وصف الله بها نبيه هي قوله تعالى « وإنك لعلى خلق عظيم »

هذا الدس الخبيث ودس آخر يرتبط به ويتعلق بأسبابه وذلك بأن رجال الاستعمار قالوا وفي قولهم النكر والضلال والتلفيق : قالوا زوراً وكذباً « ما دام الإسلام عاجزاً عن مسايرة ركب الحضارة وما دام الدين غير متفق مع العلم ولا يساير ركب الزمن فمن الواجب على الدولة الإسلامية أن تفصل الدين عن الدولة كما فعلت أوروبا في عصر النهضة والتطور » .

وفات هؤلاء الدساسين أن طبيعة المسيحية تختلف عن طبيعة الإسلام في موقفها من العلم والحضارة فالمسيحية جاءت لإصلاح أخلاق اليهود المادية الضالة التي أستباحت قتل الأنبياء وسفك الدماء قال تعالى « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون » .

ويؤكد هذا ما ينسب إلى السيد المسيح عليه السلام في الأناجيل الحاضرة من قوله : إنما جئت لخراف بني إسرائيل الضالة فالمسيحية ليس فيها تشريع متكامل كالإسلام الذي جاء بتشريعات متكاملة لإصلاح الدين والدنيا والفرد والجماعة والحكومة والمجتمع والناس أجمعين .

والمسيحية ديانة كهنوتية أي لها رجال كهنوت يتكلمون عن الله ما لم ينزل به سلطاناً فيحجزون الأفكار ويحلون ويحرمون ويزعمون لأنفسهم السيطرة على ضمائر الناس وقلوبهم وهاهم قد برأوا اليهود من دم المسيح وأتخذ المجمع المسكوني ذلك القرار اليهودي الماكر أما الإسلام فليس فيه كهنوت وليس لأحد كائناً من كان أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بنص من كتاب أو سنة وإلا رُدَّ قوله في وجهه ولم يؤخذ عنه ولا منه ، والإسلام والنصرانية يختلفان في كل شيء لذا كانت هذه الدعوة « فصل الدين عن الدولة » من قبل المستعمرين وأذنابهم من أخطر الدعوات وأخس المؤامرات وفصل الدين عن الدولة يعني أن نقطع الصلة مع تشريعاتنا التي جاءت لتنظيم حياتنا وأن نكون

كما وقع بالفعل عالة على الغربيين وغيرهم في النظم والقوانين فنحن. اليوم نحكم بقوانين مشكلة الألوان مختلفات بعد أن نجحت. هذه الدعوة وفصلت حكوماتنا الدين عن الدولة فجاءت تستعير القوانين الفرنسية والرومانية والانكليزية وتترك قانون الله وشرعة الإسلام ، وصرنا نأخذ من الكفار بعد أن كنا نعطيهم ، والإسلام دين ودولة ، مصحف وسيف ، أدب وأخلاق ، ونظام وحكم وتشريع ، وقد كفل مصالح البشر الدنيوية والأخروية وهو جزء من حياتنا فكيف نفصل بين الدين ؟ وهو شرعة الله بيننا ، والدولة وهي حكم الله فينا ، ونظامه لتنظيم معاشنا وأمننا وسلامتنا فالدين والدولة في الإسلام شيء واحد لا ينفصل أحدهما عن الآخر فالدين روح والدولة جسم وهل يفصل الروح عن الجسم إلا غبي جاهل ، ومستكبر ظالم ومن يقل بفصل الدين عن الدولة فهو الجاهل بالدين والجاهل بمعنى الدولة فالإسلام والدولة شيء واحد لا ينفصم أحدهما عن الآخر وأحدهما حياة للآخر .

(٤)

الدس والتشكيك في السنة

لما يئس اعداء الإسلام من المستعمرين وغيرهم من الدس على كتاب الله والتشكيك فيه ، والطعن في آياته او كلماته لأنه الكتاب الديني الفريد في العالم وقد نقل نقلاً إجماعياً متواتراً نقلته الملايين عن الملايين في كل جيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يتلوه غضاً طرياً على صحابته كتاباً منزلاً من رب العالمين ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وكان بحق المعجزة الخالدة التي شهدت الدنيا كلها بتحقق الآية الكريمة « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

لما يئس أعداء الإسلام من الدس والطعن على كتاب الله والتشكيك فيه اتجهوا نحو المصدر الثاني من مصادر تشريعنا وإسلامنا العظيم ، وهو السنة المطهرة فبذروا في النفوس الضعيفة والجاهلة بذور الشك فيها من نواح متعددة ظانين

أنهم بذلك يهدمون أهم صرح في بنيان الصرح الإسلامي العتيد ، وقد بدأت هذه المحاولات اليائسة منذ القديم ثم استمرت في مختلف العصور واشتدت وبرزت في عصرنا هذا فدعا لها دجالون ورددها أغبياء جاهلون أدعياء للإسلام ولكن الله العظيم الذي حفظ كتابه هو الذي حفظ وسيحفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

إذ هي شرح له وبيان لمراده في كتابه فهيأ لها في كل عصر حماة ودعاة ، وعلماء ورعاة ردوا كيد الأعداء في نحورهم فنفوا عنها الزيف ، وخلصوها من الدخيل وميزوا بين صحيحها وحسنها وضعيفها وموضوعها ودونوها في الكتب وأنشأوا لها العلوم الخاصة بها ، حتى زادت علوم السنة على خمسين علماً فمن هؤلاء من يقول عن السنة انها لم تكتب وتدون إلا في منتصف القرن الثالث الهجري لذا حصل فيها التزيد والتغير ظانين بجهلهم أو تجاهلهم على الأصح ، أن الإمام البخاري رحمه الله هو أول من دون السنة وسجل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وقد توفي سنة ٢٥٦ للهجرة .

وقد أثبتت الدراسات العلمية الصحيحة أن كتابة السنة المطهرة بدأت منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أخذها التابعون وهم تلاميذ الصحابة الكرام وكتبوا كل ما سمعوه من الصحابة في صحفهم وسجلاتهم واستمر الأمر هكذا حتى انتهى الى الأئمة مالك والبخاري ومسلم وأحمد والنسائي والترمذي رحمهم الله وغيرهم من أجلاء العلماء .

وأحياناً يثير أعداء الإسلام الشبه حول السنة المطهرة باعتبار أنها تضمنت فضائل عدة من الصحابة وممن وقع الخلاف بينهم ثم الحرب والقتال كما هو معلوم فهم لخبثهم يرون أن كل أحاديث الفضائل من رجال ومدن وقبائل قد وضعها أنصارها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم والدس هنا هو قولهم انه إذا تطرق الشك إلى صدق الرواة ولو في بعض المواضيع فقد تطرق الشك اليها كلها هكذا يزعمون وهكذا يدسون ؟؟ وهؤلاء الدساسون وغيرهم

من الناس ، يعلمون أن علماءنا الأبرار رحمهم الله أجمعين قد فطنوا لذلك من أول الأمر فميزوا الصحيح من أحاديث الفضائل عن غير الصحيح بأسلوبهم العلمي الدقيق وبميزانهم الحساس الذي لم يستطع العلم الحديث أن يأتي بخير منه ولا بمثله وبناء على هذه القواعد الدقيقة فإنه لم يبق أي مجال للشك في أحاديث الفضائل التي أثبت النقد العلمي صحتها بعد أن أثبت الرواة صحتها وبينوا غير الصحيح منها بأسلوبهم العلمي الحكيم .

ومما سلكه أعداء الإسلام في سبيل هدم السنة والتشكيك فيها هو إثارة الشبهات حول أكابر رواتها وحملتها ومدونيها ، كما أثاروا الشبهات حول الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه وهو أكثر الصحابة رواية للحديث ، وكما أثاروا الشبهات حول الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري وهو الإمام الثبت الحجة الذي دون السنة في عهد عمر بن عبد العزيز بأمر منه [١] وقد أجمع كل الذين عاصروه وعاشروه بأنه كان من أذكى الناس وأشدهم حفظاً كما أجمعوا على أنه من أتقى الناس وأصدقهم لهجة .

وقد نقل الأستاذ العلامة الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله واسكنه الجنة وجزاه عن جهاده وصبره خير الجزاء هذه الرواية عن الزهري فقال :

« لقد روى الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده المتصل الى الشافعي رحمه الله ثم الى الزهري أن هشام بن عبد الملك سأل بعض جلسائه من أهل العلم من الذي تولى كبره منهم أي كبر الإفك على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ! فقالوا : هو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق فقال هشام كذبتم إنما هو علي بن أبي طالب — ويظهر أن هشاماً كان يختبر شدة جلسائه من أهل العلم في قول الحق — فقالوا : امير المؤمنين اعلم بما نقول. ثم دخل الزهري وسأله ذات السؤال فأجابه بما أجابوه ، فقال له هشام كذبت ، فوقف الزهري غاضباً

١- راجع كتاب السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي لفقيد الاسلام الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله .

وقال للخليفة أنا أكذب لا أبا لك والله لو أن منادياً ناداني من السماء ، بأن الله أحل الكذب ما كذبت ثم خرج وذكر ابن عساكر بقية القصة وكيـــف استرضاه الخليفة بإسقاط مائتي ألف درهم من دين كان عليه » ثم قال الأستاذ السباعي رحمه الله فهذا الإمام العظيم الذي رأيتم موقفه من الخليفة حين اتهمه بالكذب لم يتورع شيخ المستشرقين في القرن الماضي جولد تسيهر من أن يتهمه بأنه كان يضع الأحاديث ارضاءً للامويين وأنه هو أي الزهري الذي وضع لعبد الملك بن مروان حديث لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى.ليصرف الشاميين عن الحج لبيت الله الحرام إلى بيت المقدس أيام حكم ابن الزبير، مع العلم بأن هذا الحديث من أشهر الأحاديث وأصحها وقد رواه غير الزهري وخرجته كتب السنة الصحيحة حتى قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

إن هذا الحديث أجمع المسلمون على صحته .

إن الوقاحة التي حملت هذا المستشرق اليهودي المجري على إتهام الزهري بالوضع والكذب ، ما حمله عليها إلا محاولته التشكيك بالسنة وبرجال السنة، بل جاء به في هذا الصدد ذاته ، دليلاً على مراده الخبيث ومن المؤسف حقاً أن بعض من ينتمون إلى الإسلام قد وقعوا في مثل هذه الشباك إما غفلة واتباعاً للهوى ، وإما عمالة ورغبة في الشهرة الكاذبة كما فعل أبو رية المصري في أكاذيبه على أبي هريرة رضي الله عنه فاحتضنته دوائر الاستشراق والاستعمار ، وكما فعل المدعو عبد الله القصيمي النجدي في إجرامه بكتابه الأخير «العالم ليس عقلاً» وهذا المخلوق مستأجر لأعداء الإسلام .

إن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم درع حصين للإسلام واتباعها يقـــي المسلمين أخطار الفوضى والضلال والانحلال والضياع وأن أعداء الإسلام وهم حريصون على ضياع المسلمين ، وتضليلهم وانحلالهم يعملون اليوم في مختلف دوائرهم واتجاهاتهم . إلى هدم السنة المطهرة عن طريق التشكيك برواتها ودعاتها مـــن

صحابة وتابعين ولكن الله العلي الكبير سيجعل كيدهم في نحورهم وسيحفظها كما حفظ كتابه الكريم والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

تشويه معنى الجهاد وقيام الإسلام بالسيف

ومن أخطر ما شوهه الاستعمار الغربي والتبشير ، من حقائق الإسلام ، وتاريخ الإسلام ، ومبادىء الإسلام ، هو تشويههم لمعنى الجهاد في الإسلام ، والأغراض النبيلة التي فرض الجهاد من أجلها ، والأهداف التي توخاها الإسلام في فتوحاته ، ومهام الأمور التي كان يسعى إليها قادتنا ، وأئمتنا الحربيون وحكامنا الإداريون ، وهؤلاء الأعداء يشيعون فيما يكتبون ويحاضرون أن معنى الجهاد في سبيل الله عند المسلمين ، هو حملهم السيف لإكراه الشعوب غير الإسلامية على الدخول في الإسلام .. وهذه فرية يكذبها واقع تاريخ المسلمين ، وكتاب رب العالمين قال تعالى « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ! ! ويقول « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » ومع هذا فقد شاعت فكرة قيام الإسلام بالسيف والقوة ، حتى أصبحت عند بعض الغربيين أن شريعة السيف وشريعة الإسلام شيء واحد ودخلت هذه الفرية على كثير من كتاب المسلمين أنفسهم ، مع العلم بأن المسلمين لم يحاربوا قط في صدر الإسلام إلا مدافعين عن أنفسهم ، أو دافعين لمن يصدون الدعوة بالموعظة الحسنة من ذوي السلطان ، وكذلك كان حالهم مع مشركي العرب كما كانت وقائعهم مع الفرس والروم وقبل غزو فارس بزمن طويل كان كسرى يبعث البعوث سراً وجهراً في طلب صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم حياً أو ميتاً لأنه خاطبه داعياً إلى الإسلام » [1]

---

١ — راجع كتاب ما يقال عن الاسلام للعقاد رحمه الله صفحة ١٦٨ .

والذين يقولون بقول الغربيين أعداء الإسلام كأنهم لم يقرأوا آية القتال التي نزلت وقد أباحت للمسلمين أن يقاتلوا من يقاتلهم ولا يعتدوا على أحد لم يرفع السيف في وجوههم قال تعالى « قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »

على أن بعض المنصفين من الغربيين أنفسهم لم يؤيـدوا فكرة قيام الإسلام بالسيف بل سخروا منها ومن القائلين بها وقد نقل العقاد رحمه الله في كتاب ما يقال عن الإسلام ص ١٧٠ قال :

« من نوادر المؤلفين الغربيين الذين جمعوا بين حسن النية وحسن الفهم في مسألة الجهاد توماس كارليل الحكيم الايقوس الذي يسميه نقاد الغرب بني الكتاب ... فهو ينتهي بزعم الزاعمين أن الإسلام قد انتشر بالسيف الى الغاية من السخف والغثاثة ، ولا يرتضي أن يعتبر هذا الزعم من أكاذيب التاريخ فإنه أضعف من أن يحسب من الأكاذيب التي تحتاج إلى تصحيح ، وهو أظهر بطلاناً من أن يبطل بالمناقشة لأ ن القائل به سواء ومن يقول : إن رجلاً واحداً حمل سيفه وخرج إلى جميع مخالفيه ليبعث فيهم الخوف من سيفه ـ وحده ويسوقهم كرهاً إلى اعتقاد ما ينكرون ، فيصدقونه ويثنون عليه ثم يحملون السيف معه لتخويف الآخرين ! .

هذا هو الفهم السليم والمنطق الحكيم وإلا فكيف يجوز لرجل واحد كرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج بالسيف ليدعو إلى الله وهو في قبضة أعدائه ، وفي وسط خصومه وحساده ، ولو فعل ذلك لما استقام له أحد وما آمن به أحد ، ولكنها الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والحجة والبرهان واللين والإحسان وبيان القرآن ، وبلاغة الفرقان ، وحكمة من بعث بالإحسان والقرآن وسمو خلقه العظيم الذي ساس به القريب والبعيد والجافي والغليظ ، حتى ألان له الحديد وجمع له القريب والبعيد ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ، ويقول الله تبارك وتعالى له : «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ».

تشويه معنى الجزية

ومما طعنوا به على الإسلام وعابوه عليه أخذه الجزية من أهل الكتاب إن هم أبو الدخول في الإسلام ، وجعلوا هذه الجزية دليلاً على الظلم : والقهر والإضطهاد وأنكروا فضل الإسلام في الجزية إذ ترك أهل الكتاب أحراراً في دينهم وإقامة شعائرهم وإذ نظم الجزية تنظيماً حكيماً وجعلها جزءاً من نظام التكامل الاجتماعي .

ونسي هؤلاء الأعداء أن الجزية كانت نظاماً سائداً في العالم كله يدفعه المغلوب للغالب ولم يكن فيه من معنى الإنسانية شيء يذكر بل كان عنوان الإذلال والقهر ووسيلة لابتزاز أموال المغلوبين فجاء الإسلام العظيم ونقل الجزية إلى معنى إنساني كريم ونبيل فجعلها ثمناً لحماية أعراض المغلوبين وأموالهم ودمائهم وعقائدهم كما جعلوا تعويضاً عن عدم اشتراكهم في الحروب الإسلامية وهذا من أسمى عدالة الإسلام ونبالة قصده .

فالجيش الإسلامي إنما يحارب من أجل عقيدة فكيف يجبر من لا يؤمن بتلك العقيدةعلى أن يبذل في سبيلها دمه ويفارق أهله ، وعياله ، وأعماله ، وتجارته؟ والدليل على هذا الذمي الذي يدفع الجزية إن رضي أن يدخل الجيش الإسلامي ويقاتل في صفوف المسلمين تسقط عنه الجزية وقد حصل هذا في التاريخ الإسلامي فقد فعلها أبو عبيدة بن الجراح في فلسطين كما فعل ذلك معاوية مع أهل أرمينيا .

والجزية من جهة أخرى تجعل للذمي حقاً في التكافل الاجتماعي كالمسلم تماماً ، والمسلم يدفع الزكاة ، وهي لا حد لها بالنسبة إلى مال الموسر بينما الجزية أغلاها ثمانية وأربعون درهما وهو مبلغ ضئيل هزيل جداً ، ولكنه يرمز بنبل وشرف إلى اشتراك غير المسلمين في نفقات الدولة مع الخضوع لسلطانها وسيطرتها العامة .

ولو كان الجهاد في الإسلام لإجبار غير المسلمين على الدخول في الإسلام — كما يقول خصومه— لاكتفى الجيش الإسلامي بتخيير العدو بين أمرين إما الإسلام وإما القتال ولكنه جعل بينهما دفع الجزية ليكون الخيار لهم في البقاء على دينهم أو الدخول في الإسلام وليجعل لهم فرصة للتعرف على الإسلام إسهاماً منهم مع بقية المسلمين في حق التكافل الاجتماعي الذي أقره الإسلام لكل عاجز عن العمل لمرض أو شيخوخة أو بطالة .

وقد جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لليهودي العاجز في مال المسلمين جعلاً وفرض له ما يفكيه لقوته وعيشه ، فأين الإجبار وأية عدالة أسمى من هذه العدالة التي جاء بها الإسلام رحمة للعالمين ، ونظام الجزية الذي يعد من مفاخر هذا الدين جعله أعداءنا سبة وعاراً وشنعوا به علينا حتى غشوا بـــه شبابنا وجعلوهم ينتقصون هم بدورهم هذا النظام الإسلامي الرحيم .

وهكذا يفعل الاستعمار ورجال الاستعمار بقلب الحقائق ويشوهها ويجعل من الخير شراً ، ومن الرحمة عذاباً ، ومن الفضائل رذائل ومن النور ظلاماً، إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

وهكذا تفعل عين السخط تقلب الحقائق إلى أباطيل والحسنات إلى سيئات، وكما قيل :

وعين الرضا عن كل عيب كليلـــة كما أن عين السخط تبدي المساويا

وفي القصص

إن أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين وغيرهم لم يتركوا نقيصة إلا ألحقوها بالقرآن ، ولم يتركوا عيباً ولا تهمة ولا سهما ، إلا وجهوه إلى هذا الحصن المنيع ، ظناً منهم أنهم سينالون منه ويقتلعونه من الجذور ، فخاب فألهم وطاشت سهامهم ولعنوا بما قالوا .

ومما أنكروه قصص القرآن ، والقصص التي نزلت بسببها آيات في القرآن ، وعندهم أن الحادثة في القرآن إذا تعارضت مع حادثة تاريخية ، فالتاريخ عندهم هو الصادق المصدق الذي لا يرقى إليه شك ولا إتهام ولو وردت هذه الحادثة في التاريخ على أضعف الروايات وأقلها رجحاناً .

ويكفي أن يعلم القارىء الفطن أن هؤلاء المستشرقين أو أكثرهم على أصح تعبير ادعو أن القرآن صورة مشوهة من الانجيل وقصصه مستقاة من التوراة : بل أكثرها بزعمهم مختلق وغير صحيح وحوادث التاريخ تنكره .

يقول المستشرق اليهودي جولد تسيهر : « أن بعض عناصر القرآن المسيحية نعرف أنها وصلت إلى محمد عن طريق التقاليد أو الروايات المتواترة المحرفة ، وعن إبتداعات المسيحية الشرقية القديمة » .

قصة امتحان قريش

ينكر بعض المستشرقين قصة امتحان قريش للنبي صلى الله عليه وسلم تلك القصة التي نزلت بسببها سورة الكهف ومن المعلوم ان قريشاً كانت بالمرصاد للنبي صلى الله عليه وسلم تجابهه بالنكران وتحرجه بالأسئلة والإلحاح عليه بها ، وفي ذات مرة أرادوا به الحرج حتى يثبتوا العجز ليصلوا من ذلك إلى إنكار نبوته وتكذيبه في دعوته .

لقد أرسلت قريش وفداً يتكون من النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط أرسلوهم إلى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما : سلا هؤلاء الأحبار عن محمد وصفا لهم صفته ، واخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ما ليس عندنا من أخبار الأنبياء وصفاتهم ، فخرج رسولا قريش حتى بلغا المدينة فسألا أحبار اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره ، وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم : إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، فقالت لهم أحبار اليهود .

سلوه عن ثلاثة نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فانظروا فيه رأيكم .

١ ــ سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب .

٢ ــ وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ؟؟

٣ ــ وسلوه عن الروح : ما هي ؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل فهو رجل متقول .

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة راجعين من رحلتهما بعد أداء مهمتهما عند أحبار اليهود بالمدينة فقالا لقريش :

يامعشر قريش ! قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ! قد أمرنا أحبار اليهود أن نسأله عن أشياء فإن أخبركم عنها فهو نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فانظروا فيه رأيكم .

وجاءت قريش الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ! أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، قد كانت قصة عجباً ، وعن رجل كان طوافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ما هي ؟

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : أخبركم بما سألتم منه غداً ، ولم يستثن ، فأنصرفوا عنه فمكث عليه الصلاة والسلام خمس عشرة ليلة لا ينزل الله عليه وحياً ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، فشق على رسول الله تأخير الوحي ، كما شق عليه ما أرجف به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل بسورة أصحاب الكهف ، وفيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه .

وكان عتاب الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية : « ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله » .

أما إجابة القرآن العظيم عن أسئلة قريش فكانت في شأن الفتية قوله تعالى : أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً . الآيات .

وفي شأن أمر الرجل الطواف قوله تعالى « ويسألونك عن ذي القرنين ، قل سأتلوا عليكم منه ذكراً إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً فأتبع سبباً » الخ القصة .

وفي شأن السؤال عن الروح قال تعالى : ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً »

هذه القصة مع ملابساتها التي أحاطت بها هي التي أنكرها المتعصبون من المستشرقين كما أنكروا كثيراً غيرها من قصص القرآن ونسبوها جهلاً ، وظلماً ، وعدواناً ، إلى التوراة والانجيل من كتب العهد القديم التي لم يطلع عليها الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعرف القراءة بها ولم يكن إنكارهم مستنداً إلى علم أو رواية من التاريخ ولكنه انكار يحمل وراءه معاول الهدم والتخريب في القرآن الكريم وإثارة الشكوك فيه .

وإنني قد أتيت بهذه القصة قصة امتحان قريش على سبيل المثال لا الحصر وإلا فلو ذكرت ما قاله المستشرقون وغيرهم من المغرضين في قصص القرآن وغير القصص لطال بنا المقام وليس هنا مجال التطويل في مثل هذه الأمور وهي كثيرة لا يحويها كتاب مستقل ، وصدق الله العظيم وهو الصادق الكريم إذ يقول في القرآن « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ، أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من أستطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ، ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين » سورة يونس ٣٧ .

إلغاء الخلافة الإسلامية

منذ أكثر من مئتي سنة ، وأعداء الإسلام من المستعمرين والصهيونيين وغيرهم ، يدبرون المؤامرات ، ويضعون المخططات ويكيدون للإسلام كيداً ويسعون ويقدرون ، ويفكرون ويعملون لإلغاء وهدم الخلافة الإسلامية ، وقد كانت البعبع المرهب الذي تهتز له فرائص الغربيين ، وتتزلزل عروش ملوكهم أمام سطوة ورهبة وسلطان الخلفاء المسلمين المجاهدين ، ولقد مكثت الخلافة العثمانية الإسلامية أكثر من خمسمائة عام وهي تحمل لواء الإسـلام بصدق وأمانة وتذود عن المقدسات وتحمي الذمار وتحفظ الديار ، وتحارب الاستعمار وتصد غارات الكفار وكانت الخلافة على علاتها رمز قوة الإسلام وشوكته وأمتدت أطراف الخلافة حتى شملت كافة الأقطار الإسلامية فلم يبق بينها حدود ، ولا سدود ، ولا قيود ، لواء الدين يجمعهم وحكم الإسلام يظللهم ، وأخوة الإيمان توحدهم ، ورحمة الله تؤلف بين قلوبهم فكـانوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، يقول إقبال رحمه الله

إنهم في بطانة الله ذابـوا   فكان الجميع في الله فرد

وأمتدت رقعة الخلافة حتى شملت ثلاث قارات من الأرض آسيا وأفريقيا ، وجزءاً من أوروبا حتى ضرب بها المثل وقيل فيها أنها خلافة تمتد من فرغانة إلى غانة [1] .

---

١ – فرغانة بلدة في اقصى الشرق حيث تقع في تركستان الشرقية وغانة في اقصى الغرب وهي بلاد معروفة في افريقيا .

وهذا ما أزعج الأعداء ، وأشعل نار الحقد في قلوبهم ، وجعلهم يتلفتون يمنة ويسرة علهم يجدون السهم المسموم القاتل الذي يضربون به هذه الخلافة، ويتخلصون من هذا الأسد الرابض في ربوع الاناضول والذي يفزعهم زئيره وتقتلهم نظراته الحادة التي يحمي بها العرين ويحفظ بها الدين ، ويدفع عن حياض المسلمين ، وقد كانت هذه الخلافة تجمع بين الأسود والأبيض والعربي وغير العربي لا تفرق بين أحد منهم فالدين واحد والقبلة واحدة والهدف واحد والدستور كتاب الله رب العالمين وخلافة واحدة لا تعرف القبلية ولا العنصرية ولا القومية قال تعالى : « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »

بداية طريق الهدم

وأخيراً اهتدى أعداء الإسلام المكرة الكفرة ، الخبثاء إلى المخطط الآثم الذي يهدم بنيان هذا الصرح العظيم ، ويقوض أركانه ، فساروا على قاعدة « فرق تسد » ففرقوا الأمة الإسلامية وشتتوا شملها، ومزقوا وحدتها ، وجعلوا من الأمة الواحدة أمماً وشعوباً ، وقبائل تتباغض ولا تتحابب ، وتتباعد ولا تتقارب، وتتدابر ولا تتقابل ، وتتفرق ولا تجتمع ، وكل ذلك بفضل العصبيات الجاهلية التي بعثها الغرب ليهدم بها بنيان الإسلام ، فكانت المؤامرة الكبرى ، والخطة الجهنمية التي لم ينجح الاستعمار في شيء مثل نجاحه في بعث هذه الفكرة المسمومة التي فرقت بين الأخ وأخيه ، وباعدت بين القريب والقريب، وكانت أخطر ما مني به الإسلام من كوارث ونكبات منذ عصوره الأولى حتى اليوم ، وماذا يريد الاستعمار الغادر أكثر من أن يرى أبناء المسلمين يهدمون حصون الإسلام ، ويأتون على بنيانه من القواعد ؟؟ ويقتلون ويشنقون دعاته المخلصين ، ويصمون دعاة الإسلام بالعمالة والرجعية وهم العملاء الذين يخدمون مصالح الاستعمار من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

كيف بدأ الاستعمار بهدم الخلافة

لقد بدأ الاستعمار ببث الفكرة القومية بين المسلمين وبعث لها عملاءه ، ووكلاءه من المسلمين ليدعوا بها ويجمعوا حولها الأنصار والأعوان ، وبـدأ بنشرها بين الأتراك أنفسهم ومتى ما انتشر هذا الوعي : بين الأتراك وهـم رواد الخلافة وأصحاب القيادة فيها استيقظ شيطان الأمم الأخرى فدعت إلى قوميتها وتعصبت لها ، وهنا ينشأ الخلاف ويبدأ التطاحن والإستعمار من ورائه يغذيه ، وينميه ، وينفق عليه ويثيرها جذعة كلما خمدت أو كادت أن تخمد جذوتها المشتعلة .

لقد قام المدعو يوسف أقشورابك وهو تركي الأصل جاء من تركستان الروسية ، فبدأ بالدعوة الطورانية ووجد له الأعوان من عملاء الأستعمار فكشفوا عن خطتهم ، وأبانوا عن دعوتهم وهي الدعوة إلى القومية الطورانية التركية ونبذ كل ما عداها من القوميات الدخيلة على تركيا ، وأسس هذا الداعية ومعه زمرة من أعوان الشيطان وجنده أسسوا جمعية في اسطنبول عاصمة الخلافة الإسلامية أطلقوا عليها اسم جمعية « ترك بوردوا » أي وطن الترك .

كما قامت حركة أخرى من هؤلاء الدعاة باسم « ترك أوجاغي » أي حول الموقد التركي ، واستمر هؤلاء في دعوتهم يتحمسون لها ، ويحبرون فيها المقالات ، وينشرون لها المنشورات ويؤلفون فيها الكتب والمطبوعات ويخطبون بها بين الجماهير ، ورجال المخابرات البريطانية ، من ورائهم تؤيدهم ، وتنفق عليهم وتدفعهم إلى الأمام كلما ونوا أو ضعفوا ، بعد أن أخذت هذه الدعوة طريقها إلى الأذهان ؛ وأخذت تجد هوى في نفوس الشباب .. في هذه المرحلة قامت فكرة التجمع العربي للدعوة إلى القومية العربية وإنسلاخ البلاد العربية عن الخلافة العثمانية في كيان عربي مستقل .

وهنا لعب الاستعمار دوراً خطيراً ، مع دعاة القومية العربية آنذاك ، وكان

سير هم بتوجيهه ، بل كانت مراكز تجمعاتهم في إسطنبول هي دور السفارات الانكليزية والفرنسية والامريكية وسلوا المعاصرين لهؤلاء وقولوا لهم ، أين كانت اجتماعات نوري السعيد وصحبه في اسطنبول وكيف بدأت فكرة القومية العربية وعلى أيدي من بدأت ؟؟ ساوا من كان بها عليماً ينبئكم بالخبر اليقين ؟؟

إن دور السفارات الانكليزية والفرنسية في اسطنبول هي مركز إنطلاق دعاة القومية آنذاك وهي مقر تجمعهم ، وموضع لقائهم وسلوا إن شئتم واستشهدوا رجلاً من أهلها سلوا ساطع الحصري وهو اليوم من كبار دعاتها وفلاسفتها سلوه أين كان لقاء دعاة القومية العربية في اسطنبول ؟؟ أيام نادى بها رجال من العرب تحركهم أصابع الإستعمار ، وتدفعهم للخروج على الخلافة العثمانية والثورة ضدها ، وتقدم لهم المعونات ، وتصنع معهم المؤامرات لتمزق شمل الإسلام والمسلمين ، وتهدم هذا الحصن المنيع الذي كان على ضعفه وتصدعه يحمي هذه الشعوب المسلمة ، ويدفع عنها عاديات الدول الكافرة المستعمرة .

ولم يزالوا يعماون به هدماً وتخريباً حتى قضوا على هذه الخلافة الإسلامية ، ومزقوا شمل المسلمين ، وانقسمت الدولة الواحدة إلى عشرات الدول ، كل واحدة منها أصبحت مركز نفوذ لجهة من جهات الاستعمار الذي تبنى تكوين هذه الدول ، وأخذ يسيرها ويحركها كما يشاء ، وكما يريد ، ثم أخذت أصابعه تعمل في إفساد شعوبها ، وتمزيق وحدتها وتشتيت شملها حتى جعلها تتخاصم وتتحارب فيما بينها ، وشأن الاستعمار وديدنه محاربة هذا الدين الإسلامي العظيم بتمزيق الدولة الإسلامية التي ورثت الخلافة الراشدة ثم بتلويث أذهان النشء الإسلامي بالثقافة والعلوم المنفرة من المظاهر العقائدية والقضاء على روحها بين المسلمين إلى جانب الحرب بالسلاح والقوة وتكتل القوى الصليبية لمحاربة الدولة التي كانت تمثل الإسلام وتحمل رايته .

شروط المستر «كرزن» الاستعمارية

في سنة ١٩١٨ انهارت الدولة العثمانية بعد حرب طاحنة حارب فيها الجيش المسلم دول الكفار في سبع جبهات ثم قامت حركة الكماليين بقيادة مصطفى كمال واستطاعوا طرد اليونانيين ، والسيطرة على الوضع في تركيا ، ولقد قام مصطفى كمال باسم الدين وتقمص ثوب الشيوخ والزهاد وإستعان بالسد أحمد السنوسي المسلم المجاهد وزعيم المجاهدين الأبطال الذين قادوا برئاسته وقيادته معركة ليبيا ضد الطليان ، ورجا الزعيم التركي من السيد السنوسي المجاهد أن يقوي روحية وعقيدة الجيش التركي وينفخ فيه روح التضحية والجهاد بعد أن أنهكته الحروب وأثقلت كاهله المعارك الطاحنة ضد دول الكفر مجتمعة . فوقف الجيش التركي المجاهد وقفة الأسد وطرد المستعمرين من أراضيه وما كادت بريطانيا تحس بقوة الجيش التركي وشدة بأسه ، وإعادة الحياد إليه ، حتى أعدت العدة لضرب هذا الجيش الباسل مرة أخرى والإجهاز عليه .

وقدم لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا آنذاك مشروع تخصيص مبالغ جديدة لضرب مصطفى كمال وجيشه المجاهد وقررت بريطانيا مواصلة الحرب ومحاربة الأتراك في عقر دارهم .

وهنا أرسل مصطفى كمال زميله عصمت إينونو إلى لندن برسالة يحملها إلى الانكليز ويقول لهم فيها : لماذا تقاتلوننا مرة أخرى ؟ لقد كنا امبراطورية كبيرة ، وكنتم تخشون جانبنا فأنسلخت عنا أكثر البلاد ، ولم يبق إلا العنصر التركي في الأناضول ، وأصبحنا لا يخشى جانبنا فاتركونا متمتعين باستقلالنا كعنصر تركي وحده .

وبعد محادثات ومفاوضات استمرت مدة طويلة ودخل خلالها وسيطاً المدعو حاييم ناحوم حاخام اليهود الأكبر في تركيا وهو من أساطين رجال الصهيونية العالمية وعدو مجرم للإسلام والمسلمين .

وقد سافر لأمريكا لهذا الغرض وكان عصمت إينونو يروح ويغدو بين لندن واسطنبول وأخيراً جاء جواب الانكليز الذي يقول : إننا نخشى أن تعودوا فتصبحوا مركز تجمع المسلمين ، ونواة لوحدتهم فاستعد مصطفى كمال أن يقبل الشروط التي تطمن دول الغرب نهائياً ، فعرضت عليه الشروط عدة وبعد مداولات ومحادثات استقر الأمر على الموافقة على الشروط الأربعة التي سميت بشروط كرزن ، وكرزن هذا كان وزير خارجية بريطانيا آنذاك فقبلها مصطفى كمال ومعه عصمت إينونو ورجالهم ونفذها حرفياً بل زاد عليها وأراد أن يسلخ تركيا من الإسلام ولكنه خاب وخسر ، فالشعب التركي شعب مسلم عريق قد امتزجت عقيدة الإسلام بروحه ودمه .

وهذه هي الشروط الأربعة المشؤومة التي فرضتها دول الاستعمار على تركيا المسلمة :

١ ــ إلغاء الخلافة الإسلامية نهائياً من تركيا

٢ ــ أن تقطع تركيا كل صلة مع الإسلام

٣ ــ أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية في تركيا

٤ ــ أن يستبدلوا الدستور العثماني القائم على الإسلام بدستور مدني بحت ..

فقبل مصطفى كمال هذه الشروط ونفذها بحذافيرها فتركته دول الاستعمار يهدم في الإسلام ما شاء له أن يهدم ولكن الشعب التركي العريق بقي وسيبقى مسلماً صادقاً ، ومؤمناً ناطقاً بكلمة الحق الهادية الشافية : أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

إن نظرة واحدة إلى هذه الشروط الأربعة التي فرضتها دول الاستعمار على تركيا ، تكفي لتدل على حقد هؤلاء المستعمرين على الإسلام ، وتلقي ضوءاً على جزء من مخططاتهم لمكافحة هذا الدين العظيم ، وصد تياره الذي يسري في

النفوس سريان الكهرباء في ظلام الليل الدامس ونعود مرة أخرى لنقول ما قاله الله تبارك وتعالى :

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

الاستعمار التركي

لوتصفح إنسان أي كتاب من كتب التاريخ الحديث لوجد الهجوم على تركيا مركزاً ومنظماً وبأشد من الهجوم على دول الكفر المستعمرة حتى سموا تركيا مستعمرة لديار العرب .

وسبب ذلك رجال الاستعمار واليهود المجرمون ، فقد ركزوا هجماتهم على هذه الدولة المسلمة ليفصلوا بينها وبين العرب الذين جمعتهم مع الترك وحدة الدين ، ووحدة العقيدة ووحدة الجهاد في حرب الكفار المستعمرين واليهود الغادرين .

ولقد سددت اليهودية ضربتها على هذه الدولة التي كانت على علاتها وضعفها حامية للإسلام ورمز قوة المسلمين وسطوتهم وأول ما استهدفت شخصية السلطان عبد الحميد رحمه الله ذلك البطل الذي وقف في وجه المؤامرة الصهيونية وأبى أن يبيع شبراً من فلسطين بالعروض المغرية التي قدمتها له اليهودية على يد شيطانها « هرتزل » الذي أرسل مندوبه اليهودي المجرم « قره صو » وهو عثماني الجنسية فعرض على السلطان عبد الحميد رحمه الله مائة مليون ليرة ذهب باسم قرض طويل الأجل وبدون فائض كما تعهد باسم اليهود ببناء أسطول وبناء أعظم جامعة في القدس وصد غارة الصليبيين عنها ، فأبى السلطان كل ذلك وقال لهذا اليهودي « قره صو » قولته المشهورة (أغرب عن وجهي أيها الخنزير أنا لن أستطيع أن أبيع شبراً واحداً من أرض فلسطين لأنها ليست

ملكي بل هي ملك المسلمين أخذوها بدمائهم ولن يعطوها إلا بدمائهم . ولكن أنا أعلم أنكم ستأخذونها ولكن لن يكون ذلك إلا على أشلائنا)

رحمك الله عبد الحميد فقد ظلمك التاريخ المزيف فجعل منك رجلاً ظالماً وأنت المؤمن العادل ، وجعل منك فاسقاً فاجراً صاحب الجواري الحسان والقيان والعبدان .

وأنت التقي الخاشع ، وجعل منك عدواً للعرب وأنت البار بهم ، الحريص على مصالحهم ، وها أنت ذا تحفظ البلاد وتحمي العباد ولكن المؤامرات اليهودية تعاونها المخططات الاستعمارية لم تدع عبد الحميد بل عملت على خلعه وإبعاده عن الحكم وفعلاً خلع عبد الحميد والذي قدم له صك التنازل هو ذلك اليهودي المجرم قره صو في أعقاب الثورة التي دبرتها جمعية الاتحاد والترقي الهدامة والتي كانت تسيرها اليهودية والماسونية والتي بمعاولها هدمت الخلافة العثمانية حتى عاصمتها اسطنبول والمستعان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وجهة الادب والصحافة

إن الاستعمار الغادر على خبثه وجبروته ، وقوته ودهائه فإنه ماكر جبان ، فهو لا يشن هجوماً علينا من الخارج ولا يواجهنا بالعداوة وجهاً لوجه ، بل جرت عادته في كل مكان حل فيه ، أن يهاجمنا من داخل حصوننا ومن داخل بلادنا ، إنه يعمد إلى تربية فئة من مواطنينا أو شراء ضمائرهم بالمال وهم من جلدتنا وممن يتكلمون بلغتنا ، وألستنا يربيهم على عينه ، ويخرجهم في مدرسته أو يستأجرهم ثم يدفعهم لخدمته ، وخدمة مصالحه فيسبحون بحمدة ، ويقدسون له ثم يدفع بهم إلى مراكز القيادة الفكرية والاجتماعية والسياسية ومن هنا يبدأ عملهم ويزيد خطرهم وينتشر شرهم إذ يدسون السم في الدسم ويعملون بوحي من أسيادهم ولمصالح هؤلاء الأسياد ومن هذه الطبقات التي يستأجرها الاستعمار

وتشتري ضمائرها طبقة من الأدباء وأخرى من الصحفيين ممن يحملون الأدب الرخيص والنفوس الوضيعة والأقلام المسمومة والصحف المأجورة فتعمل أقلامهم وصحفهم في تهديم الأخلاق وإفساد النفوس والضمائر وبث الفتن وإلهاء الناس، والشباب منهم بصورة خاصة بالتول الفاسد والمقال التافه ، والقصة الماجنة والرواية الخليعة ، والخبر الكاذب .

لقد عملت هذه الفئات ما لم تعمله الجيوش في هدم الحصون والقلاع .

إنني والأسف يحز في نفسي أنهم غالبية الصحافة في البلاد الإسلامية ومنها العربية ، وأقول أنها سارت وتسير حسب المخطط الإستعماري الخبيث من حيث تدري أو لا تدري ، وأبعدت شبابنا عن المثل العليا ، وخوت من كل توجيه روحي وخلت من روح الإسلام ، بل ليس للإسلام نصيب في خيال أصحابها وكأنهم يعيشون في غير ديار الإسلام وساعدت هذه الصحافة على إعانة الظالمين والمتجبرين وكانت لساناً ناطقاً لكل متسلط متحكم ، صالح أو غير صالح ، وناصرت كل دعوة باطلة ، وفي الوقت نفسه حاربت دعوات الحق ووقفت في طريقها ، وباسم الحرية قتلت الحرية ولقد سارت في ركاب الإستعمار وعلى ضوء مخططاته ، اللهم إلا ما كان من بعض أصحاب الضمائر الحية .

ولقد سارت صحافتنا على تقديس الوهم الباطل الخادع الذي أقامته الثورة الفرنسية اليهودية ، وزخرفت له اسماً خداعاً خلاباً فسمته « حرية الرأي » أو « حرية النشر » أو « حرية الفرد » وما هو في الواقع وحقيقة الامر إلا وسيلة اليهودية العالمية لإفساد الجماعات وهدم كل الأديان ، والمثل العليا حتى يتمكنوا من السيطرة عليها جميعاً بعد أن يقضوا عليها قضاء مبر ماً .

قال الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الاسكندرية في مقالات نُشرت بمجلة الأزهر وجمعت بكتاب سمي « في وكر الهدامين» جاء في حاشيته صفحة : ٨

أكثر الناس يجهلون ، أن شعار الثورة الفرنسية « الحرية والإخاء والمساواة » هو من وضع مجمع بوردو الماسوني ، وهو شعار لم يخدع الأقلية اليهودية إذ سمح لسماسرتها بنشر الفساد وأعانها على هدم سلطة الكنيسة وتقويض كل القيم باسم الحرية ، وحماها في الوقت نفسه من تعصب المسيحيين على الأقلية اليهودية التي تستأثر بالسلطة عن طريق المال باسم الإخاء والمساواة ، ومن أعجب ما يخضع له الناس من أوهام مما روجه اليهود ، تسمية الصحافة « صاحبة الجلالة » وإحاطتها بهالة من القداسة تسمح لأي أفاق مدسوس على قومه ، أو فاسق مريض القلب واللسان . ، أن يلفق من الأضاليل ما يريد وما يراد له ، وان يدسها على عقول السذج من الأحداث ، والأغرار والحمقى من ضعاف العقول ، باسم العلم والثقافة والحرية ، والتمدن ما دام قادراً على تأثيث دار للصحافة بماله أو بمال غيره ، وسيطرة التنظيمات اليهودية على الصحافة العالمية وعلى وسائل النشر مشهورة معروفة ، فرواج هذا الوهم بين الناس باسم « حرية الرأي » هو أكبر ما يمكّن للدعاية اليهودية ويدعم سلطانها . انتهى .

هكذا سارت الصحافة وهكذا أريد لها أن تسير فجاءت كما أراد الأستعمار في مخططه الموضوع لمكافحة الإسلام وهدم بنيانه ، وتقويض أركانه اللهم إلا ما كان من بعض أصحاب النفوس الحرة ، من أصحاب الأقلام النظيفة ولا يخلو منهم بلد إسلامي فهؤلاء جردوا أقلامهم ، للدفاع عن الحق ووقفوا بجانب الإسلام وإن كان نصيب صحفهم التعطيل ، ونصيبهم المطاردة والمحاربـــة فحسبهم أنهم أدوا واجبهم وأرضوا خالقهم ، فلهم أجرهم إلى يوم الدين ولهم الشكر الجزيل أما الأدباء فلم يكونوا مع الأسف على مستوى عبقرية الإسلام ومجد الإسلام وعظمة الإسلام ، ولو كان لدينا أدباء على هذا المستوى ورفعوا عقيرتهم بالإسلام وزينوا أدبهم بالإسلام وإستمسكوا به ديناً ، وأدباً وخلقاً ، ونظاماً إجتماعياً وعرضوا الإسلام بالأسلوب الأدبي الرفيع ، نثراً ،

وشعراً ، وبأقلام عالية ونفوس سامية ، رفعها الإسلام ، وأعزها الإيمان . وملأها العلم والفهم لعبقرية هذا الدين الخالد ، لو ملكنا مثل هؤلاء الأدباء لكان مجتمعنا الإسلامي على غير ما هو عليه اليوم ، من انحلال في الخلق ، وإضطراب في الفكر وتحلل في النفوس وحيرة في الاتجاه .

لقد اتجه الأدب الحديث وجهة مادية فهو أدب تكسب وأدب متاع ، وقد يكتب بعض الأدباء أو ينظم وزرقة الدنانير في خياله ، ونيل المآرب من آماله ويكتب آخرون ، وليلى والصهباء من قرنائه ، وأصفيائه ، والتغزل بهما ، والهيام بذكرهما قد ملكا عليه لبه وحياته وخياله فإن تكلم ففيهما وإن اتجه فإليهما ، وإن عمل فلهما ، وهما في الحياة كل حياته فمتى تصحو حياته من سكر الغرام ، وخمرة الأحلام ، وإذا عصرت أقلامهم سالت خمراً ونطقت هجراً وإذا هززت نفوسهم للدين لم تهز كراماً ولم تلق إلا العبوس والجهام ، وكيف تصحو أمة أدباؤها غير صاحين ، أو كيف تنجو الأمة وقادة الرأي فيها غير ناجين ، ولا سالمين ، وماذا تقول عن أمة يشيع بين شبابها ادب الوسادة ؟ ! وادب الفساتين ؟؟! وغناء الشلحات ؟؟

انني أعتبر أن أمثال احسان عبد القدوس ويوسف السباعي وسلامة موسى هؤلاء وأمثالهم هم الذين يعملون للإستعمار ويخدمون مصالحه في ديارنا ولقد كان من مخططات الاستعمار أن ينشيء مثل هؤلاء الأدباء والصحفيين .

واسمع ما يقوله في طه حسين أديب مؤمن وكاتب محسن هو الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الاسكندرية يقول في صفحة ٢٩ من كتاب « في وكر الهدامين » وهو بصدد كلامه على اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية التي ترجمت كتابين هما :

« الثقافة والحرية » لجون ديوي الامريكي الذي أفسد الأمريكيون تربية شبابنا باسمه وكتاب « انتصار الحضارة » لبرستد يقول الدكتور محمد حسين وفقه الله :

ولكن اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية وعلى رأسها طه حسين الذي تشهد كتبه أنه لم يكن إلا بوقاً من أبواق الغرب وواحداً من عملائه الذين أقامهم على حراسة السجن الكبير يروج لثقافاته ويعظمها ويؤلف قلوب العبيد ليجمعهم على عبادة جلاديهم ، طه حسين الذي زعم لمصر أنها جزء من البحر الأبيض المتوسط في مقومات شخصيتها ، وليست جزءاً من عرب نجد واليمن والبحرين والعراق والسودان .

طه حسين الذي لم يبد العرب في وهمه أمة لأن قوام الدول في زعمه هو المنافع المادية ولأن « تطور الحياة الأنسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ، ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ، ولا قواماً لتكوين الدول ، طه حسين لا يقر معنا هذه الحقيقة لأنه يزعم للعرب أن السبيل إلى نهضتهم ليس هو ترجمة العلوم ، ولكن السبيل إلى نهضتهم أن يذبوا في القرب ، وأن يخلعوا من أنسابهم ويقلعوا تربتهم ليغرسوا في تربة الغرب ، ولذلك فهو يهلك أموالهم في ترجمة شكسبير الذي ترجمت رواياته من قبل أكثر من مرة ليحابي بها بطانته وحزبه فيفرق عليهم مما تحت يده ، بل هو يهلك أموالهم في ترجمة ما لعن به أجدادهم وما سب فيه أسلافهم وسفه دينهم ، وأفترى على نبيهم) الخ [1] . .

ويبوئهم مراكز القيادة في التوجيه الفكري ، ليصد الشباب عن دينهم ويبعث فيهم روح التحلل ، والفجور والشك والجحود وقد كان له ما أراد ، وقام العملاء بتنفيذ الخطة ، فنجحت إلى المدى البعيد ، ثم انتشر الأدب المادي في كل مكان حتى في معقل الإسلام ومهبط الوحي فإنك لا تكاد تجد ذلك الأدب الإسلامي الرفيع العماد ، الذي يكون على مستوى عبقرية الإسلام الخالدة ، وليت الأدباء عندنا اتجهوا إلى ما اتجه إليه الأديب الكبير الأستاذ

---

١ — من كتاب مستقبل الثقافة في مصر صفحة ١٩ ويراجع في بسطه الفكرة كلها الفقرتان الثانية والثالثة ص ١١ — ٢٠ من طبعة المعارف ١٩٤٤ .

عباس محمود العقاد عليه رحمة الله وما اتجه إليه الأديب العالم الشهيد سيد قطب رحمه الله وما سبق إليه إمام الأدب الإسلامي الحديث الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى .

ولو اتجه أدباؤنا هذه الوجهة وصمموا على توجيه الأجيال الصاعدة إلى الإسلام وإلى المثل العليا إذن لنالوا الحسنيين ولفازوا بالسعادتين وخلدوا مع الخالدين .

أما الأدب الرخيص فإنه لا يرفع نكراً ، ولا يخلد ذكرا ، ولا يكسب أجراً ، والويل لمن أساء في توجيه الأجيال . فإن عليه وزره ووزر من ضل وغوى بضلاله وغوايته إلى يوم الدين ومن أحسن فله أجره وأجر من استقام باستقامته واهتدى بهداه إلى يوم الدين ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً فقد هدي إلى صراط مستقيم .

إحياء الحضارات القديمة لطمس حضارات الإسلام

ومن المخططات الأستعمارية لمكافحة الإسلام الدعوة إلى احياء الحضارات القديمة ، وهي سابقة لحضارة الإسلام ، وقد ظهرت هذه الدعوة بتوجيه من الأوروبيين ، والأمريكيين ، وارتفعت الدعوة بها في وقت واحد ، في كل من تركيا ، ومصر والشام ، والعراق ، وشمال أفريقيا ، وفارس والهند واندونيسيا ، وكان مظهرها في كل هذه البلاد واحداً وكانت أساليبها متشابهة ، لأن المحرك لها واحد ، والدافع إليها متعاون متفاهم ، ومصمم على القاء حاجب كثيف من الأوهام ، والشكوك والأباطيل ، يحاول أن يحجب به نور الحضارة الإسلامية عن الأبصار ، ويبعدها عن الأنظار في جميع الأقطار ويفتح لهم نوافذ على الحضارات القديمة التي سادت ثم بادت ولكن المستعمر

عمل على أحيائها ، وبعث أخبارها وأمجادها ليشغل بها أفكارنا ، ويملأ بها أدمغة شبابنا ، حتى لا تتسع لأخبار حضارتهم ، أو تعجب بتاريخ أمجادهم . الذين ملأوا الدنيا نوراً ، وعلماً . وهدى ورشاداً وفلسفة وحكمة وأدبا .

ولا يستطيع جاحد مهما أوتي من الصلافة والوقاحة وقلة الإنصاف أن يكر ما للحضارة الإسلامية من فضل على العالم لقد كانت سبيلا إلى النور ، أنقشعت به غشاوات الجهل في الشرق والغرب ، وكانت طريقاً إلى المدنية الأصيلة الواعية التي حملها المسلمون إلى الناس كافة ، وما حضارة اليوم إلا وليد لتلك الحضارة الضخمة التي أوقد مشاعلها وأضاء مصابيحها رجال الإسلام وحملة القرآن وجنود محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه . ولولا تلك الحضارة التي حفظت العلوم ، والفنون والآداب لما كانت حضارة القرن الرابع عشر الهجري أو القرن العشرين الميلادي وهذا القول لا أُرسله اعتباطاً وأسوقه بغير دليل بل هو ما شهد به رجال من الغرب ومن شاء فليقرأ كتاب « حضارة العرب » لمؤلفه غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ففي هذا الكتاب الشهادة الحقة لحضارة الإسلام ، وفضل حضارة الإسلام على العالم ، وعلى حضارة اليوم بالذات ، ومما يقوله هذا الكتاب : إن حضارة اليوم وليدة الحضارة العربية .

والمستعمرون وجنودهم ، يعلمون عن حضارتنا بقدر ما نعلم أو أكثر مما نعلم ، وهم على يقين أن شبابنا لو فتحت له نوافذ على هذه الحضارة الجبارة لا عجب بها ثم أعجب بالإسلام العظيم الذي كمن فيه السر الأعظم ، في بعث هذه الحضارة في أمة أمية كانت إلى الأمس القريب ، في أسوأ حال ، يستضعفها الأقوياء ويستذلها الأعزاء ويملكها الأغنياء ، وهي على ما هي عليه من الفقر والفاقة والذل والهوان وانعدام السطوة والسلطان .

فما أن جاءها الإسلام حتى انقلبت إلى خير أمة أخرجت للناس ، تقود الدنيا إلى الهدى ، وتجر الناس إلى شاطىء السلامة ، وتنشر العدل في الأرض

وتحكم به ، وتوزع العلم هنا وهناك ، وتنقل علوم الآخرين من طب ، وفلسفة وحكمة وتزيد عليها ، بفضل علومها وفهومها وعبقريتها الفذة التي دهش لها العالم وأقر بفضلها وجدارتها حتى خصومها الألداء وأعداؤها البعداء عرف المستعمرون هذا وأكثر من هذا فعملوا جهدهم ليحجبوا نور هذه الحضارة عن البصائر والأبصار فأحيوا لنا وفي أوساطنا ، الحضارة الآشورية ، والحضارة البابلية ، والحضارة الفينيقية ، والحضارة الفرعونية والحضارة الهندية ، ثم أخذوهم ، وجنودهم وتلاميذهم الذين رضعوا لبنان مدارسهم ، وجامعاتهم ، وتخرجوا على أيديهم .

أخذوا يشيدون بهذه الحضارات البالية ويحبرون فيها المقالات ويؤلفون لها المجلدات ، ويقيمون لذكراها الإحتفالات ويذكرون أمجادها ، ورجالها ، وأبطالها وقادتها وكأن بلادنا ، وأمتنا خوت من الرجال ، وأنعدمت فيها البطولات ، وليس لها من التاريخ إلا تاريخ هؤلاء الأقدمين الذين يشيد بحضاراتهم رجال الغرب ، ونحن تبعاً لهم أشدنا بهذه الحضارات البائدة ، وأحييناها وأقمنا لها المتاحف وأصدرنا لها المجلات وألفنا فيها المجلدات ، وغابت عنا المؤامرة والمخططات الأستعمارية الماكرة حيث جهل شبابنا حضارته الإسلامية وأمجاد تاريخه الناصع النير الذي يبدأ من محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد هذه الأمة ومشعل هذه الحضارة وإمام العالمين وسيد الناس أجمعين من هنا يبدأ تاريخنا لا من حمورابي وخوفو وأضرابهما من رؤوس الكفر والضلال ، ثم انهم قد سادوا ثم بادوا ، فمالنا ولهم ، ونحن أمة الله دستورها القرآن وربها الله عز وجل ، وإمامها وهاديها محمد صلوات وسلامه عليه .

وما حمورابي ، ولا تعاليم حمورابي لنا بدستور ، وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فما بالنا نذكرها اليوم بفخر واعزاز وننسى أو نتناسى قواعد ديننا ، ومبادىء حضارتنا وأصول مجدنا ، واشراقة تاريخنا وأبطال أمتنا ودستور خالقنا ؟ .

إن شبابنا اليوم قد يعرف عن هذه الحضارات البائدة أكثر مما يعرفه عن حضارته السائدة . وذلك بفعل الأستعمار ، ومكائده ومخططاته الجهنمية الخبيثة والتي قد لا يدركها الكثير من رجالنا وشبابنا خاصة أولئك الذين تتلمذوا على رجال الغرب ، وتخرجوا على أيديهم ، وحملوا إلينا سموم أولئك الثعابين إنها سمومُ الأفاعي ولكنها بأفواه وأنياب تتجلبب بجلباب العروبة والإسلام واأسفاً عليها وعلى أصحابها المخدوعين بها ؟! .

اني لا أقول إننا يجب ألا ندرس تلك الحضارات مطلقاً بل لا بأس من دراستها كتاريخ مضى ، يحسن بنا الإطلاع عليه والاستفادة منه ولكن ليس من الإنصاف ، ولا من الحكمة ، ولا الحق ، أن تملأ الكتب الدراسية لطلابنا بأخبار هذه الحضارات البائدة وفي الوقت نفسه نجد الجهل أو التجاهل لحضارتنا الإسلامية العظيمة التي هي مصدر فخرنا وموطن عزنا ومناط إنارة قلوبنا وأبصارنا بالنور الذي شع منها على العالم ، فكيف يجوز حجب هذا النور ، عنا ونحن أهلها وأصحابها ؟ وآباؤنا وأجدادنا هم قادة هذه الحضارة ، وباعثو حياتها وأئمتها الهداة المهتدون ؟؟

الدعـوة إلى الفرعونيـة

لأرض الكنانة مصر مكان مرموق في قلوب العرب والمسلمين ، وقد سبقت في ميادين العلم والأدب ، ونبغ فيها رجال أفذاذ كانوا أساتذة لكثير من أدباء العرب اليوم والدعوة فيها ، أية دعوة ، تؤثر في مصر العزيزة وتنتشر منها إلى البلاد العربية والإسلامية ، بحكم انتشار صحافتها ، ومطبوعاتها ، وأمكانياتها الضخمة لذا ركز الاستعمار جهوده في هذا القطر الإسلامي الكبير . ليفسده ويفسد به ، ويقتله ويقتل به المسلمين ، وفي أعقاب الفترة التي تلت الغاء الخلافة الإسلامية في الحرب العالمية الأولى قامت الدعوة إلى الفرعونية . من رجال تتلمذوا على الغرب ، كانوا يعارضون الإسلام والعروبة . يزعم هؤلاء الدعاة أن تغير الدين في مصر ، من الوثنية إلى المسيحية ، ثم الإسلام ، وتغير الكتابة واللغة فيها من الهيروغليفية ، إلى العربية لم يقطع ما بين مصر الحديثة وبين مصر القديمة من صلات ، وكانوا يحتالون لرد حياة مصر المعاصرة في مختلف مظاهرها إلى أصل فرعوني قديم ويدعون بكل صراحة ، وبكل وقاحة كذلك أنه يجب أن تقوم النهضة المصرية على المجد الفرعوني القديم ، مثلما قامت النهضة الأوروبية الحديثة على بعث التراث اليوناني والروماني في عصور الوثنية السابقة على المسيحية .

ومن هنا كان اتصال هؤلاء الدعاة المارقين الموكلين بتفريق شمل العرب والمسلمين بما يسمونه « الدراسات الشعبية أو « الفولكلور » [1] إذ دعوا الكتاب

---

١ — « الفولكلور » اصطلاح ظهر في اوروبا في منتصف القرن الميلادي الماضي ليدل على الدراسات التاريخيـة بعادات الشعوب ، وتقاليدهم ، وطقوسهم ، وخرافاتهم واساطيرهم ، ومعتقداتهم ، وفنونهم ، وما يجري على ألسنتهم من أغـان أو أمثال ، أو شتائم ، أو مراث أو اهازيج يدرس كله من خلال الآثار والعادات القائمة ويعمل فيه على إحياء الماضي برذائله وفضائله.

والأدباء إلى البحث عن مواضع الاتصال بين مصر القديمة ، ومصر الحديثة . في ميادين الأدب وكتب العقائد ، وطقوس العبادة ، وموروث التقاليد والعادات في شتى نواحي الحياة . كما دعوا إلى انشاء أدب خاص ، وفن مستقل في التصوير والنحت والموسيقى ، يتميز بطابعه المصري المحلي الخاص .

وقد وصف أحد دعاة هذا المذهب وقتذاك الأدب الذي يعنيه بأنه « أدب مستقل عن آداب الشعوب الشرقية الأخرى الناطقة بالضاد » « لأن اللغة العربية ليست لغة شعب فحسب ، بل هي لغة شعوب وأمم عدة ، تنطق وتكتب بها ، فنحن في حاجة إذن ، إلى تقريب هذه اللغة إلى أذهاننا ، لتعبر عن خواطرنا وليس أدل على ذلك من ضرورة خلق أدب قومي تكون لنا غيرة عليه ، ويكون في استقلاله بعيداً عن كل المؤثرات التي تجعله اشتراكياً محضاً »[1].

وهؤلاء دعاة الفرعونية آنذاك لم يخفوا أنهم متأثرون في دعوتهم بالأوروبيين ولم يكونوا يتحفظون في دعوة أنصارهم إلى الإستفادة من كل ما جمعه الأوروبيون ، وما ألفوه في هذا الباب ، وكانوا يجاهرون باتخاذ القدوة من اللغات الأوروبية الحديثة ، التي نشأت على أنقاض اللغة اللاتينية ، حين كانت هي اللغة التي يكتب بها الشعر ، والنثر ، والقصة والأدب في أوروبا كلها .

« ولكن شعور كل شعب بقوميته ، واعتزازه بوطنيته وإعتداده بنفسه ، حدا به إلى أن يتحرر من إسار اللغة اللاتينية وإلى أن يكون مستقلاً في آدابه عنها ، موحداً جهوده في سبيل تهذيب لغته ، وطبعها بطابع قومي خاص له روعته وجماله »

وفي سبيل تحقيق هذا المثال كان هؤلاء يقولون بمصر :

« إن واجبنا هو أن نبث في الشعب روح القومية ، وروح الإنتاج المحلي ،

---

١ — راجع كتاب في وكر الهدامين للدكتور محمد محمد حسين صفحة ١٣ .

وأن أول ما نولي وجوهنا فليكن شطر الأدب الفرعوني قبل كل شيء فهو تراث الآباء والأجداد »[1]

وكان مما يقترحه هؤلاء الدعاة من الوسائل إلى خلق هذه الروح المصرية الفرعونية في النشء ، هو توجيه المسرح المصري إلى الناحية القومية ، وجعله مسرحاً مصرياً روحاً ، وقوة وإنتاجاً ، والعناية بالأناشيد القومية ، وجعلها تصور على قدر الإمكان أماني المصريين وآمالهم ، والعناية بالآداب الفكهة والأدب الريفي إلى ما هنالك من دعوات ووسائل لفرعنة مصر ، وسلخها عن العروبة والإسلام ، ولا شك أن هؤلاء الدعاة كانوا يخدمون مصالح الأستعمار ، بدعوتهم هذه ، وأنهم يريدون أن يقطعوا أوصال البلاد العربية والإسلامية ، ويفصلوا بعضها عن البعض الآخر ببث روح التنافر والتدابر ، والتقاطع ، بين أفرادها وجماعاتها ، استدامةً للوضع الراهن الذليل الذي كانت عليه وتحاشياً من اتحادها مع بقية الأقطار الذي يؤدى إلى قوتها ، وعزتها وتمردها على هذا الوضع .

وقد انكشفت ألاعيب الأستعمار في هذا الباب ، ولم تعد تخفى على أحد ، ولا شك أن كل دعوة يكون من نتائجها توهين إتحاد المسلمين ، وبعدهم عن دينهم وشريعتهم وتحاول أن تبث فيهم روح الفرقة ، والعصبية والقبلية ، والشعوبية والجاهلية بين أفرادهم ، فهي دعوة لا تخدم إلا مصالح العدو ، ولا تورث إلا الضعف والإنحلال .

ذكر الدكتور محمد محمد حسين في حاشية كتاب « في وكر الهدامين » صفحة ٢٧ قال : إن المليونير اليهودي الأمريكي المتستر تحت النصرانية « روكفلر » أوفد سنة ١٩٢٦ الأديب الأمريكي « برستد » صاحب كتاب « انتصار الحضارة » الذي ترجمته جامعة الدول العربية بوحي من السفارة

---

١ — راجع نفس المصدر ص ١٤ .

الأمريكية بالقاهرة وكله ضلال وفساد ، أوفد المليونير الأمريكي هذا الرجل ليعرض على مصر عشرة ملايين من الدولارات لتأسيس معهد للدراسات الفرعونية يعين على سلخ مصر عن عروبتها وإسلامها » .

هكذا يفعل الأستعمار ورجال الأستعمار ، يلاحقون أمتنا ، ويسعون بينها بالفساد ، ويعملون على هدمها ، وهدم مثلها وتفريق كلمتها وسلخها عن دينها ومجدها وماضيها الناصع العظيم .

فليتدبر ذلك المسلمون ، ولينتبهوا إلى ما يحاط بهم من مكايد ومخططات هؤلاء الكفرة الفجرة من المستعمرين والصهيونيين وهم جميعاً يتعاونون لمكافحة الإسلام ومحاربة المسلمين في كل مكان وفي كل ميدان أيضاً ، والمستعان الله، وهو قاهرهم ومذلهم وجاعل كلمتهم هي السفلى وكلمته هي العليا وهو القاهر فوق عباده وهو القوي العزيز .

من المخططات السيطرة
على دوائر الأوقاف الإسلامية

رحم الله سلفنا الصالح ، وأثابهم الجنة ، ورضي عنهم وأرضاهم ، فقد كانوا بحق خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالخير وتصنع المعروف للمعروف ، وتنهى عن المنكر ، ولا تأتيه طاعةً لله ، وأنفة وإستكباراً عن فعله لقد جُبلوا على حب الخير فصنعوه وهم أحياء ، وطُبعوا على صنع المعروف ففعلوه وهم كرماء ، وتيقنوا أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء في الدنيا والآخرة ، فحرصوا على كل ما فيه مصلحة لهم ولدينهم وأمتهم في حاضرهم ومستقبلهم

لقد أجرى الله على أيديهم الخير الكثير للمسلمين فأنفقوا من أموالهم ما يملأ أطباق الثرى ، ثم أوقفوا على مصالح المسلمين من الأموال والأملاك والعقارات ما يسد حاجتهم الدينية والدنيوية ، ولكثرة هذه الأوقاف ووفرتها إضطرت الحكومات أن تقيم دوائر خاصة لإدارة هذه الأوقاف ، وتنميتها ، والمحافظة عليها ، ومعرفة وجوه البر التي أُوقفت من أجلها ، وتصريف شؤون المساجد والعلم والعلماء والأئمة والخطباء ، ومن المعلوم بداهة أن هذه الدوائر تعتبر أكبر دوائر إسلامية في أجهزة الدولة وهي تتصل بحياة المسلمين ، وتنظيم شؤونهم الدينية ، والسهر على مصالح الشريعة الإسلامية ، وبعث شعائر الدين ، وتربية الناشئة المسلمة تربية إسلامية صادقة ، وتكوين جيل مسلم صالح ، يحمل أعباء الدعوة الإسلامية ، وتربية الدعاة إلى الله ، وهم العلماء ببث المدارس الدينية وهي في أوقاف المسلمين تعد بالآلاف بل أكثر قضايا الوقف ترتبط بالعلماء وتنشئة العلماء ، والنفقة على العلماء وتوفير العلماء للأمة والمدارس والمدرسين من العلماء ورعاية الأئمة والخطباء والوعاظ

والمرشدين وكلهم من العلماء ورعاية المساجد وخدمتها وتوفيرها للمسلمين ليقوموا بواجباتهم الدينية فيها ويعمروها بطاعة الله وطلب مغفرته ورحمته ، هذه بعض واجبات دوائر الأوقاف . ولا شك أن هذه المهمات خطيرة جداً وعليها يتوقف – إلى حد كبير – مستقبل الإسلام ومستقبل العلم والعلماء ، ومن ثم فعليها يتوقف مستقبل المسلمين الديني والدنيوي ، فإنه إذا صلح الدين صلحت الدنيا ولا خير في دنيا لا دين فيها . وإذا استقام الدين في الإنسان استقام كل شيء فيه وإذا فسد الدين فسد كل شيء فيه . والعلماء هم ورثة الأنبياء يحملون الدعوة إلى الناس . يعلمون الجاهل . ويذكرون الغافل ، ويصلحون ما استطاعوا إلى الإصلاح سبيلاً ، وكثرتهم في الأمة دليل خير وفلاح ، كما أن قلتهم دليل خيبة وخسران .

لذا كان من مخططات الأستعمار السيطرة على دوائر الأوقاف ، في ديار المسلمين وصرفها عن مهمتها ورسالتها . وتوجيهها الوجهة التي تقتلها ، وتقتل معها العلم والعلماء والإسلام والمسلمين .

وكان للاستعمار – قاتله الله – ما يريد فإنه عندما بدأت طلائعه المشؤومة تدخل ديارنا بدأ الشر يتسرب إلينا معها ويتغلغل في أوساطنا ، دخلوا وهم يحملون معاول الهدم والتخريب ، وهدفهم الأول الإسلام ورجال الإسلام ، ودعاة الإسلام ، وهم يعلمون أن الإسلام والآستعمار ضدان لا يجتمعان ولا يلتقيان فالمسلم عزيز بطبعه « ولله العزة ولرسوله ، وللمؤمنين » .

ويأبى سيطرة الكافر عليه مهما كان نوع تلك السيطرة والمستعمرون كفرة فجرة وهم أعداؤنا التقليديون منذ ارتفعت الأصوات بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله إلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يقول تعالى مخاطباً نبينا عليه الصلاة والسلام وهو خير خلق الله كلهم : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » وإذا كانوا لم يرضوا على نبينا وهو أرحم الناس ، وأبر الناس ، وخير الناس ، فهل يا ترى سيرضون عنا ؟؟ كلا وألف كلا فلينتبه لذلك المسلمون .

يحرص رجال الاستعمار على الهيمنة والسيطرة على دائرتين حيويتين همـا عصب الأمة وشريان الحياة فيها ، ومن ملك التوجيه فيهما فقد ملك توجيه دفة سفينة البلاد وقادها إلى حيث يشاء إلى الخير أو إلى الشر ، إلى الهدم أو إلى البناء ، وقد نجح المستعمرون في الإستيلاء على هذه الدوائر ووضعوا لهـا القواعد والأسس الكفيلة بتخريب العقائد والمثل ، والقاضية على الدين ورجال الدين ، وهاتان الدائرتان هما المعارف والأوقاف .

وكانت هذه القواعد والأسس كالألغام والمتفجرات ، فمن مسها بسوء أصلته ناراً حامية ، فلم يستطع أحد أن يصيبها بأذى بعد أن وضع المستعمرون لها الركائز والقواعد وبعد أن أنهى رجال الإستعمار مهمتهم سلموها إلى تلاميذهم من أنصارهم وأعوانهم ، الذين درسوا في مدارسهم وتتلمذوا عليهم ورضعوا ألبانهم فكان أكثرهم أقسى علينا من أسيادهم وأشد طغياناً وكفراً ، وإذا كان رجال الإستعمار قد حاربونا في السر والخفاء ، وكانوا يخشون بأس المسلمين ، ويحسبون لعواطف الشعوب ألف حساب ، غير أن تلاميذهـم جاهرونا بالعداوة ، وصارحونا بالبغضاء ، وعملوا بكل صلافة ، ووقاحة ، على هدم قواعد الدين وتقويض أركانه وبنيانه بكل الوسائل المكشوفة وغير المكشوفة ، وباسم الإسلام قتلوا الإسلام ، وباسم العروبة قتلوا العرب ، وباسم العلم جهلوا الناس ، وباسم الحرية إستعبدوا الناس وبإسم الشعوب قضوا على الشعوب المسكينة المغلوبة على أمرها أو كادوا والمستعان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أوقاف العراق ومستر "كوك" الإنكليزي

لا يزال الشيوخ والكهول من رجال العلم في العراق يذكرون مستر «كوك» مدير دائرة الأوقاف إبان الإستعمار البريطاني البغيض للعراق ، ويذكرون قصته مع أحد رجال الدين حين أخبره بأن القرآن قد أتى بكل شيء من متطلبات الدنيا والآخرة وأحصى كل شيء ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فقال له المستر كوك على سبيل المداعبة وهل ذكر القرآن إسمي ؟؟ فأجاب العالم الذكي على الفور : نعم إن القرآن قد ذكر اسمك ثم قرأ آخر آية سورة الجمعة : « وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً » فدهش الرجل فكانت نكتة سار بها الركبان في ذلك الزمان .

هذا الإنكليزي الماكر هو الذي فرضه المستعمر المغتصب مسؤولاً عن أوقاف المسلمين ليضع فيها قواعد الهدم والتخريب ، ويصرفها عن وجهتها الإسلامية الخطيرة ، إلى وجهة هو عينها لها ، ودفعها إليها ، وسيرها فيها حتى أصبحت بفضل مساعيه وتوجيهاته ، وتوجيه أعوانه من أبناء العلم والسياسة دائرة ميتة ، صماء بكماء لا تنتج علماً ، ولا تخرج عالماً ، ولا تبعث هدى ، ولا ترسل مرشداً ولا تقر عيناً ، ولا تبني مسجداً ولا تخدم معبداً ، ولا ترسل طالب علم ليتعلم ويهتدي ، ثم يعود فيعلم ويهدي ، ولا تسأل عن عالم جليل مات أم حي ، بل ولا تحترم عالماً ، وجعلت العلماء الأجلاء يقفون على أبواب المدراء العملاء يستجدون الراتب الزهيد الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، ويسعون للزيادة بذلة النفس ، وتقديم الوسطاء والشفعاء فلا سميع ولا مجيب .

وبعد أن كان المفروض في هذه الدائرة الإسلامية الخطيرة أن تكون دائرة

إشعاع وهداية أصبحت بجهود المستعمرين ورجالهم دائرة ظلام وجباية ، تهدم المساجد لتبني العمارات وتدمر المدارس لتعدد المستغلات ، وتنهب أملاك المسلمين وتهديها للشارد والوارد من الوجهاء والكبراء ، حتى طمع في أملاكها واستباح حماها كل مناع للخير معتد أثيم من أصحاب الجشع والطمع وخصوم الإسلام .

وكان من نتيجة هذه المؤامرة على هذه الدائرة وتسليمها بيد موظفين أكثرهم لا دين لهم ولا يهمهم من أمر الأوقاف شيء ، وهم الموظف أن يعدد أياماً ويقبض راتباً ، والملك ليس ملكه والدار ليست داره فلا يغار عليها ولا يتألم ، لخرابها ما دام راتبه مضموناً ، وحياته الوظيفية مكفولة بنظام وقانون يحفظ حقوقه ويمنحه الجزيل الوفير من المال والمكانة الإجتماعية . كان من نتيجة هذا : أن خربت أملاك الأوقاف ، وبارت أراضيها وبساتينها وتهدمت دورها ودكاكينها وتحطمت قصورها وتهشمت مدارسها وبليت مساجدها ، وأكلت الأرضة كتبها النفيسة ، ومكتباتها الضخمة التي كانت تحوي من الكتب الإسلامية ما يعدل زنته ذهباً وفضة ، ولكنها وا آسفاه ، ذهبت بين أيدي النهب والسلب والسرقة والضياع والتمزيق والإهمال .

وهكذا ضاعت أوقاف المسلمين وتحطمت أملاكها وعقاراتها حتى أصبح معلوماً لدى الناس أنك لا تمر بأرض خراب أو دار مهدمة ولا بستان قد أكلتها الأدغال والأعشاب ومال شجرها للجفاف إلا قلت هذه للأوقاف ، فالخراب ، والدمار ، مصاحبان لدائرة الأوقاف ، والغريب في الأمر أن هذا الذي أقوله وأتحدث عنه عن أوقاف المسلمين هو نفسه الذي تجده وتلمسه في أكثر أوقاف المسلمين والقوانين هي هي وكلها عوامل لتخريب الأوقاف وطمس معالم الدين ، ومكافحة أسباب نمائه وتقدمه وتقدم رجاله ويزول الاستغراب إذا علمنا أن المحرك واحد ، وهو المستعمر الكافر الغادر ، فالفرنسيون هم الذين صنعوا هذا في سورية ولبنان والجزائر والمغرب وتونس

والانكليز هم الذين فعلوا هذا في العراق ومصر والأردن والهند وفي كل بلد إسلامي حلوا فيه وكان لهم فيه موطن نفوذ ، وسيطرة .

وما دام المخطط واحداً وخطه أعوج غير مستقيم فهو أعوج في كل مكان وفي كل حين وهكذا استمر العوج والانحطاط في دوائر الإوقاف في أكثر ديار الاسلام تبعاً للخطط الخبيثة التي رسمتها يد المستعمر الكافر الغادر .

مخطط المستر "كوك" في الأوقاف

من المؤسف حقاً أن أقول : إن خطة « كوك » ومخططه المخرب لا يزال ساري المفعول في الغالب وهو المعمول به حتى اليوم ، إن كثيراً من الحكام كانوا يخالفون نصوص كتاب الله وسنة رسوله ويحادون الله ورسوله ، وإذا قيل لهم في الأوقاف شيء وطولبوا بالاصلاح زعموا بأنهم لا يستطيعون مخالفة القوانين وأية قوانين ؟ انها القوانين التي وضعها كوك وجنوده .

١ ـ لقد عمد مستر كوك وأعوانه فجعلوا دائرة الأوقاف مديرية عامة وربطوا عجلتها برئيس الوزراء مباشرة ولم يجعلوها وزارة لئلا تستقل بالعمل وربما تخرج من أيديهم أحياناً على يد وزير قوي يستطيع أن ينتج شيئاً ولو قليلاً وهم لا يرغبون في عمل شيء لهذا الإسلام ولهذا الدين ولو كان نزراً يسيراً .

٢ ـ ثم جعل للأوقاف دوائر وادارات وأغدق على موظفيها ـ وهم من غير رجال الدين ـ الرواتب والعلاوات وحفظ حقوقهم وجعلهم مرتبطين بموظفي الدولة وتحميهم القوانين وتضمن لهم الترفيعات والزيادات وحقوق التقاعد وغيرها .

٣ ـ ثم جاء الى الوظائف الدينية التي ترتبط بالعلماء من تدريس وإمامة وخطابة ووعظ وإرشاد فجعلها رواتب حقيرة بخسة لا تسمن ولا تغني من جوع ، ولم يجعل لها قانوناً يكفلها ولا نظاماً يحميها ويضمن المنتسبين إليها وجعلها ترتبط

بمدير الأوقاف العام ، فهو الدكتاتور المطلق يعين من يشاء ويعزل من يشاء ويزيد من يشاء ، ويخفض لمن يشاء ، ويعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء فهو الآمر الناهي ، والويل للعلماء من بعض المدراء فقد اذلوهم وجعلوهم يقفون ببابهم يطلبون الزيادات ، والعلاوات وهم يصدونهم أو يردونهم ، وكان من نتيجة هذه الخطة الخبيثة أن انكمش العلماء على أنفسهم وتناقص طلاب العلم وقلت الرغبة فيه وزهد حتى أبناء العلماء في العلم ودراسة العلوم الشرعية لما رأوا من ذلة أهل العلم وهوانهم على الحكام ودوائر الأوقاف .

إن صلاح الأمة بصلاح علمائها ، والعلماء هم حملة مشاعل النور والاصلاح وهم ورثة الأنبياء ، فإذا هانوا هانت وإذا ذلوا ذلت كما أنهم إذا عزوا وكثروا عزت الأمة وانتشر بينها الوعي الديني والخلق الإسلامي الرصين .

إن تعمير بيوت الله عز وجل بالذاكرين والمصلين لا يكون إلا بعلماء الدين يقومون بواجباتهم الدينية من إمامة الناس ووعظهم وإرشادهم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتذكير الغافل وتعليم الجاهل ، وبث روح الجهاد في الأمة ، ونحن المسلمين أمة الجهاد ، والجهاد ماض إلى يوم القيامة ، لذا كان من الواجب اعتبار هذه الطبقة هي الطبقة الأولى في الأمة وفيما يروى من الآثار : (صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس جميعاً وإذا فسد الناس جميعاً العلماء والأمراء) .

وكان الواجب على الأوقاف لو كان الأمر بيد أهله الشرعيين أن ترعى هذه الطبقة رعاية تامة وتوفر كافة الأسباب المادية ، والمعنوية لهم ، ليتمكنوا من القيام بمهمتهم ومسؤوليتهم ، ولكنها مع الأسف اعتبرتهم طبقة ثانوية ولم ترع لهم حقاً ، ولم تراع فيهم إلا ولا ذمة .

ففي الوقت الذي يتقاضى فيه موظفو الإدارة رواتب عالية ، ومخصصات نامية ، ويتمتعون بمزايا متعددة من تقاعد ، وعطل ، وتنقلات وزيادات وانتدابات الخ .

نجد في نفس الوقت التضييق على العلماء وضياع حقوقهم وإعطائهم الرواتب الصغيرة الحقيرة التي لا أبالغ إن قلت أن رواتب بعض فراشي المدراء العامين أكثر وأوفر من رواتب كثير من العلماء ، وهكذا تجد الفرق بين موظفي الإدارة في الأوقاف وموظفي المساجد مع العلم بأن الواقفين رحمهم الله إنما أوقفوا هذه الأوقاف الطائلة من عقارات وبساتين وأملاك وغيرها أوقفوها لخدمة العلم والعلماء ولتصرف على رجال العلم والدين .

وليت شعري كيف نستطيع أن نطالب هؤلاء العلماء أن يتخصصوا بشؤون الدين ويتفرغوا للعمل له من إرشاد العامة وتعليم أبناء المسلمين والدعوة إلى الله ، في حين أنهم لا يجدون ما يؤمن معيشتهم ومعيشة أبنائهم وأهليهم ، مما اضطر الكثير منهم إلى مزاولة أعمال أخرى ليسد رمقه ورمق أهله ، ونتج من هذا :

١ ــ وقوع الكثير منهم في القصور والتقصير في أداء واجباتهم الدينية والعلمية حتى أصبحوا محط لوم الناس وعتابهم وغمزهم ولمزهم .

٢ ــ إنعدام الرغبة في ناشئة الطلاب من تعلم العلم الديني والتخصص فيه لرؤيتهم ما حل بالعلماء الموجودين ولعدم تأمين مستقبلهم .

٣ ــ بعد هذا تناقص العلماء وقل رجال الدين حتى أصبحت الوظيفة الدينية تعلن فلا تجد دائرة الأوقاف من يطلبها فتقدم للوظائف الجهلاء وارتدى الألبسة الدينية غير أهلها فزاد الطين بلة وعمت البلوى ، وانتشر الجهل بالإسلام وغمت الفوضى الدينية وبعدت الشقة بين الشباب وبين من حملوا رسالة الإسلام ، وهم ليسوا أهلها في الواقع وحقيقة الأمر فابتعدوا عن الإسلام بحكم ابتعادهم عن حملة رسالته الخالدة ، ولا يزال الخطر يتفاقم والحاجة تزداد إلى وجود رجال دين أقوياء علماء أصحاء أوفياء لرسالة الإسلام ، يحملونها إلى الناس ويجددون شبابها ، وينبهون إلى خطر الاستعمار الخبيث عليه اللعنة والعذاب الذي وصل في مخططه إلى ما أراد والمستعان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

مثل من لبنان

قرأت تقريراً وافياً قدمته لجنة جامع الحرش في بيروت إلى مدير الأوقاف الإسلامية العام في لبنان بمناسبة تسنمه لمنصبه الجديد واللجنة مؤلفة من فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد نمر الخطيب رئيساً والأستاذ السيد سعد الدين فروخ أميناً للسر . ولقد أحببت أن أشير إلى بعض فقرات من هذا التقرير لنرى أن الحالة واحدة ، والمصيبة شاملة لأكثر ديار الإسلام وكأنها قد تواصت وتنادت بهدم الدين ، ورجال الدين ، وطلبة العلوم الدينية ، ومكافحة كل ما يمت إلى الدين بصلة ، وإليكم بعض فقرات من هذا التقرير قال تحت عنوان — موظفو الأوقاف — :

هناك أسباب كثيرة شجعت على عدم الرغبة بالعلم الديني وشجعت على انصراف الناشئة من الإنخراط في هذا السلك منها عدم تأمين المستقبل الدنيوي لهؤلاء المتخرجين ، ومنها أيضاً الوظائف المتعددة في دوائر الوقف تعطى غالباً لغير المنتسبين إلى السلك الديني ، في حين أنه كان ينبغي أن تقصر هذه الوظائف على الطلاب المنتسبين إلى السلك الديني ليفسح لهم المجال في الوظائف ، ويتشجعوا على طلب العلم والإنضمام إلى السلك الديني .

لهذا نقترح : أن تراعى هذه النقطة وأن تعبأ المراكز الشاغرة والتي سوف تشغر بالمنتسبين إلى السلك الديني .

تناقص علماء الدين

ثم قال التقرير وأرجو أن نمعن النظر في هذه الفقرة الخطيرة بالنسبة لحياة المسلمين المستقبلة في هذا البلد الهام قال :

« هنا نقص ملحوظ ولا شك في علماء الدين ويدل على هذا النقص ما تعانيه قرى البقاع الإسلامية التي بلغ عدد مساجدها المقفلة أربعين مسجداً أو يزيد ، وما تعانيه أيضاً مساجد العاصمة من نقص في الخطباء والأئمة من أهل العلم بمعناه الصحيح ونظرة عابرة الى قائمة موظفي الأوقاف من المنتسبين إلى العلم، وإلى مؤهلاتهم وشهاداتهم تكفي عن البرهان .

لقد تناقص عدد العلماء تناقصاً مخيفاً مخطراً حتى أصبحوا يعدون على الأصابع .

واسمعوا للفقرة الأخيرة من التقرير لتروا العجب العجاب في تصرف دوائر الأوقاف في ديار الإسلام والمسلمين قال : ونظرة واحدة إلى ميزانية الأوقاف العامة سنة ١٩٦١ الخاصة بالجوامع الملحقة تكفي للدلالة على هذا الإهمال ، فإن الخطيب والمدرس والإمام لا يتجاوز راتبه عن ٢٥ خمسة وعشرين ليرة لبنانية غالباً ، « أي ثلاثة دنانير عراقية » أو ما يعادل أقل من «أربعين ريالاً سعودياً » وأي شخص في الدنيا يقوم بهذه المهام الثلاثة معاً بهذا الراتب البسيط الذي لا يكاد يكفي ثمن الخبز وحده .

وقد أدى هذا الإهمال إلى ضياع كثير من الأوقاف الإسلامية في قرى البقاع وغيرها واستيلاء كثير من الأشخاص على هذه الأوقاف .

ولقد تقدم إلينا بعض الغيورين على المصالح الإسلامية في البقاع بعـــدة شكاوى تتلخص بما يلي:

١ ــ جوامع البقاع لا تقام فيها الجمع والأعياد .

٢ ــ عدم اهتمام الدوائر بفتح هذه المساجد .

٣ ــ تعيين المدرسين من غير جدارة واستحقاق مع عدم قيامهم بواجباتهم من وعظ وإرشاد .

٤ ــ إهمال أراضي الوقف بعدم استغلالها أو بتأجيرها بأجر زهيد أو إستغلالها من ذوي النفوذ .

٥ ــ صرف إعانة الأوقاف العامة على المحاسيب والمرتزقة » انتهى .

أسمعتم وقرأتم هذا التقرير إنه صورة صادقة لحالة الأوقاف الإسلامية وحالة المساجد وحالة المسلمين في أكثر ديار الإسلام هذه الحالة لم تكن وليدة الصدفة إنما هي مخطط استعماري خبيث إستطاع أن يقصي العلماء عن محيط المجتمع . كما إستطاع أن يقضي على العلماء بالقضاء على وسائل عيشهم ومصادر نمائهم وتخرجهم وهي المدارس الدينية في المساجد التي أقفلتها دوائر الأوقاف تدريجياً وقضت على طلاب العلم فيها . والمستعان الله وهو حسبها ووكيلها ونصيرها .

لمثل هذا يذوب القلب من كمـــد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان

إلغاء المحاكم الشرعية

دخل الاستعمار إلى ديار الإسلام وفي كل بلد صغير أو كبير قاضي يحكم بشريعة الله ، ويقيم الحدود ويحرس العدل ، وله السلطات المطلقة التي أعطته إياها شريعة السماء لذا كانت الأعراض مصونة ، والدماء محقونة ، والأموال محفوظة والأمن مستتباً والناس في اطمئنان على حقوقهم وقضاياهم .

وخرج الإستعمار وليس فيها سوى بضعة محاكم شرعية هزيلة محدودة الاختصاصات لا تحكم إلا في الأحوال الشخصية كالنكاح والطلاق والنفقة والنسب والوقف وما إلى ذلك وعمت بلاد الإسلام المحاكم المدنية التي تحكم بالقوانين الوضعية بعد أن تركت قانون السماء وعطلت حكم الله فحكمت بالطاغوت واستبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير فعمت الجرائم وأزهقت الأنفس ، وضاعت الأموال ، وانتهكت الأعراض ، لقد تركنا حكم القرآن ، وحكمنا بقانون الرومان ، وأهملنا الشرع النفيس واتبعنا قوانين باريس ، وفضلنا حكم الجاهلية على حكم الإسلام « أفحكم الجاهلية يبغون ومن أصدق من الله حكماً لقوم يوقنون » .

المستعمرون لم يدخلوا ديارنا ليحاربوا العروبة أو العرب ولكنهم دخلوها ليحاربوا الإسلام ويقضوا على المسلمين ويصدوهم عن دينهم كما قال الله عز وجل « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » .

ودخول المستعمرين إمتداد للحروب الصليبية ومعركتنا معهم معركة التاريخ ولقد عرف الخبثاء مقاتلنا فوجهوا ضرباتهم على ما يقتلنا ويقضي علينا .

فالحكم بالشريعة ضمان للاستقرار ، وبعث للأمن والرخاء وحفظ للأنفس والأموال والأعراض وهذا يزعج المستعمر الغادر لذا كان من مخططاته الخبيثة أن يلغي المحاكم الشرعية ويستبدلها بمحاكم مدنية ، تحكم بالقوانين المزيلة التي تتغير وتتبدل حسب الأهواء ، وحسب مصالح الحاكمين ، وتفسر وتؤل لصالح الإجرام والمجرمين والمفسدين في الأرض ، وكان له ما أراد فقد عمل وعمل حتى ألغى المحاكم الشرعية وأبدلها بمحاكم مدنية وزادت هذه المحاكم وكثرت وتعددت فمن محاكم بدائية إلى محاكم صلحية إلى محاكم جزائية ومحاكم حقوقية إلى محاكم كبرى إلى مجالس الاستئناف ومجالس التمييز ومع كل هذا فالحقوق مضاعة والدماء مشاعة ,والجرائم في تزايد مستمر وفي الناس من يضام ويظلم وتؤكل أمواله ومع كل ذلك فإنه لا يراجع المحاكم أنفة وتخلصاً من إجراءاتها الطويلة المديدة التي تقطع نياط القلوب ، وبعض المحامين زادوا الطين بلة وأعانوا على انتشار الجريمة في البلاد فإذا عرف المجرم أنه إذا قتل القتيل ثم جاء إلى المحامي فخلصه من العقاب فإنه سيقتل ويقتل ومن أمن العقوبة أساء الأدب كما قد قيل من قبل .

لقد قرأت في إحدى الصحف العراقية عندما كنت في العراق إحصاءاً لمديرية الشرطة العامة عن عدد الجرائم في العراق وإذا بحوادث القتل تبلغ خمسة آلاف حادث في عام واحد فأسفت وعددت هذا فجيعة مؤلمة بالنسبة لبلد مسلم كالعراق ولكننا إذا عرفنا ان المحاكم والقوانين ونظام السجون والعفو عن المساجين بين الحين والآخر هذه كلها عوامل على نماء الجريمة وشيوعها .

ولقد مضى علي قرابة ست سنوات وأنا في المملكة العربية السعودية ولم أشهد تنفيذ حد القتل سوى مرتين في مكة المكرمة ، ولم أسمع سوى بأربع أو خمس حوادث قتل في جميع أرجاء المملكة الواسعة الأرجاء وما ذلك إلا بفضل الله أولاً ثم بفضل تطبيق الشريعة وإقامة حدود الله ومن هنا يرى

العاقل المتبصر لماذا عمل رجال الاستعمار على إلغاء المحاكم الشرعية وإلغاء الحكم بالشريعة .

لقد ألغوها في العراق كما ألغوها في أغلب الديار الإسلامية التي ابتليت بهم .

وعندما ذهب النحاس باشا إلى لندن سنة ١٩٣٦ م للمفاوضات في أمر المعاهدة شرط الإنكليز عليه إلغاء المحاكم الشرعية وهو في لندن فاعتذر وأظهر خوفه من الهيجان الشعبي ولكنه وعدهم بتقليص نفوذها في البلاد ومن المؤسف أنه عندما رجع نقلت الصحف عنه تصريحاً خطيراً يؤيد فيه خطة مصطفى كمال في خطته الإصلاحية المذمومة بدون قيد أو شرط .

وعندما تعهد الإنكليز الخروج من الكويت وترك الكويت للكويتيين شرطوا إلغاء الحكم بالشريعة ووضع قانون مدني بدل الشريعة بدعوى أنه لا بد من قانون يحمي حقوق الأجانب والمواطنين .

وسلمت المحاكم لحكام مدنيين ومن المؤسف أن الجريمة ازدادت إذ كانت الكويت تنعم بأمان لا مثيل له ولكنه الاستعمار الخبيث ومخططاته الماكرة التي تسعى جهدها لتحارب الإسلام وتتعقبه في كل مكان فلا تترك ميداناً إلا وتحاربه فيه ولا موطناً إلا وتلاحقه فيه ، حتى ترديه قتيلاً إن استطاعت ولن تستطيع بإذن الله والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وليذكر هذه الآية كل مسلم .

« ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا »

ومن نتائج إلغاء المحاكم الشرعية غير المباشرة قلة الإقبال على طلب العلوم الشرعية لقد كان طلاب العلم الديني يقبلون على المدارس الشرعية أملاً في أن يكون أحدهم قاضياً أو رئيس قضاة فلما سد هذا المنفذ في طريقهم عزفوا عن طلب العلم وكان للإستعمار الماكر ما أراد من قتل العلم الديني وهو في مهده ومحاربة العلماء في كل ميدان حتى لا يبقى بين المسلمين من يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحاربون الاستعمار ويبثون روح الجهاد بين المسلمين .

إلغاء الإفتاء

تبعاً لهذه الخطة الماكرة التي اتبعتها دوائر الإستعمار ونفذتها أيدي المستعمرين والأيدي التي صافحت أيدي المستعمرين وعملت على تطبيق مناهج المستعمرين وتنفيذ مخططاتهم في حرب الإسلام وإذلال المسلمين وسد كل منفذ يدخل منه الإسلام إلى قلوب المسلمين ، أو يتغلغل في أوساطهم الاجتماعية أن يكون له نصيب في حل مشاكلهم أو وسائلهم لقد أبعدوا الإسلام عن كل محيط وحصروه في المساجد والمعابد حتى يبقى حبيساً لا انطلاق له وحتى يكون غريباً وهو في وسط أهله وذويه .

تمشياً مع هذه الخطة الشيطانية ، فقد عملت دوائر الاستعمار على إلغاء دوائر الإفتاء في كثير من ديار الإسلام وحاربت المفتين وأبعدتهم عن ميادين الإصلاح .

لقد دخل الاستعمار الكافر ديارنا وفي كل بلد مفت وأمين للفتوى وهـذا المفتي هو مرجع المسلمين في أمورهم الدينية والدنيوية معا ويقوم هذا المفتي ببناء المساجد وتعميرها وخدمتها ويؤدي فيها الواجبات الدينية على أكمل الوجوه ويفض الخلافات ويزيل النزاع بين المتنازعين ويعود المرضى ويزور البيوت بمناسبة الأفراح والأتراح ويمشي وراء الجنائز ويسعى في تشغيل العاطلين وإعانة المنكوبين ويعلم الناس القرآن وآداب القرآن وينشر بينهم روح الإسلام وخلق الإسلام وإذا ارتبط الناس بالعلماء اقتبسوا منهم أخلاقهم وآدابهم وأخذوا عنهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، ورغبوا في العلم ، ووجهوا أبناءهم إلى العلم ، ليكونوا مثل هذا المفتي في خلقه ودينه ومكانته الإجتماعية ولقد كانت

دور المفتين ومساكنهم مجمعاً لأهل البلد وملتقى لأهل الفضل ومدرسة للوعظ والإرشاد ودار ضيافة للشاردين والواردين ووجود المفتي والعالم الديني في البلد كان يغني عن وجود المحكمة والشرطة والعيون والرقباء وكان الناس مع وجود رجال الدين يعيشون على الأخوة والصفاء والرخاء والمحبة والوفاء .

فلما ألغيت دور الإفتاء وأبعد عن الميدان العلماء بدأ الشر يسري والفتنة تستيقظ والجهل يعم والفساد يدب في النفوس والمحاكم التي وضعوها لم تقطع الجريمة ، والشرطة التي عينوها لم تقض على المنازعات التي قامت بعد فقدان الوازع الديني وهو السلطان الأكبر في كبح جماح النفوس .

أما القوانين الوضعية فهي عوامل فساد وإنحلال ودواع لإنتشار الجريمة في البلاد ولا يستطيع أحد حتى من خصوم الإسلام أن ينكر فضل الوازع الديني على النفوس .

مثل صادق

قبل أكثر من عشرين عاماً اتفقت إدارة الأزهر بمصر مع وزارة الشؤون الإجتماعية على تعيين وعاظ ومرشدين دائمين في جهة من جهات الصعيد انتشر فيها الفساد وكثرت فيها الجريمة وزاد فيها عدد المجرمين وأعانت وزارة الشؤون مادياً في تعيين هؤلاء المرشدين وقامت إدارة الأزهر باختبار المدرسين والمرشدين وعينت لكل قرية مرشداً وربطت كل ثلاثة قرى برئيس يشرف عليهم ويوجههم ويراقب ما يقومون به من واجب الدعوة إلى الله وفي خلال سنة فقط جاءت تقارير الشرطة تبشر بنجاح هؤلاء المرشدين .

وإن الجرائم في خلال العام انخفضت إلى خمسين في المائة وهي في طريق الإضمحلال والزوال وهذا كنت قد قرأته على ما أذكر في جريدة الأهرام القاهرية وكنت يومها في مصر للدراسة في الجامع الأزهر الشريف صانه الله وجعله دائماً منار علم وهداية للمسلمين .

نعود بعد هذا المثل إلى الإفتاء وكيف استطاع المستعمر في مخططه الخبيث أن يلغي هذه الدوائر في أكثر ديار المسلمين ويؤسفني أن أضرب المثل من بلادي الحبيبة العراق وهل يصدق القارىء الكريم إذا قلت له : إن العراق وهي مهدالحضارة الإسلامية ومنها نبغ العلماء والأئمة والخطباء والفحول من الرجال وهي بلد ابن حنبل وأبي حنيفة وأبي يوسف والحسن البصري وغيرهم من أئمة الإسلام وأعلام الهداية والرشاد .

يكاد لا يصدق الإنسان إذا قلت أن العراق ليس فيها مفت فمنذ أن مات آخر مفت لبغداد وهو الشيخ يوسف عطا رحمه الله قبل أكثر من عشرين عاماً ثم خلفه العلامة الشيخ قاسم القيسي رحمه الله رغبت الحكومة من بعد فقدان العلامة القيسي في تعيين علامة العراق الأكبر الشيخ أمجد الزهاوي حفظه الله وأمد في حياته ولكنه اعتذر على الرغم من الإلحاح عليه ورجاء رئيس الوزراء والوزراء ومن حق هذا الرجل الكبير المجاهد أن يعتذر يومها وهو من هو فضلاً وعلماً وتقى .

ومن المؤسف أن العراق المسلم وعدد نفوسه سبعة ملايين نسمة أو تزيد ليس فيه مفت رسمي واحد ترجع إليه الناس في القضايا الشرعية والإسلامية ، فهل ترون معي أن الإستعمار نجح إلى أبعد الحدود فيما وضع من خطط ومنها إلغاء الإفتاء لتقليص ظل ونفوذ علماء الدين وتجهيل المسلمين بأمـــور دينهم وإبعادهم عن المحيط الديني الذي يمثله ويقوده رجال الدين الصادقون .

ويؤسفني أن أقول أن أكثر الدول الإسلامية ومنها العربية قد تحررت سياسياً من الاستعمار فهي تحكم نفسها بنفسها ولكنها مع مر الأسف لا تزال تسير في المخطط الذي وضعه لها عدوها الألد الاستعمار ورجال الإستعمار خاصة في القضايا الدينية والأمور الإسلامية فتكاد تجمع كلمتهم على محاربتها ومكافحتها في كل ميدان وتقليص ظل رجال الدين وإبعادهم عن كل ميدان من ميادين النشاط والحيوية والعمل وكأن أمر هذه الطبقة من الناس مفروغ منه لدى الحكام

إذ يجب أن تحارب وتطارد ويحال بينها وبين الميادين السياسية والإدارية وحتى العلمية والإصلاحية ونتيجة لهذه الخطة فقد ترك الناس دراسة العلوم الدينية وعزفوا عن كل مظهر من مظاهر رجال الدين ونحن اليوم أحوج ما نحتاجه هو وجود مثل هذه الطبقة من رجال دين مثقفين ثقافة واسعة تنقذ الجيل الحاضر من جهله وأوهامه وتوجهه إلى الله وتنمي فيه العقيدة السليمة التي تربي الخلق وتهذب النفس .

من فنون التبشير

نشرت الصحيفة اليومية السويسرية « جورنال دي جنيف » في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ – ٥ – ١٩٦٤ م عرضاً لبعض المؤلفات التي طبعت خلال عام ١٩٦٣ م في موضوعات تتعلق بالعقائد تحت عنوان « سبل العقيدة متنوعة » ومن بين الكتب التي تناولها الناقد « دي بيير » كتاب عنوانه « إنتصار على المستحيل »قال فيه بعد نقده بعض الكتب في الديانة اليهودية والديانة المسيحية .

وفي ميدان آخر ميدان الإسلام يشرح (فيليب ديكور) في كتابه (انتصار على المستحيل) العمل التبشيري الذي قامت به الفتاة الإنكليزية الآنسة تروتر . التي ولدت في منتصف القرن الماضي والتي خصصت حياتها وكرستها لإغاثة المسلمين بالجزائر وعرض الانجيل عليهم ... ويقول .. ونحن نعلم أن المبشرين المسيحيين لا يعرفون تربة أشد صلابة من المناطق التي يزدهر فيها الإسلام .

إذ يوجد في هذا الدين الذي أبان المؤلف مظاهر شرعيته والتمسك بتعاليمه شبه لقاح ضد كل تلاق شخصي بالمسيح وإنما يعود الفضل في الانتصار الديني الذي أحرزته الآنسة تروتر إلى كونها عرفت كيف تحب الشعب الذي اختارت أن تعيش وسطه ، وعرفت كيف تظهر أن نيتها لم تكن القيام بتبشير تعصبي ، بل تبليغ حب الله للناس تبليغاً بريئاً منزها من كل غرض ، وقد كان لذلك

أثره المرجو كما كان لمساعديها نفس الأثر لأنه وجد منذ البداية عند مؤسسة هذا العمل الخيري حرصاً شديداً على مراعاة النظام في حفظ الدعوة من كل هوأية . وللمطالبة ببذل الشخص نفسه لها بالكلية وطرح كل ما قد يوهم الناس أن التبشير حركة مستترة . وترمي إلى تحقيق أغراض غير حب الله المتجلي في خدمة المبشرين للناس بغاية التجرد .

وهناك شيء آخر ساعد على نجاحها : هو معرفتها للوسط الذي كان عليها أن تعمل فيه وعنايتها بمعرفة الفكر الإسلامي وروحانية الإسلام ؛ فهي إذن لم تكن تسلك نهج الرئيس المدبر الذي يعتقد أن له الحق في التوجيه كما هو الحال غالباً عند المسيحيين المقتنعين بأنهم إذ يخدمون رباً هو الحق فهم أيضاً يملكون الحق . إن الشهادة بالحق ليست عبارة مرادفة للحق الموهوب ولا للعصمة وهذا ما بينه العمل التبشيري الطويل الذي قامت به الآنسة تروتر التي امتد أثرهـــا امتداداً واسعاً في الجزائر .

وهكذا لا يزال المبشرون يعترفون رغم كل ما ينعمون به ويعزز جهـــود منظماتهم وأفرادهم من أقوى وسائل التنظيم والتمويل ورعاية المؤسسات الدولية الساهرة الناشطة أن مقاومة الإسلام مستحيلة أو تقرب من المستحيل إلا ما يكون من آثار التضليل على يد مثل الفتاة الإنكليزية « تروتر » التي تلبس للمسلمين مسوح العطف والحب والتضحية المتفانية تحت دعوى الرغبة المجردة من إنقاذهم بإسم عيسى اليسوع .

لعل في هذا المنشور تذكرة للذين يهمهم أمر مستقبل الإسلام في أفريقيا وعبرة للذين لا يزالون يرتجلون أساليب الدعوة للإسلام إزاء هذه الأجهزة المنظمة التي تعتمد على ادق الدراسات وتمضي في التغلغل وفق مخطط قديم مدروس .

« المسلمون صفر سنة ١٣٨٤ »

مؤتمر سوفيتي لملاحقة الاسلام من جديد

وبينما تواصل أجهزة الغزو الغربي التبشيري نشاطها ضد الإسلام في أفريقيا وآسيا تطلع « البرافدا » صحيفة الحرب الشيوعي في عاصمة الإتحاد السوفياتي في عددها الصادر في ٥ شباط (فبراير) ١٩٦٤ بهذا الخبر :

ينعقد الآن مؤتمر روسي موضوعه « التربية الإلحادية » في أواسط آسيا حيث يشكل المسلمون كثرة عددية غزيرة ومن بين ابحاث هذا المؤتمر « التجديد الإسلامي خارج الإتحاد السوفييتي » و « الإيديولوجية الإسلامية » .

ويأتي هذا المؤتمر « الخاص » بعد مؤتمر عام انعقد لذات الموضوع بالنسبة لروسيا كلها وقد تقرر فيه أن عدد المؤمنين في روسيا لا يزال كبيراً جداً بالرغم بالرغم من أربعين عاماً من حملات الدعاية المتواصلة ضد الدين ودعا إلى مضاعفة الجهود للتأثير على المتدينين من يهود ونصارى ومسلمين وغيرهم وقرر إنشاء معهد تربوي« للإلحاد المدعوم بالأدلة العلمية » وإدخال دروس إلزامية عن الإلحاد في مناهج الجامعات وغيرها من معاهد الدراسة وأكد بوجوب مضاعفة استخدام الأقلام والنوادي والمحاضرات المعادية للدين » .

قد يبدو هذا الخبر جديداً وغريباً على كثير من المسلمين الذين نسوا أو لا يعلمون أن في الإتحاد السوفييتي عشرات الملايين من أخوة لهم في الدين غير الملايين التي أبيدت في سيبريا وبوسائل القتل الجماعي وتحت أدوات التعذيب الرهيب في السجون وفي برك الدم التي أشرف عليها ستالين .

على أن المتابعين لموقف الإتحاد السوفييتي من الإسلام والمسلمين خاصة يعلمون أنه قد صدرت أبحاث متعددة من مصادر رسمية عالية خلال السنوات الأخيرة تكرر مدى جسامة « العقبة الإسلامية » في طريق الحزب الشيوعي والدعوة الشيوعية وتصف الإسلام بأنه ذو شأن مزعج في تأصيل كيان الرجعية لأنه لا يقتصر على العقيدة ومراسم العبادة بل يخلط ذلك بمواقف محددة في مسائل الإجتماع والأقتصاد والسياسة وأن أتباعه الذين يؤمنون بذلك كله إيماناً متحجراً، تصاحبه فكرة الجهاد المقدس هم أخطر صنف رجعي في كيان الاتحاد السوفييتي وأن جهود الحزب الشيوعي الهائلة في محيطهم لا تزال نتيجتها سلبية تنذر بالخطر فلا غرو أن ينعقد مؤتمر سوفييتي خاص بالإسلام والمسلمين .

ترى لو كان للإسلام دولة واحدة ترعى قضيته في الشرق والغرب وتسهر على رعاية أمثال هذه القوى الاصيلة التي استعصت هذا الاستعصاء المجيد رغم وسائل الإرهاب والإغراء ورغم اليتم المرير الذي قطعها عن كل توجيه وتنظيم وبقيت على أصالتها واستعصائها بعد أربعين عاماً طوالاً من جبروت حكم دموي يحصي الأنفاس ويسخر كل أجهزة العلم وأجهزة النفوذ للتضليل والتحطيم والترويض الذي لا يعرف الرحمة على الولاء المطلق للدولة والحزب في كل مدينة وقرية ....

ترى لو كان للإسلام دولة تتبنى قضيته وترعى هذه القوى العزيزة وتسهر على دعمها والانتصار لها أكان للبشرية المتعثرة أن تتطلع إلى غيرها في معركة الكفاح الصادق لتحريرها من طغيان الشرق والغرب معاً ؟!

أذكر هذا وأنقله عن مجلة « المسلمون » ليطلع الناس وليعلموا أن الشرق والغرب معاً ، متفقان في حرب ومكافحة الإسلام والمسلمين ، والكفر ملة واحدة ، فلا فرق بين هؤلاء وهؤلاء والكل أعداء لهذا الدين الرباني العظيم ، والكل خصم للإسلام والمستعان الله وهو حسبنا ونعم الوكيل .

مخططات الاستعمار في أفريقيا

الإستعمار الماكر لم يدع ميداناً من الميادين التي دخلها الإسلام إلا ودس أنفه فيها ، وسعى فيها بالفساد ، والخراب والقارة الأفريقية الجبارة كانت إحدى هذه الميادين التي غزاها الإستعمار تعاونه الصهيونية المجرمة . ولعب فيها أدواراً خطيرة من المكر والدس ، والسعي بالخراب والفساد والإلحاد ومكافحة الإسلام بكل وسيلة وبكل طريقة .

وبعد حركات الوعي الأفريقية وقيام حركات الأستقلال في كل قطر من أقطارها ، واستقلال دولها الحديث الذي يعد في هذه الحقبة من التاريخ من أعظم أحداث التاريخ الحديث ، كما يعد أكبر ضربة قاضية وُجهت للاستعمار ورجال الإستعمار ودلت بوضوح على فشل الإستعمار في سياسته الخارجية ، لذا فقد جر أثواب الخيبة والفشل وانسحب بانتظام سياسياً في أكثر المناطق الأفريقية وترك الحكم فيها لأهلها وأنفه راغم وقلبه يلتهب ناراً حامية على أهل هذه الديار المستقلة التي مكث يستغلها كالبقرة الجلوب دهوراً ودهوراً حتى أخزاه الله وكشف عن حقده وخطره وشره .

لقد ترك الإستعمار هذه الأقطار مكرها مرغماً ولكنه في الوقت ذاته ترك وراءه مشاكل لهذه البلاد أحدثتها مؤامراته الخبيثة ومخططاته المجرمة كما ترك فيها ألغاماً مزروعة هنا وهناك ، زرعتها يده الآثمة ، وترك له عملاء وجواسيس يفجرون هذه الألغام ويثيرون فيها الفتن ، ويصنعون فيها الفساد ويعملون لإحداث الأنقلابات العسكرية التي تهدم بنيان الأمن والاستقرار وتُشيع الفوضى والفساد ، ثم أطلق الأستعمار عميلته الكبيرة المجرمة اسرائيل فانطلقت تعمل لتنفيذ مخططاته كالكلبة المسعورة لا تفتر ولا تكل ولا تمل .

ومنذ القديم كان الاستعمار مهتماً بهذه القارة وهو يسعى وراءها بكل ما أوتي من قوة ، ومكافحة الإسلام فيها كان الهدف الأول من أهدافه الخبيثة ،

وفي أعقاب مؤتمر أدنبرج الذي عقد في سنة ١٩١٠ وكان للمسائل الإسلامية الحظ الأوفر من مداولات أعضائه وقد أنبثقت عنه لجنتان تفرغتا للبحث في مر الإسلام والمسلمين وقد نُشرت أعمال هذا المؤتمر في تسعة مجلدات وذكر ألأستاذ محب الدين الخطيب في كتابه « الغارة على العالم الأسلامي » أنه عثر على المجلات ثلاث تكلمت على هذا المؤتمر واحدة المانية وهي : مجلة الشرق المسيحي التي تصدرها جمعية التبشير الشرقية الألمانية . والثانية انكليزية وهي « مجلة العالم الأسلامي » المعروفة . والثالثة سويسرية وهي « مجلة ارساليات التبشير البرتستانتية » التي تصدرها جمعية التبشير في مدينة بال في سويسرا .

وقد نشرت مجلة العالم الأسلامي الأنكليزية مقالاً بقلم المستر وطسون تحت عنوان « العالم الأسلامي » قال فيه :

إن من الخطأ الحكم على مؤتمر أدنبرج بأنه لم يهتم بالمسائل الأسلامية لأن الغاية من عقد هذا المؤتمر هي البحث في مسائل العالم الخارج عن النصرانية والاهتمام بإيجاد وحدة وتضامن بين المبشرين في أعمالهم وأن نظرة واحدة توجه إلى قرارات المؤتمر تظهر لصاحبها الحظ الكبير الذي كان للمسائل الإسلامية من أعمال المؤتمر فقد كان المؤتمر مؤلفاً من ثماني لجان اختصت الأولى والرابعة منها بالتوسع في بحث المسألة الإسلامية من الوجهة الخارجية وفي ايجاد ميدان عام مشترك لأعمال المبشرين واختيار خطة « الهجوم » والغارة وتقرير هذه اللجنة يتضمن أحصاءً متعلقاً بالمسلمين وعددهم ومبلغ ارتقائهم في كل قطر في آسيا وأفريقيا وجاء في تقرير اللجنة عن حالة الإسلام في أفريقيا ما يلي :

إن الموقف في افريقيا صار حرجاً لسرعة تقدم الإسلام من مركزه الواسع في الشمال ومعاقله التي في السواحل إلى الجنوب والغرب الأفريقي . والمبشرون كانوا قد أخطأوا في تقديراتهم السابقة لأنه تبين لهم فيما بعد أن بعض البلاد التي كانوا يحسبونها خالية من الأديان المعروفة هي : إما إسلامية محضة وإما أنها على أهبة الدخول في الإسلام .

وتقول اللجنة إن العداء الذي كان يظهره المسلمون للمبشرين قد خفت وطأته بالنسبة لما كان عليه ، ثم تناولت اللجنة البحث في الأمور الأجتماعية الإسلامية التي تمهد السبيل لتنصير المسلمين فحضت جمعيات التبشير على على توسيع نطاق التعليم الذي يشرف عليه المبشرون وحصرت قراراتها بجملتين أثنتين :

الأولى : أن ترقي الإسلام الذي يهدد أفريقيا الوسطى يجعل الكنيسة تفكر في مسألة دقيقة هي : هل ينبغي أن تكون القارة السوداء إسلامية أو نصرانية ؟

الثانية : أن المسائل الإسلامية في الشرق الإسلامي على الخصوص صار لها مكان هام في أعمال المبشرين عقب الأنقلابات التي حدثت في بلاد الدولة العثمانية وفارس مع أنها لم تكن تهم الكنيسة قبل هذه الإنقلابات إلا قليلاً ، ولذلك أصبح من مقتضيات الظروف أن تقوم ارساليات التبشير بعمل ينطبق على المسائل الإسلامية [1] .

إن الناظر إلى تقارير اللجان الكنسية وإلى النشاطات التي تبذلها دول الإستعمار تعاونها عميلتها وربيبتها الصهيونية العالمية وعلى رأسها دولة العصابات إسرائيل ليأخذه العجب العجاب مما تبذله هذه الدول في أفريقيا السوداء البطلة التي تمردت على الإستعمار وطردته من ديارها شر طردة ، لكن الخبيث الماكر خرج من الباب ويريد أن يدخل من السطوح ومن الشبابيك ومن مجاري الأقذار وهو لا يتورع عن فعل أخس المؤامرات وأحط الدسائس للفتك بهذه الدول المستقلة حديثاً وبشعوبها المجاهدة البطلة وما دامت هذه القارة الجبارة أخذت تتجه نحو الإسلام فإن سعار الإستعمار سوف يشتد عليها وقد اشتد فعلاً فزاد في مؤامراته وأقام المؤتمرات وآخرها مؤتمر كامبردج في أنكلترا سنة ١٩٦٤ وكل هذا للنظر في مستقبل أفريقيا والحالة الحاضرة في أفريقيا والإسلام الذي أخذ يتهددها بزعمهم ويغزوها من كل جانب واقرأوا الفقرة الأولى من تقرير

---

١ — راجع كتاب الغارة على العالم الاسلامي : لمحب الدين الخطيب ومساعد اليافي .

لجنة مؤتمر ادنبرج الذي عُقد قبل أكثر من خمسين عاماً لتعلموا ارتباط الماضي بالحاضر وتقول هذه الفقرة :

إن ترقي الإسلام الذي يتهدد أفريقيا الوسطى يجعل الكنيسة تفكر في مسألة دقيقة هي : هل ينبغي أن تكون القارة السوداء اسلامية أو نصرانية ؟

والطامة الكبرى هنا على الصهيونية وعملائها ، والاستعمار ورجال الاستعمار وهي أن تصبح القارة العظيمة إسلامية خالصة وعندئذ تحترق قلوبهم وتسود وجوههم من انتصار هذا الخصم التقليدي الجبار ألا وهو الإسلام المنتصر الذي حاربه أسلافهم ولا يزالون هم في حربه ومكافحته ووضع العراقيل والاشواك في طريقه ولكنه رغم كل هذه المخططات وكل هذه المؤامرات يسير من نصر إلى نصر في هذه القارة الأفريقية الجبارة التي برزت على المسرح السياسي العالمي كأعنف خصم ، وأقوى عدو للإستعمار وأهله ورجاله :

وهذا الانتصار لدعوة الإسلام في القارة الأفريقية حيّر عقول الغربيين والشرقيين معاً وتركهم وهم في شبه جنون مما يرون ويسمعون ، عن هذه القارة وهم في خوف ووجل على مستقبل هذه القارة لذا فقد زاد نشاطهم فيها وزاد نشاط عميلتهم وربيبتهم اسرائيل ، وكثرت وفودهم وتنوعت مؤتمراتهم واجتماعاتهم وأخذوا يفكرون في وضع مخططات جديدة لمكافحة هذه القارة ومكافحة الإسلام فيها بصورة خاصة ، وقد أفصحت مجلة الجيش الأمريكي عن مثل هذه المخاوف بمقال مليء بالسموم وينضح بالحقد والغيظ على الإسلام وكان عنوان هذا المقال « جمل محمد يغلب حضارة القرن العشرين » وعنوان المقال يغني ويكفي عن ذكر ما جاء فيه من الدس واللؤم والإفتراء .

كما يدل بنفس الوقت على اعترافهم الضمني بأن دعوة سيد الرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هي الغالبة ولها المستقبل الأفضل في هذه القارة وستكون بإذن الله كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وستبقى

كلمة«لا إله إلا الله محمد رسول الله» مدوية في الآفاق ينادي بها أهل المشرق والمغرب ولا ينطفىء نورها ولا يخبو ضياؤها والله يحميها ويرعاها .

خطورة الحالة في أفريقيا

الوضع الخطير الذي تجتازه بلدان القارة الأفريقية المستقلة حديثاً ونتائج المؤآمرات والمخططات الإستعمارية الخبيثة التي يعاني منها سكان هذه الأقطار الأمرين لا يكفي لبيانها صفحات من كتابي هذا ، بل هي تستغرق كتاباً مستقلا إن لم أقل كتباً . تتضافر لها الجهود وتتعاون لفضح دسائس الأستعمار وربيبته الصهيونية في هذه البلاد الجديرة بعناية المخلصين من كل مكان خاصة العالم الإسلامي وعلى رأسه البلاد العربية التي يجب عليها أن تسارع لنجدة هذه القارة ومكافحة التغلغل الصهيوني يعاونه الإستعمار الغربي الغادر هناك .

وهنا أود أن أذكر خلاصة مختصرة جداً من تقرير ورد إلى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة قدمه فضيلة الشيخ عبد المهيمن أبو السمح إمام الحرم المكي الشريف.والتقرير كتبته الدكتورة زهيرة حافظ عابدين وهي طبيبة عربية قامت برحلة إلى شرقي أفريقيا مع ستة من أطباء الأطفال من جامعات مختلفة في دول شرقية ، وذلك تلبية لدعوة هيئة الصحة العالمية وهيئة إغاثة الطفولة الدولية وقد كتبت الدكتورة زهيرة هذا التقرير عن مشاهداتها وملاحظاتها في نحو ست صفحات من القطع الكبير وسوف أنقل منه فقرات معدودة محدودة ليطّلع الرأي العام الإسلامي على الحالة هناك وما تركته مؤامرات الاستعمار ومخططاته المجرمة في هذه القارة الكبيرة التي أخذت تتجه نحو الخير والحرية والتوحيد الخالص ومما قالته هذه الطبيبة في هذا التقرير المهم :

« إن مسلمي أفريقيا يقاسون ألماً أجتماعياً يدعو للأسف والحسرة حتى في البلاد التي تعيش فيها أكثرية مسلمة مثل « تنجانيقا » حيث نسبة المسلمين فيها

٦٥ بالمئة من عدد سكانها البالغ ١١ مليون فالحاكم مسيحي وجل الوظائف الحكومية يشغلها المسيحيون . أماالمسلمون فهم في جهل وفقر وذل اجتماعي !

وذلك نتيجة السياسة الاستعمارية السابقة ، حيث دأبت على محاربة الإسلام ونشر المسيحية وجعل التعليم في مدارس تبشيرية تجنبها المسلمون فظلوا جهلة ، بينما تخرج من هذه المدارس طائفة من الإفريقيين الذين اعتنقوا المسيحية فأسند إليهم الأستعمار الوظائف الهامة ووضع القيادات العليا في أيديهم حتى في البلاد التي يكون المسلمون فيها أكثر عدداً من المسيحيين . !

أقرأوا أيها المسلمون هذه الفقرة بدقة وهي تمثل حقد الأستعمار ، وخطة الآستعمار في كل بلد مسلم دنسته أقدامه وحط فيه ركابه فالمسلمون يقاسون من حقده وغدره آلاماً اجتماعية وآلاماً أخلاقية ، وآلاماً سياسية ، وهو دائب على محاربة الإسلام ومكافحة رجاله وتسليم الأمور والوظائف إلى أيد غير أسلامية ونشر مكامن التبشير في ربوع تلك البلاد وبث السموم والدسائس بين أهلها .

ثم قالت هذه الطبيبة في تقريرها :

« لقد علمت أن الإستعمار الانكليزي عندما دخل إلى أوغندا عمد إلى عزل الحاكم المسلم ووضع قانوناً بأن لا يتولى الحكم إلا مسيحي » ثم تحدثت هذه الطبيبة عن تغلغل البعثات التبشيرية في كافة أنحاء هذه البلاد ، وقيامها ببناء المدارس ودور الحضانة التي تربي الأيتام وأولاد الفقراء من المسلمين وتنشئهم على المسيحية وقالت :

« إن المجهود التبشيري مركز على بث روح التعصب والكراهية ضد المسلمين وليس المقصود به نشر الدين المسيحي فهي مسيحية اسمية يسمح فيها بتعدد الزوجات وغير ذلك مما تحرّمه المسيحية ما دام الشخص مسيحياً بالاسم ويذهب إلى الكنيسة بدلاً من المسجد ويحقد ويتعصب ضد المسلم ويشعر بأفضليته عليه .

الدعاية ضد العرب

ثم تذكر هذه الطبيبة وفقها الله مخطط الاستعمار في القارة الأفريقية في مجال الدعاية ضد العرب وضد المسلمين بصورة عامة لتفرق كلمتهم . وتورث بينهم العداوة والبغضاء وتجعل بين الأفريقي المسلم . والمسلم غير الأفريقي هوة سحيقة تباعد بينهما ، بحيث لا يجتمعان على كلمة سواء وهما أخوان بأخوة الإسلام ، وشأن الاستعمار دائماً تفريق الكلمة وقاعدته المشهورة « فرق تسد » فإذا اتحد المسلمون فلا حياة ولا سيادة ، ولا بقاء ، للاستعمار البغيض .

تقول هذه الطبيبة في تقريرها : «إن أول ما يلفت النظر في صالة الاجتماعات الشهيرة بأديس أبابا عاصمة الحبشة رسومات ملونة تمثل العربي بعقاله يقود جماعة من الزنوج الأفريقيين مقيدين بالسلاسل -- بعضهم إلى بعض — وصورة أخرى تمثل هؤلاء الزنوج يفكون عنهم هذه القيود ويتخلصون من هذا العربي الظالم ! .

وفي متحف تنجانيقا صور أخرى كثيرة ورسومات عديدة تصور هذا المعنى المفتري على العرب . !

ثم تقول : إن الدعاية هناك شديدة في تصوير خطر العرب والمسلمين ، هذا الخطر الذي يصوره الاستعمار بأنه أشد من خطر الشيوعية .

وكان من نتيجة تركيز الدعاية ضد العرب تلك المجزرة البشرية الخطيرة التي وقعت في زنجبار وذهب ضحيتها أكثر من عشرة آلاف رجل من العرب .

وبهذه المناسبة أقول : ان الدوائر الاستعمارية في إيطاليا بالتعاون مع الدوائر الصهيونية أنشأت فلماً سينمائياً يحمل هذه المعاني الخبيثة ويصور الرق ومظالم الارقاء عند العرب المسلمين بأبشع الصور ، وأخبثها ، وهذا الفيلم يعرض الآن ونحن نطبع هذا الكتاب — في بعض البلاد الأفريقية والعربية حتى أحدث

ضجة في الأوساط الأسلامية وأخــذت بعض الصحف بمهاجمته ودعت إلى منعه من العرض ومحاكمة مستورديه من أصحــاب السينمات .

وكــل هذا لتشويه سمعة العرب والمسلمين وتنفير الأفريقيين من هذا الدين العظيم الاسلام الذي أخذ يشق طريقه إلى قلوب سكــان هذه القــارة الأبطال الذين أذاقهم رجال الأستعمــار صنوف العذاب وساموهم خسفاً وذلا ، ثم جــاء الأستعمــار اليوم بعد أن ُطرد من هذه القارة ولا يزال رجالهــا يلاحقونه في كــل مكان جــاء الأستعمار بواسطة عميلته المجرمة إسرائيل ليدخل إلى هذه القارة مرة أخرى وهيهــات هيهــات لقد ولى هذا العهد الأسود للأستعمار وسوف لن يعود بإذن الله .

ثم تشير الدكتورة في تقريرها إلى الأقلية المسلمة التي تحظى بتعليم جامعي أو ثانوي والجهود الجبارة التي تبــذل لإفسادهم أخلاقياً ليكونوا مسلمين بالاسم فقط دون العمــل بتعاليم الإسلام .

« أما المسلمون الفقراء فقد بدأوا يتحولون إلى المسيحية تحت ضغط الفاقة والحاجــة ، ولهذا السبب نقص عدد المسلمين في تنجانيقا من ٨٥ إلى ٦٥»

وفي ختام التقرير تدعو كاتبته إلى المسارعة لإصلاح الأخطــاء التي خلقها الأستعمــار في أفريقيا والعمل على استبدال الراهب الذي انتدبته اليونسكو لتعليم الدين الإسلامي بجامعة « كمبالا » بأستاذ عربي مسلم ، وانشاء المدارس العربية الإسلامية ومساعدة الجمعيات والمراكز والمكتبــات التي أنشأها بعض الأفارقة المسلمين مادياً ومعنوياً مع مواجهة التيار التعصبي الحاقد على العروبة والإسلام في أفريقيا .

مخططات الاستعمار في السودان

السودان العربي المسلم كان هدفاً من أهداف الأستعمار الغادر ، كما كان مرتعاً لرسل الأستعمار وطلائعه في ديار الأسلام ، وهم المبشرون المسيحيون تلك الذئاب البشرية التي لم تدخل بلداً إلا أفسدته .

إنهم يدخلون في مسوح الرهبان ، وعلى صدورهم الصلبان ولكن الدور الحقيقي الذي يلعبونه في كل بلد يحلون فيه ، هو الافساد في الاخلاق . والتشكيك في العقائد ، وابعاد الناس عن رب الناس فهم باسم الدين يحاربون الدين ، وباسم الدين يخدمون أسيادهم رجال الأستعمار والدين المسيحي الحقيقي بريء منهم ومن أعمالهم .

وقبل أشهر معدودة تناقلت وكالات الأنباء حدثاً من الأحداث الهامة في تاريخ السودان ذلك الحدث هو طرد المبشرين الأجانب من جنوبي السودان فجن جنون الأستعمار وصوبت السهام نحو السودان ، وأخذت الصحف الحاقدة تهاجم خطوة السودان الجريئة التي رحبت بها جميع الدول والشعوب والهيئآت التي خبرت حقيقة المبشرين المسيحيين والدور الهدام الذي يلعبونه في خدمة الأستعمار ومصالح الأستعمار وبهذه المناسبة وددت هنا أن أبين طرفاً من مخططات الأستعمار التي سار عليها طوال مدة حكمه الأسود في السودان ذلك البلد العربي المسلم المجاهد وشعبه البطل ذو الأخلاق الوديعة ، والنفوس الكريمة ، والعقائد السليمة التي تعتز بالإسلام وتفخر بالإسلام وتعمل للإسلام وسيبقى هذا الشعب العريق مسلماً مؤمناً رغم المؤامرات والمخططات الاستعمارية الخبيثة التي نُصبت ولا تزال تُنصب له من جميع الجهات الاستعمارية الشرقية والغربية والله معه .

الإنـكليـز والمبشـرون

لقد وضع الأنكليز أثناء احتلالهم البغيض للسودان قوانين إدارية أعطت للمبشرين في جنوب السودان تسهيلات ومساعدات مالية وأدبية كثيرة وحددت لكل « إرسالية » منطقة نفوذ تعمل فيها حتى لا يتنازع الولاء المسيحي بين الشيع المختلفة وتبلبل أذهان البسطاء السذج من الأهالي هناك .

وكانت السياسة العامة المتبعة بشأن هذه الأرساليات أثناء الحكم الأنكليزي للسودان هي وجوب تمشي تصرفاتهم مع سياسة الدولة وتعاونها الصادق مع الحكومة وأجهزتها لتنفيذ تلك السياسة .

وقد كانت الحكومة الأستعمارية تنتهج سياسة خاصة نحو إدارة مديريات السودان الجنوبية فقد سمحت لتلك الأرساليات التبشيرية بالقيام بكثير من الأعباء والمسؤوليات التي كان مفروضاً أن تقوم بها الحكومة كالتعليم والخدمات الاجتماعية ..

وكانت تتسلم المساعدات المالية السخية من خزينة الدولة مقابل قيامها بهذه الخدمات المختلفة ، الشيء الذي حقق السياسة المرسومة والمتفق عليها بين الهيئات التبشيرية الأجنبية .

والحكومة الأستعمارية لإنتشار وترسيخ نفوذ وسيطرة هذه الأرساليات بين المواطنين في تلك المناطق إذ أدت الأعمال التي يقومون بها — وهي خارج نطاق أعمالهم الإنسانية الخاصة بالتبشير والدعوة إلى الدين المسيحي — أدت هذه الأعمال إلى احساس الأهالي بالجنوب بأن المبشرين الأجانب يعملون لصالحهم وتقدمهم في جميع المجالات ، كما ربى طول التمرس لهذه الأعمال في نفوس رجال التبشير الأجانب الإحساس بأنهم يمكنهم التحدث نيابة عن الأهالي ، وتولي رعاية شؤونهم من جميع الوجوه ، وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن السياسة البريطانية بالسودان كانت تعمل بكل خبث ودهاء

لفصل جنوب القطر عن شماله ، وقد تأكد أيضاً أنها كانت تعتمد اعتماداً كبيراً على هذه الهيئات التبشيرية كوسيلة فعالة لتمكين هذا المفهوم الاستعماري في أذهان الشعب هناك ، والعمل على تحقيقه بشتى الطرق والوسائل مستغلة في ذلك اختلاف المجموعات القبلية وتباين ثقافتها ، ولهجاتها المحلية أيضاً كانـــت تعتمد اعتماداً كبيراً على هذه الهيئات التبشيرية كوسيلة فعالة لتمكين هذا المفهوم الاستعماري في أذهان الشعب هناك ، والعمل على تحقيقه بشتى الطرق والوسائل مستغلة في ذلك اختلاف المجموعات القبلية وتباين ثقافتها، ولهجاتها المحلية وعقائدها وعاداتها المختلفة ، وإن من أسطع البراهين الكثيرة التي تدل في وضوح على استعمال الإدارة الإنكليزية للهيئات التبشيرية كأداة لخدمة السياسة العامة آنذاك هو ما جاء في تقرير الحاكم العام للسودان سنة ١٩٢٩ م . حيث قال ان الأرساليات هي أحسن قلعة لنا ضد الإسلام في الجنوب .

لذلك فقد وقفت الأرساليات المسيحية عقبه كأداء وأشواكاً في طريق الوعي الإسلامي والوعي الوطني في الجنوب وأخذت تعمل بكل ما أوتيت من قوة على طبع المجتمعات بالمديريات الجنوبية بطابع يختلف عن طابع أجزاء القطر الأخرى وترى الشعب هناك علىخصائصحضارية وثقافيةلاتتناسب والخصائص االأخرى السائدة في مجتمعات بقية القطر السوداني وترسم لها طريقاً يعرقل تقدمها بحيث لا يلتقي والطرق الأخرى المرسومة من قبل أبناء البلاد والموضوعة لتقدم جميع البلاد على السواء ولكن الأستعمار حال دونها ودون وصولها إلى لمناطق الجنوبية وأراد لهذه المناطق أن تتميز بالخصائص الآتية وسعى لحملها عليها بكل الوسائل وهي :

١ ــ ترك الاسلام والتدين بالمسيحية

٢ – محاربة اللغة العربية وحمل الناس على التحدث والكتابة باللغة الانكليزية

٣ – زرع الحقد في نفوس الوطنيين في الجنوب وتنمية الرعب في قلوبهم من ابناء الشمال وتربيتهم على كراهيتهم وعدم الثقة فيهم .

٤ – تجسيم الفوارق المميزة لسكان الجنوب عن سكان الشمال وتنمية الشعور فيهم بالكيان المنفصل عن إخوانهم سكان الشمال .

٥ – وضع مخطط لتكوين شخصية سياسية منفصلة لهذا الكيان حتى يكون دولة داخل دولة .

وبالجملة يمكننا أن نخلص إلى أن نشاط كل من الحكومة الإستعمارية والجمعيات التبشيرية كان أحدهما مكملاً للآخر ومتفقاً معه في الوسيلة والمقصد .

فقد اسندت الحكومة الى هذه الهيئات الأجنبية أعمالاً ليست من اختصاصها وأغدقت عليها الإعانات وأقطعتها الأراضي الشاسعة بأجور إسمية ، وسمحت لها بإقتناء البواخر النيلية والطائرات وبناء المطارات والأجهزة اللاسلكية وأعطتها مركزاً مرموقاً يوازي مركز الحكومة نفسها في السيطرة وإنشاء المشاريع لاحراز ولاء المواطنين وتوجيههم نحو هذه الهيئات التبشيرية حتى مكنها هذا التصرف وهذه المخططات من خدمة الاستعمار واستطاعت أن تنمي كينونة منفصلة ذات طابع خاص بالمديريات الجنوبية في السودان .

الحكم الوطني في السودان

ثم جاء الحكم الوطني بعد جهاد مرير قام به الشعب السوداني البطل ، فوجد الحال على ما هي عليه من تفكك المجموعات الوطنية ، وتباين في العادات والتقاليد ، ومشاكل الأعداء تركها لها الإستعمار ورجاله الأمناء من المبشرين الذين يسعون في الأرض التي يحلونها فساداً وتخريباً .

وكان من المنتظر أن تقوم الحكومة الوطنية بالخطوة الأولى للحد من نفوذ هذه الهيئات التبشيرية الهدامة بعد أن ثبت لها أن تلك الهيئات كانت تلعب دورها البارز الخطير في تنفيذ سياسة الإستعمار الرامية إلى تفتيت وحدة البلد الواحد واستمرت هذه الهيئات تخرب حتى زمن الحكم الوطني ، وينتقل المبشرون من مكان إلى آخر دون رقيب ولا حسيب ، إذ افترضت الحكومة فيهم حسن النية وصبرت عليهم وبقيت تعاملهم كأصدقاء ، وسمحت لهم برخص السلاح ووسائل الاتصال اللاسلكية ، وتساهلت إلى حد بعيد في أمر الحرية الدينية حتى كانت تسمح لموظفيها المسيحيين لا على رغبتهم ولكن استجابة لطلبات القسس — بالتغيب عن أعمالهم ووظائفهم لحضور « صلوات القديسين » ولكن هذا لمعروف لم يزد المبشرين إلا عتواً وضلالاً وكما قد قيل قديماً :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكتــــه وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فقد استمر هؤلاء المبشرون بالتمرد خاصة بعد أن استلمت الحكومة أمر التعليم من أيديهم ووحدت العطلة الأسبوعية فجعلتها الجمعة بدل الأحد فقد استغلوا إسم الدين في تحريض الطلبة ضد الحكومة كما حرضوا الموظفين ودعوا إلى الفوضى والعنف والتمرد على الحكومة الوطنية المسلمة وقد أُدين إثنان من القساوسة الكاثوليك هما « باترون » و « بنديت » حيث قُبضا متلبسين بجريمة تحريض الطلبة والموظفين ضد قرار توحيد العطلة الأسبوعية ثم تمادت هــذه الهيئات التبشيرية في إساءة الشعور العام ، ومخالفة القوانين ، وإمتهان مقدسات الغالبية العظمى للشعب السوداني المسلم .

واخيراً اضطرت الحكومة السودانية إلى ذلك القرار الحاسم القاضي بطرد (٣٠٠) ثلاثمائة مبشر من أراضيها بعد أن ثبت تخريبهم وإفسادهم في البلاد فقامت قيامة الدول الصليبية وعلى رأسها دولة الفاتيكان وأخذت الصحافة المسيحية تشنع على حكومة السودان ناسية أو متناسية الجرائم التي ارتكبها هؤلاء المبشرون في حق البلاد وأهلها .

وما ذكرته هنا من أعمال المبشرين قليل من كثير مما كان يجري في السودان العربي المسلم الذي نُكب بالاستعمار ورسل الإستعمار من المبشرين الذين بثوا سمومهم وخدعهم في كل بلد حلوا فيه باسم الدعوة إلى المسيحية وباسم الدعوة إلى يسوع ...

وما كان عيسى عليه السلام مخرباً وما كان دساساً وما كان مخادعاً ولكن كان رسول سلام ومحبة وعدل وتسامح فأين هؤلاء من المسيح ؟؟

محنة الإسلام في الحبشة ومخططات الاستعمار

كان للحبشة مع الإسلام والمسلمين تاريخ مشرق وضاح . ومن ؛ من المسلمين يستطيع أن ينكر فضل الحبشة على الإسلام والمسلمين . حين آوت هذه الدولة المهاجرين الأولين من حملة هذا الدين . ومن صحابة سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ولقد استمرت هذه العلاقات الطيبة دهوراً طويلة لم يعتورها التبدل والتغير ؛ والمسلمون منذ القديم يذكرون بالإعجاب والفخر موقف النجاشي من المهاجرين الصادقين الذين فروا بدينهم إلى هذه البلاد الحرة الطيبة ، وكل شيء منذ القديم يسير على خير ما يرام ؛ حتى جاء الإستعمار وبدأت أصابعه تلعب في مقدرات الشعوب والأمم الإسلامية ، وتحرك هذه الأصابع في السر والعلن كل من تستطيع تحريكه من رجالها وعملائها وتضع المخططات وتدبر المؤامرات لمكافحة الإسلام وطمس معالمه ، ومحاربة رجاله ودعاته ؛ في كل مكان وفي كل ميدان أيضاً ، ولقد أصاب مسلمي الحبشة النصيب الأوفر من هذه المخططات وتلك المؤامرات — كان الله في عونهم — وأود أن أبين شيئاً من هذه المخططات ، مع فذلكة تاريخية مختصرة عن محنة الإسلام في هذه البلاد في العصر الحديث فأقول وبالله التوفيق :

أما في العصر الحديث فكانت قبائل «الجالا» قد دخلت في الأسلام وأصبح لها مركز قوي في البلاد بسبب الصراع القائم بين ملوك الأقاليم من المسيحيين وكان الإسلام في عام ١٨٢٠ م قد انتشر في معظم أنحاء الحبشة وبُنيت المساجد والجوامع وتكونت حلقات العلم الغاصة بطلاب العلم وفي عام ١٨٥٥ م ثار زعيم صليبي من الأحباش وتلقب باسم«تيودروس»واغتصب الملك بمساعدة الانكليز وألغى الأمر الخاص بمنع دخول المبشرين الأجانب فتوافد إلى الحبشة عدد كبير من القساوسة الانكليز والضباط المحاربين والتفوا حول هذا الملك فأعلن منع الإسلام من الحبشة نهائياً وأنذر المسلمين بالتنصر أو مغادرة البلاد وحظر عليهم مزاولة الشعائر وجازى من خالفه بقطع أيديهم وأرجلهم وأحرق بعضهم بالنار وهم أحياء وقد استشهد مئات الألوف من المسلمين في تلك المأساة وخرج البعض عن بلده وأملاكه فراراً بدينه .

وعدد المسلمين في الحبشة يقدر بأربعة عشر مليوناً على وجه الإختصار لأن عدد المسلمين قد ازداد في الحبشة بعد أن اعتنقت قبيلة « الجالا » الإسلام والتي يقدر عددها بستة ملايين نسمة كما جاء في دائرة المعارف الفرنسية « للمسيو بنيه » وبعد أن أضيفت إمارتا جما وكافا في الجنوب وإمارتا هرر وأوسا في الشرق إلى الحبشة .

ثم نشب بين تيودروس وبين الحكومة الفرنسية والانكليزية خلاف فأرسلت إليه الملكة فكتوريا حملة عسكرية فقتل سنة ١٨٦٨ م وأقام الانكليز مكانه ملكاً صليبياً آخر شديد الحقد على الإسلام باسم«يوحانس»سار على منواله في محاربة الإسلام وشنق العلماء ، وقطع أطرافهم وهم أحياء إمعاناً في التعذيب وفي عام ١٨٧٨ م أعلن منع الإسلام في الحبشة ومصادرة أملاك المسلمين وطردهم فتنصر بعض ضعفاء الإيمان وهاجر عدد ضخم منهم إلى السودان وكانت الحركة المهدية قد قامت في ذلك الوقت .ففي ١٨٨٩ م زحف عدو الله «يوحانس» على السودان بقصد القضاء على الحركة المهدية عملاً بنصيحة الإنكليز

فهجم على مدينة «القلابات» بجيش كبير يقدر بثلاثمائة الف مقاتل ، وكاد يظفر بالمعركة ولكن الله انتقم منه شر انتقام فأُصيب برصاصة طائشة فقتل وتفرق جيشه . وقطع رأسه ، ونقل إلى عاصمة المهدي ، ثم خلفه على العرش صليبي يدعى «منيلك» نحا نحوه ، في إضطهاد المسلمين وظلمهم وفي سنة ١٩١٣ م اعتلى عرش الحبشة رجل ينتمي إلى المسلمين وساس الملك بحكمة وعدالة ومساواة بين المسلمين والنصارى وكانت الحرب العظمى الأولى قد قامت فاتهمه القساوسة بالميل إلى الأتراك المسلمين ، ومناصرة قضيتهم ، فطلبوا من الحلفاء المستعمرين السلاح والعتاد ثم ثار القساوسة في وجه الملك وأفتوا بخلعه سنة ١٩١٦ وأقاموا جيشاً بقيادة الرأس (تفري) وهو الملك الحالي هيلا سلاسي فتم لهم طرد الملك الشرعي العادل وتنصيب هيلاسلاسي بعد أن قتل من المسلمين المناصرين للملك ماينوف عن ٢٥٠ الف شخص وحكم هيلاسلاسي البلاد حكماً تتجلى فيه الاضطهادات الدينية ، والتضييق على المسلمين .

وألغى الإمارات الإسلامية المستقلة وضمها إلى مملكته ونصب عليها أمراء مسيحيين وبنى كنائس عديدة وانتزع الأراضي من المسلمين وسلمها للمسيحيين حتى وقع عليه الهجوم الفاشي الإيطالي وخرج من البلاد لعدة أعوام وتنفس المسلمون الصعداء خلال ا لحكم الإيطالي بما أقره الإيطاليون من المساواة ومنع التعرض للمسلمين فأنشأ المسلمون عدداً من المدارس والمساجد ، وكونوا جمعيات سياسية ومجلساً إستشارياً أعلى يتولى معالجة شئونهم فاعترفت به الحكومة الإيطالية ، إلا أن الوقت لم يطل فنشبت الحرب العظمى الثانية فرجع هيلاسلاسي في ٥ مايو ١٩٤١ م في ركاب الجيوش الانكليزية المنتصرة على إيطاليا في الحبشة وبرجوع هيلاسلاسي انطلقت الكنائس لا عن التسامح والأخوة بل مسفرة عن الحقد والكراهية وشهوة الإنتقام ، وبانطلاقها إنطلقت كل الأشياء التي كانت تجعل من المسلمين عدواً لدوداً وخصماً يجب البدء به ، ومناجزته قبل كل شيء فأزيحوا عن الوظائف التي كانوا يشغلونها أيام الايطاليين ، وسرح الجند منهم ، والشرطة ، وصودرت الأملاك من جديد حتى تلك التي وهبتها

الحكومة الإيطالية عوضاً عمن لحقتهم خسائر مادية في الحرب ، وجرى مطالبة ملاك الأرض بضرائب السنوات الخمس التي عاشتها البلاد تحت الحكم الإيطالي وعندما عجز الأهالي عن الدفع استولت عليها الحكومة ووزعتها على المسيحيين ، ثم عزل سكان المدن من المسلمين عن سكان الريف وحرم على أهل المدن الإنتقال إلى القرى والأرياف إلا باذن خاص كما عزلت المديريات بعضها عن بعض ، وحرم على علماء المسلمين مزاولة الوعظ والإرشاد ، وأغلقت المدارس الإسلامية التي تدرس اللغة العربية ، والدين الإسلامي ومنع أبناء المسلمين من السفر إلى الخارج لتلقي العلوم والمعرفة منعاً باتاً ، وعوقب الذين خالفوا هذه الأوامر بعقوبات صارمة كما منع دخول بعثات إسلامية إلى الحبشة من البلاد العربية والإسلامية وإلى جانب ذلك أفسح المجال لرجال الكنيسة والمبشرين المسيحيين الأجانب من كافة دول أوربا وأمريكا أن يجوسوا خلال الديار ويفتنوا المسلمين عن دينهم ويكرهوا الفقراء منهم وأبناء البادية على التنصر تحت ظروف قاهرة هيأها الحكم الصليبي الغاشم وأخذت أوقاف المساجد وضمت إلى الكنائس وأقيمت محاكم للتطهير واعتقل الآلاف ووضعوا في معسكرات التعذيب واعتبرت الحبشة منطقة مفتوحة على مصراعيها لكل أنواع التبشير المسيحي من أرثوذكسي وكاثوليكي وبروتستانتي ما عدا الإسلام فإنه محرم وقد أعطى المبشرون المسيحيون صلاحيات لمطاردة الأشخاص الخطرين يريدون بذلك علماء المسلمين وهذه هي سياسة الحبشة الصليبية وقد أبان رئيسها عن هذه الخطة الرامية لمحو الإسلام واللغة العربية من الحبشة عندما خطب في الكونجرس الاميركي عند زيارته لها سنة ١٩٥٤ م حيث قال : إن أهم الأهداف التي نسعى إليها هو توحيد الدين واللغة في بلادنا وبدون ذلك لا يمكن أن نحقق شيئاً من التقدم ، وقد سئل عن عدد المسلمين في بلاده فقال نعم توجد هناك أقلية مسلمة في الجنوب في (هرر) وقد وضعنا لها برنامجاً منذ إثني عشر عاماً فلا يمضي وقت قصير إلا وعادت إلى حظيرة دين آبائها .

ونقول إذا كانت هذه إرادة سبط يهوذا وحامي المسيحية في الحبشة فهل يمكن التنبؤ بما قد يصيب الإسلام في الحبشة في المستقبل من المصير السيء الذي لا يعلم مقداره إلا الله ؟

إن الإسلام في الحبشة يستهدف الآن لحرب خطيرة اشتركت فيها شعوب مضللة ، وحكومات حاقدة على الإسلام ، والتقت كل تلك القوى الغاشمة في طريق الكيد للإسلام وإن تحالفها لا يبغي شيئاً سوى إزهاق الإسلام وانتقاض أطرافه .

وأخيراً ضمت الحبشة إليها ظلماً وعدواناً بلاد أرتيريا المسلمة وأهلها اليوم في حرب وجهاد مع الحبشة المعتدية المغتصبة والله ينصرهم ويؤيدهم .

إن جهوداً صليبية قد تعاونت الآن في الحبشة لإنجاح الغزو الصليبي في تلك البقعة الإسلامية التي وطئتها أقدام الصحابة الكرام في هجرة الحبشة وان المبشرين يتسابقون إليها من جميع أنحاء العالم بحرص وشغف فالحبشة قد امتلأت ببعوث وأديرة ومدارس تنصيرية يشترك في تمويلها أهل السويد ، والنروج ، والنمسا وإيطاليا ، وفرنسا وبريطانيا ، وكندا وذلك إلى جانب جهود أمريكا الضخمة والصهيونية العالمية التي تآخت مع الحبشة .

إن المال والعلم وصنوف المؤيدات العلنية والخفية قد تآمرت جميعها ضد أربعة عشر مليون مسلم من الأحباش والذين يراد طيهم في أكفان الموت إن لم يقبلوا التنصير ، وإن المسلمين هناك واضعون أقدامهم على فوهة القبور إن لم يجدوا عوناً من العالم الإسلامي والعربي والله المستعان[1] .

---

(١) من اراد الوقوف على الحقائق الراهنة التي يقاسيها المسلمون في الحبشة من الفظائع والاضطهادات فعليه بمطالعة كتاب (الاسلام الجريح في الحبشة) تأليف ابو أحمد احد المكافحين الاحرار من ابناء المسلمين في الحبشة .

إثارة النعرات الطائفية

لم يكتف الاستعمار الغادر من إثارة النعرات القومية والعصبيات الجاهلية في عالمنا الإسلامي ، حيث أثار القومية الطورانية في تركيا ، والقومية الفارسية في إيران ، والقومية العربية في البلاد العربية ، والقومية البربرية في المغرب ، والقومية الباكستانية في باكستان ، والقومية الجاوية في أندونيسيا ، وكل هذه النعرات وغيرها في ديار الإسلام رعاها الاستعمار وغذاها رجاله وأعوانه ليهدم بها بنيان الإسلام الشامخ ويمزق شمل المسلمين ويشتت وحدتهم التي كانوا عليها ووقفوا جميعاً ضد الاستعمار ومناقشتي للقومية العربية في أول كتابي هذا وقولي بأن العرب في شقاق دائم ما لم يعودوا إلى الإسلام ، يشمل كل دعوة إلى القومية في أي بلد إسلامي ، وكل دولة إسلامية انحرفت عن الإسلام، وتركت مبادئه ، وأحكامه ، ودعت إلى القومية فستكون في شقاق وشقاء حتى تعود إلى الإسلام والاستعمار الغادر لم يكتف بإثارة هذه النعرات والعصبيات بل تعداها إلى إثارة النعرات الطائفية ليمزق بها شمل الأمة الواحدة في البلاد الواحدة ، إلى طوائف متعددة ثم يؤلب كل واحدة منها على الأخرى بأسلوب ماكر خبيث حتى يتركها تتقاتل وتتخاصم وتسعى كل منهما لهدم بنيان أختها وشقيقتها على حساب الاستعمار والصهيونية الكافرة التي تتعاون معه إلى أبعد الحدود في هذا السبيل وتغذي هذا الخصام وتنميه وتنفق عليه الأموال الطائلة والجهود الجبارة .

وأود أن أضرب المثل من بلادي الحبيبة العراق فقد دخل الاستعمار إلى العراق ، والعراقيون جميعاً يد واحدة وجسم واحد وروح واحدة . وحينما اشتعلت الثورة العراقية في جنوب العراق ضد المستعمر الغاصب تجاوب معها الشمال فثار ضد الانكليز ، وكان الأكراد مع العرب ، والسنة مع الشيعة والتركمان مع بقية الطوائف العراقية الجميع يقاتلون عدواً مشتركاً هم الإنكليز

الغاصبون ، ويقف العراق في صف متراص ضد هذا المستعمر الكافر ، حتى أتعبه العراقيون ولقي من قوة بأسهم وشدة شكيمتهم ما أعجزه عن حكمهم بطريقة مباشرة فسلم الأمر إلى من يثق بهم ويعتمد عليهم من رجال العراق ، فصفا له الأمر وأخذ ما يريد . ثم أخذ يعمل على زرع بذور الطائفية المقيتة . ويعمل على سقيها وتنميتها يعاونه رجال منا . يتكلمون بألسنتنا ولكنهم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، وقد نجح إلى حد كبير في هذا المخطط الخبيث إذ قامت الدعوة إلى الطائفية وتبناها رجال من هنا وهناك . عاشوا على فتاتها النتن وارتقوا إلى أعلى المناصب في الدولة ولكنهم نحروا الإسلام الذي كان يجمع بين السني والشيعي وهما أخوان بأخوة الإسلام وكانا إلى عهد قريب يقاتلان جنباً إلى جنب عدواً واحداً هو الإستعمار ورجاله ، أما اليوم فنحن مشغولون بمقاتلة بعضنا للبعض الآخر حتى قامت الثورات في الجنوب كما قامت الثورات في الشمال وذهب ضحيتها الآلاف المؤلفة من رجال العراق وشبابه نتيجة لهذه المؤامرة الصليبية في تفريق كلمة المسلمين ، وتمزيق وحدتهم التي نص عليها كتاب الله حيث قال : «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» وقال: «إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله» ثم جاء حكم قاسم العراق الأرعن فزاد الطين بلة . ومزق ما بقي من خيوط كانت تجمع بين المتفرق وتوحد بين المختلف ، والعراق اليوم لن يصلحه إلا العودة إلى الإسلام ، ولن يستقر له حال حتى يعود إلى حكم الله .

إذ ينضوي تحت لواء الإسلام السنة والشيعة والأكراد والعرب ويصبحوا جميعاً إخوة في الله توحد بينهم كلمة التوحيد التي تدعوا إلى وحدة الكلمة ، وكل دعوة غير الدعوة الإسلامية ستفشل ويبوء أصحابها بالخيبة والخسران .

وفي لبنـــــــان

وأود أن أضرب مثلاً آخر من لبنان فقد عاش النصارى في القديم مــع المسلمين أهنأ عيش وأصفاه وأرغد حياة وأسماها ، حتى جاءهم الإستعمار الغادر وإذا به يثير النعرات الطائفية ، ويفرق كلمة أصحاب الوطن الواحــد ويؤلب هذا على ذاك ، وذاك على هذا ويثيرها حرباً طاحنة بين هذه الطائفة وتلك ، ولا يتورع عن إسالة الدماء في الفتن العمياء التي يثيرها بين الجار وجاره والصاحب والصاحب .

ولكن المؤسف حقاً أن يجد له أعواناً وأنصاراً يغرهم الدرهم والدينار ، وتعميهم العصبية البغيضة فيأخذون المعاول لهدم بنيان أوطانهم بأيديهم .

ومن المؤسف أن نقرأ ونحن بصدد طبع هذا الكتاب حملة لأحد الآبـــاء اليسوعيين في بيروت من هذه الحملات التي يشنها الإستعمار ويغذيها في كل حين .

قالت جريدة المجتمع الغراء في عددها الحادي عشر الصادر في ١٢ رمضان سنة ١٣٨٤ والموافق ١٥ ـ ١ ـ ١٩٦٥ إذ نشرت مقالاً تحت عنوان : الفتنة نائمة لعن الله موقظها للكاتب الشاب المؤمن الاستاذ إبراهيم المصري قال فيه : منذ أيام عمدت صحيفة أسبوعية إلى ما يسمى في عالم الطب عملية « قحط » لدماغ إنسان ، وخرجت بأشياء وأشياء مما استطاعت أن تسود به صفحتين كاملتين ولو اتسع المجال لنقلنا إلى قرائنا بعضها ولكننا نكتفي بـ « عينات » علها تعطي فكرة واضحة عن الموضوع قال الأب اليسوعي في مقاله :

« أي مصلحة تربطنا بالدول العربية : لبنان ليس عربياً ولم يكن على مر التاريخ عربياً مطلقاً .. لبنان ذو وجه عربي فقط ثم قال : طائفة المسلمين هم

الذين يتأثرون بتيارات تأتي من وراء الجبال ووراء البحار وتسمم أفكارهم ومعتقداتهم .. هذه الطائفة هي التي نخاف منها » .

هذا ما قاله الأب اليسوعي العميل للاستعمار الفرنسي والآباء اليسوعيون يعرف الناس اتجاههم الفرنسي وارتباطهم بعجلة الاستعمار الغربي .

ومثل هذا الكلام يدفعه الإستعمار ويدفع له الثمن المطلوب .

ثم قال الكاتب المسلم وفقه الله : « ولا يسعنا أخيراً إلا أن ننبه إلى أن القضية ليست مجرد صدفة عابرة ، وأن مخططاً تخريبياً تبدو ملامحه في الأفق فقد عمدت إحدى الصحف على نشر أبحاث تنفي وجود شخصية (نوح) ثم نفت (أسطورة) « موسى » لتصل بنا بعد مدة إلى عيسى ومحمد عليهما السلام , كل ذلك باسم العلم والبحث العلمي وآخر ما صدر عنها بحث يدور حول ثبوت القرآن والأناجيل ، لرجل خرف تلف يدعي العلم والبحث العلمي وهو أبعد ما يكون عنهما .

ثم قال : إننا نحذر وننذر . . عسى أن يكون في هذا تذكرة لمن في قلبه مرض .

هذا شيء يسير مما يفعله الإستعمار الخبيث في مخططاته لإثارة النعراوت الطائفية وتفريق الكلمة وتمزيق وحدة الأمة الواحدة ، فهل ينتبه المسلمون ومن يعنيهم الأمر ، إلى مثل هذه المخططات المجرمة التي تطبخ هناك ويؤتى بها إلى هنا وهي تحمل السم مع الدسم فيأكلها الناس ليتسمموا بها ؟

ألا قاتل الله الاستعمار ورجاله وأنصاره في كل زمان ومكان .

شهـــــادة قيمـــــــة

رحم الله شاعر الإسلام الكبير محمد إقبال فقد كان مسلماً حكيماً ، ومفكراً كبيراً ، وتقياً ورعاً يستلهم معانيه من ورعه وتقواه فينطق بالحق ويدعو إلى الحق ، ويحب أهل الحق ولقد قرأت له مؤخراً كلمات مقتطفات من بيان له عن الإسلام والقومية ، نُشر باللغة الإنكليزية وقد ترجم إلى العربية ونشرتـــه مجلة رابطة العالم الإسلامي في عددها الأخير الصادر في شوال سنة ١٣٨٤ الموافق لشهر شباط فبراير سنة ١٩٦٥ ورد ضمن مقال للأستاذ حميد الإسلام الجعفري

ولقد وددت أن أنقل قول هذا الشاعر الفيلسوف المسلم لارتباطه بما أنا بصدد بيانه من مخططات الإستعمار ومكايده لمكافحة الإسلام قال إقبال رحمه الله .

لقد هاجمت فكرة القومية منذ الأيام الأولى التي لم تكن فيها القوميـــة معروفة في الهند أو في العالم الإسلامي . ومنذ البداية شعرت بوضوح من خلال قراءاتي لكتابات المؤلفين الأوروبيين بأن خطط أوروبا الاستعمارية كانت تهدف إلى الدعوة للقومية لتفرقة صفوف الناس ، لأن ذلك سلاح فعال كانوا في أشد الحاجة إليه .

واقتضت هذه الحاجة الدعوة إلى مبادىء القومية حسب ما جاءت بـــه أوروبا في البلاد الإسلامية من أجل تحطيم الوحدة الدينية القائمة بين المسلمين .

إن الظروف أجبرت علماء المسلمين المعاصرين ليقولوا أشياء ، وليقوموا بتفسير القرآن بطريقة لم يقصدها النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن أن تكون هكذا. من منا لا يعرف بأن إبراهيم كان أول من نادى بتحطيم الفوارق بين الأمم والشعوب وإزالة الحدود ؟

فالبشرية كانت منقسمة إلى قسمين المؤمنون بآله واحد والمشركون ، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن تعتبر البشرية مقسمة إلى أمتين لا ثالث لهما .

وإن أولئك الذين تدثروا برداء القومية لا يفكرون بالدعاء الذي كان يقوله اللذان أتيا بهذه المنة عندما كانا يقومان ببناء أسس الكعبة .

« وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » .

بعد أن أطلق الله سبحانه لقب الأمة المسلمة على أمة الإسلام لنا أن نتساءل هل بقي هناك من داع لكي نجعل من أمتنا أمماً أخرى حسب القوميات التي انضمت إلى حظيرة الإسلام .

إن هناك ملة واحدة تواجه المجتمع الإسلامي . وهذه الملة تتمثل في المجتمعات غير الإسلامية مأخوذة ككل ، والواقع لا توجد قوة موحدة في الكون كله سوى عقيدة الإسلام ، وهذا يؤكد تماماً بأن فكرة القومية حسب ما جاء بها الغرب هي فكرة غريبة على المسلمين . قال الله تعالى في كتابه العزيز « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » .

إن تحقيق حلم المسلمين القديم في إيجاد دولة إسلامية واحدة تمتد من لاهور إلى القسطنطينية لا يتم إلا على أيدي المسلمين أنفسهم على شرط أن يعتبروا أنفسهم مسلمين أولاً وآخراً فلنرجع إلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولنرجع إلى أيام الخلافة الأولى »

انتهى مترجم عن الإنكليزية ثم قال كاتب المقال السيد الجعفري :

«إن القومية التي هي الصنم الأكبر في العصر الحديث تنادي بعبودية أرباب متفرقة في عالم الإسلام بدلاً من الوحدانية الحنيفة التي جاء بها إبراهيم أبو الأمة المسلمة ورافع البيت الحرام في مكة .

غير أن نداء الإسلام قد تردد صداه في أرجاء المعمورة ووجد صدى عميقاً في المجتمع الإنساني ، فهو ليس دين العرب وحدهم أو دين الفرس وحدهم ، وليس هو مقتصر على الجزيرة العربية أو فارس وآسيا أو أوروبا وحدها بل هو بركة ورحمة لجميع الناس من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب في جميع الأزمان وفي كل مكان . لذلك فحدود الإسلام تمتد حيث يوجد المسلمون وأينما وُجد المسلمون توجد دار الإسلام وقومية المسلمين هي القومية الإسلامية ، ولن يكون في مقدور أية قوة أن تجعل منهم شيئاً آخر غير الإسلام .

إن وحدة عالم الإسلام وترابطه المتين هو الأمر الذي لا يستطيع تصوره أنصار القومية في حدودها الضيقة وفي فهمها المحدود هي على النقيض من تعاليم الإسلام الواسعة الشاملة في مفهومها .

فالمسلم هو المسلم أولاً وآخراً . وهو ليس شيئاً آخر على الإطلاق فالمسلم ليس عربيا أو فارسياً أو تركياً أو هندياً . إنما هو مسلم . . وجميع المسلمين ينتمون إلى أمة واحدة هي أمة الإسلام . » انتهى .

هذا هو شعور الإسلاميين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها : وهذا هو الإسلام في مفهومه الواسع . وحدوده المشرقة . فمن خدعه بهرج الغرب وسار في ركاب الدعاة إلى القومية أو العنصرية أو الطائفية ، ممن خدعوا بمخططات الإستعمار فساروا في خدمته من حيث يشعرون أو لا يشعرون لأننا نجد كثيراً من دعاة القومية يحاربون الإستعمار . ويحملون له الكراهية والبغضاء وهم مخلصون في وطنيتهم ويحبون الخير لبلادهم وأمتهم . ولكن مع مزيد الأسف أخطأوا الطريق حينما تنكبوا عن الإسلام وحادوا عنه إلى الدعوات الأخرى المفرقة التي لم تزد الأمة إلا بلاءً وشقاءً ولقد مرت على البلاد العربية وعلى غيرها تجارب قاسية عل الله يجعلها سبيلاً إلى وعي إسلامي شامل يعيد الأمة إلى رسالتها ويسلمها زمام القيادة في العالم حتى تعود إلى سابق عزها

وبجدها حينما استمسكت بهذه الرسالة الربانية السامية :

قال تعالى :

« إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

وشهادة الشاعر الفيلسوف المسلم محمد إقبال لها قيمتها ويجب أن يعتبر :
كل عربي بل كل مسلم دعا إلى قوميته أو عنصريته فإقبال عالم كبير وشاعر من أكابر شعراء العالم ومفكر له وزنه في تاريخ الفكر الإسلامي ومع كل هذا فإنه قد درس في الغرب وأخذ شهادة الدكتوراه من الإنكليز وقد خبر الغربيين عن كثب وعرف الكثير عن مخططاتهم ومؤامراتهم ضد الإسلام والمسلمين فإذا قال قولاً ففي قوله الحق والصدق رحمه الله وجزاه عن الإسلام خيراً .

هـــــل تعـــــلم؟!

أن أغنى دولة في العالم هي دولة « الفاتيكان » التي يرأسها البابا وهو يجمع بين السلطتين الدينية والزمنية . وأن النصارى الكاثوليك في العالم كلهم يتبعون هذه الدولة ؟

* وأن خمسمائة مليون دولار موضوعة تحت تصرف البابا لرعاية شؤون المسيحية والتبشير بها في ديار الإسلام ووضع المخططات لمكافحة الإسلام في كل مكان ؟

* هل تعلم أن « اسرائيل » اسم للنبي « يعقوب » باللغة العبرانية وهو نبي بني اسرائيل وأن هذه الدولة لمجرمة ربيبة الاستعمار وقدمه في ديار الإسلام أبت إلا أن تسمي نفسها تسمية دينية وتنتسب إلى نبيها « دولة إسرائيل » ؟

* ومع مزيد الأسى والأسف أن بعض رؤساء الدول الإسلامية يخشى ويخجل من التصريح بالإسلام أو الانتساب إلى الإسلام فضلاً عن أن يسمي دولته « الدولة المحمدية » أو الدولة الإسلامية ، وهذا هو الدبور . وهذا هو التخلف والشرور .

* هل تعلم أن عشرين مليون جنيه تخصصها إسرائيل سنوياً لإفساد ضمائر العرب وإثارة الفتن في أوساطهم وبث الجواسيس والهدامين في بلادهم ، وزيادة الاضطرابات ، وتنمية الخلافات بين الدول العربية .

* هل تعلم أن القرار المسكوني الذي صدر هذا العام بتبرئة اليهود من دم المسيح

عليه السلام كان أكبر وصمة عار على هذا المجمع وأن القرار كان بمؤامرة يهودية ضد المسيحية والإسلام معاً .

* هل تعلم أن مؤتمراً مسيحياً خطيراً عُقد في ادنبرج سنة ١٩١٠ وكان للمسائل الإسلامية الحظ الأوفر من مداولات أعضاء هذا المؤتمر وأن لجنتين من أهم لجانه تفرغت إلى البحث في أمر الإسلام والمسلمين ؟!

* وإن أعمال هذا المؤتمر ومناقشاته نشرت في تسعة مجلدات حفظت في دوائر التبشير المسيحي في طي الكتمان وبقيت سرية إلا على رجالهم وكنائسهم ؟!

* هل تعلم أن ثلاث مجلات مهمة تصدر منذ عشرات السنين لخدمة التبشير والمسيحية والمجلات هي .

واحدة ألمانية وهي : « مجلة الشرق المسيحي » التي تصدرها جمعية « التبشير الشرقية الألمانية » .

والثانية إنكليزية وهي « مجلة العالم الإسلامي » المعروفة .

والثالثة سويسرية وهي مجلة :«إرساليات التبشير البروتستانتية» التي تصدرها جمعية التبشير في مدينة بال في سويسرا ؟!

* هل تعلم أن مؤتمر أدنبرج هذا كان فيه ١٢٠٠ ألف ومائتا عضو بينهم ٥٠٢ من الأنكليز و ٥٠٥ من الامريكان ومن مندوبي التبشير الامريكيين المستر «روزفلت» رئيس جمهورية أمريكا السابق لكنه أرسل رسالة اعتذر فيها عن عدم تمكنه من الحضور والباقون من مختلف الدول المسيحية وكلهم من كبار رجال المسيحية في العالم ؟! .

* هل تعلم أن المجلة الألمانية آنفة الذكر نشرت تقول :

إن إرساليات التبشير الانكليزية والأيرلندية تنفق في السنة ٢,١٠٠,٠٠٠ جنيه في سبيل التبشير ومكافحة الإسلام وأن جمعيات التبشير الأمريكية والكندية تنفق ٣,٠٠٠,٠٠٠ جنيه لنفس الغرض .

وجمعيات التبشير الأوسترالية والأفريقية والآسيويةوالهندية تنفق ٣,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ، وما تنفقه جمعيات التبشير البروتستانتية في باقي القارة الأوروبية يبلغ ١,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وأرجو أن ألفت نظرك أيها القارىء الحبيب إلى أن النفقات كلها من جمعيات أهلية وليست حكومية أما نفقات الحكومات النصرانية فتبلغ ملايين الملايين .

* هل تعلم : أن المجلة التبشيرية الألمانية نشرت أن عدد جيش المبشرين البروتستانت فقط يبلغ ٩٨,٣٨٨ ألف مبشر تعضدهم لجان يبلغ عدد أعضائها ٥,٥٠٠,٠٠٠ شخص ؟

ويبلغ عدد النساء والرجال من موزعي التوراة الذين يشتركون في التبشير والمواعظ ٩٢,٩١٣ ألف وعدد المعاهد الكنسية ١٦,٦٧١ ألف معهداً .

* هل تعلم ؟ أن تحت سلطة التبشير والمبشرين أكثر من خمسمائة جامعة وكلية ومعهداً ، وأن عدد الذين يشرف عليهم المبشرون في توجيههم وتعليمهم من أبناء المسلمين أكثر من ٥,١٩٠,٦٠٠ حسب إحصائهم الرسمي وتقاريرهم الخاصة .

* هل تعلم أن لدى المبشرين ٤٨٩ مدرسة دينية لتعليم اللاهوت النصراني وتخريج المعلمين والمبشرين وهي تهيمن على ٢,٥٩٤ مدرسة ثانوية ، كما تهيمن على ٨٣,٩٠٠ مدرسة إبتدائية ، عدا عن أنهم يديرون ١١١٣ مدرسة مما يسمى روضة أطفال .

* هل تعلم أن الإرساليات التبشيرية أقامت في بضعة سنوات ٥٥٠ مستشفى للرجال والنساء وأسست ١٠٢٤ صيدلية لتوزيع الأدوية بالمجان وتوزيع الصلبان والأناجيل معها للمسلمين فقط .

ولهذه الإرساليات ١١١ مجلساً طبياً و٩٣ جمعية للممرضات و ٢٦٥ ملجأ للأيتام واليتيمات و ١٢٠ ملجأ للبرص ومثلها للصم البكم ، و ١١٥ مدرسة

للعميان و ١١٣ مستوصفات لمدمني الأفيون و ٨٥ ملجأ للأرامل وفي مكامن هذه المشاريع الانسانية في الظاهر يعشعش التبشير ويفرخ ويبيض .

* هل تعلم أن المعاهد والمدارس التي أسسها المبشرون في ديار الإسلام كان لها الأثر الأكبر في استعمار ديارهم ولقد اتفقت كلمة سفراء الدول الكبرى المستعمرة على أن معاهد التعليم الثانوي التي أسسها المبشرون قديماً في اسطنبول عاصمة الخلافة الاسلامية كان لها الفضل في حل المسألة الشرقية كما يسمونها وأنها قامت بأعمال تفوق الأعمال التي قامت بها دول أوروبا كلها ؟! .

* هل تعلم أن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الهدامة التي أُنشئت في تركية لهدم الخلافة الإسلامية ومحاربة الإسلام ومكافحة دعوته.رجال هذه الجمعية من خريجي المدارس التبشيرية في إسطنبول ومن الطابور الخامس الماسوني الذي أنشأه اليهود المجرمون ؟! .

* هل تعلم : أن لدى أمريكا آلاف المدارس تسمى بمدارس «الأحد» يذهب إليها طلاب الإبتدائيات صبيحة كل (أحد) وليس لهذه المدارس مهمة إلا تشويه الإسلام وتبديل حقائقه وبث الرعب في نفوس الطلاب من الإسلام والمسلمين المتوحشين ؟! وقد زارها أحد الكتاب الإسلاميين الكبار وسأل زميلة له كانت تلميذة في الجامعة التي هو فيها وهي بنفس الوقت تدرس في هـــذه المدارس فلما سألها عن هول ما رأى من تشويه الإسلام وأين أنتم والإسلام قالت له بكل صراحة :

أقول لك بكل صراحة أن الإسلام دين زاحف ولو لم نحم أنفسنا منه بهذه الطريقة وتربية أجيالنا على التخويف منه إذن لزحف إلينا وأصبح يهددنا ويهدد مستقبلنا في بلادنا ؟!

* هل تعلم أن هناك إتحاداً بين الإستعمار الغربي والصهيونية العالمية يقوم على أساس مشترك ومن أهدافه تكوين محور اقتصادي بين العواصم الغربية وتل

أبيب ، وفي نفس الوقت مقاومة الإقتصاد العربي والإسلامي معاً ، وعلى رأس هذا الإتحاد أمريكا بكل قدراتها وطاقاتها المالية والحربية والتكتيكية والإقتصاد روح الأمم وحرب الإقتصاد العربي الإسلامي مخطط متفق عليه من المستعمرين واليهود ؟!

* هل تعلم أن الولايات المتحدة وحدها قد منحت إسرائيل اللقيطة منذ قيامها حتى اليوم بشكل قروض ومساعدات مجانية – أكثر من ثلاثة آلاف مليون دولار ، ولم تكتف أمريكا – الصديقة المزعومة للعرب – بذلك بل أنها تقيم كل أنواع الاتفاقيات السرية والجهرية حول تقديم المعدات والمعونات لحليفتها إسرائيل وعميلتها إسرائيل خاصة تقوية الجيش الإسرائيلي بحيث يصبح بنظرها أكبر قوة جبارة تهدد الأمن العربي ومن بعده الإسلامي وتضاعف حالة القلق في الشرق الأوسط .

وبعد ذلك تأتي بريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية وتعمل كلها في تقوية القدرة الحربية للجيش الإسرائيلي ومن الصعب تقدير الماركات والجنيهات الاسترلينية والفرنكات التي حولت من عواصم هذه الدول إلى الخزينة الإسرائيلية لضخامتها وجسامتها وكلها لصالح ربيبتهم إسرائيل ؟!

* هل تعلم أن لواء الصليبية في العالم القديم حملته فرنسا وحاربت بـه العالم الإسلامي مئات السنين ومن ورائها دول الصليب ، أما في العالم الحديث اليوم فقد حملت اللواء أمريكا فهي اليوم عدو الإسلام الأول ونصيرة اليهود الأولى .

* هل تعلم أن أول جمعية أسست للتبشير في العالم الإسلامي هي جمعية « لندنالتبشيرية » فقد أسست سنة ١٧٩٥ م وما عتمت أن تأسست جمعيات على شاكلتها في « اسكوتلندة » و « نيويورك » وانتشرت هذه الفكرة في ألمانيا والدانمرك وهولندة والسويد والنروج وسويسرا وغيرها من بلاد الغرب ؟

* هل تعلم : أن المبشرين الكاثوليك دخلوا ربوع أفريقيا منذ ما يقرب

من خمسمائة عام ، وبعد ذلك بكثير أخذت ترد إرساليات التبشير البروتستانية إنكليزية والمانية وكذلك إرساليات التبشير الفرنسوية ؟!

* هل تعلم أن ما يقارب من ثلاثة وأربعين ألف بروتستانتي يجوبون أقطار أفريقيا المختلفة ، ومعهم الدواء ، ومعهم الغذاء والكساء ومعهم الخبث والدهاء ومع كل هذا إن مجموع من يدخل في النصرانية في الأسبوع ٢ شخصان من الإفريقيين يقابله ١٥ خمسة عشر شخصاً يدخلون الإسلام ، وليس للإسلام دعاة ولا مبشرون ولا أطباء ولا خبراء ليس للإسلام إلا الله عز وجل وكفى به نصيراً وكفى به قديراً « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

الإســلام في أفريقيــا الغربيــة

وأفريقيا الغربية بلاد اسلامية منذ أكثر من ألف سنة وكانت في العصور الماضية جزءاً من أمبراطورية واسعة الأرجاء عرفت بأمبراطورية ، غانا ، وحين إشتد ساعد المسلمين كونوا إمبراطورية « مالي » في القرن الحادي عشر الميلادي وقد تداول على حكم تلك البلاد مسلمون كانوا دائماً على إتصال بالعــالم الإسلامي ، ولم تنقطع علاقاتهم السياسية والثقافية والإقتصادية مع الدول العربية في المشرق والمغرب ، وقد عرفت تلك المملكة ملوكاً عظماء اشتهروا بصلاحهم وقوتهم ومنهم « صنديانا » و « موسى كنكان» الذي عاش في أوائل القرن الرابع عشر ، ووطد دعائم الوحدة الإفريقية الإسلامية ، وفي عهــده توافد على تلك البلاد الكتاب والشعراء من العالم العربي وقد استمرت هــذه الإمبراطورية قائمة حتى القرن السابع عشر وحين بدأت طلائع الإستعمــار الفرنسي تتسرب إلى أفريقيا السوداء في منتصف القرن التاسع عشر ، هــب الملوك المسلمون يدفعون عن أوطانهم ودينهم بكل ما يستطيعون من قوة ، وكان أبرز هؤلاء الملوك في ذلك الحين الإمام « ساموري » ملك غينيا الــذي استمر يحارب االمستعمرين ثمانية عشر عاماً بلا هوادة ، رغم العروض والمغريات السخيةإلىأن أحاطت به الخيانات والمؤامرات الفرنسية ، وهدمت أركان دولته، ثم نفته فرنسا إلى سجن « أتغابون » في أفريقيا الإستوائية الفرنسية حيث مات هناك ومن كلماته الخالدة « إنني أعلم أن فرنسا أكثر مني مالاً وسلاحاً غير أنني سأحارب حتى أموت شهيداً ، وعلى الأجيال القادمة أن تعلم أنني لم أفرط في ديني وأوطاني » .

ومنذ انهيار الممالك في أفريقيا الغربية تحت ضغط الإستعمار الفرنسي ، عمد المستعمرون الجدد إلى إستئصال شأفة الإسلام ومحو حضارته وقطع كل علاقة كانت تربط تلك البلاد بالعالم الإسلامي .

ومع أن فرنسا تتشدق باحتضانها لمبادىء التحرر والمدنية إلا أنها حرصت على عدم تحضير السكان وتطويرهم ، وجعلتهم فرائس سهلة لبعثات التبشير الاستعماري كما حرصت على قمع كل حركة دينية واعية تستهدف تذكير الناس بماضيهم الزاهر أو تحاول إيقاظهم من غفلتهم وفتح عيونهم على ما يجري في العالم من حولهم ، لكي تبقى أقطار أفريقيا بقرة حلوب تحت يدها ومع كل هذا الطغيان الشرير فإن روح الإسلام استعصت على جهود المستعمرين وبقيت تسري في القارة السوداء ، والدليل على ذلك وجود الملايين من المسلمين المتمسكين بدينهم الذين يحنون إلى العالم الإسلامي ويتطلعون إليه بثقة وأمل ، ووجود المدارس الشعبية الدينية المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، مما يؤكد أنه بالرغم من المحاولات الإستعمارية المستمرة ، فإن مسلمي أفريقيا لم يعدموا على مر العصور رجالاً أشداء يعلون كلمة الله ويدافعون عن حرمات الإسلام .

لقد قسمت فرنسا أفريقيا الغربية منذ أن وطأت أقدامها تلك البلاد إلى ثمانية أقسام تقسيماً لا يبرره منطق ولا تاريخ اللهم إلا أهداف فرنسا البعيدة من تمزيق الجسم الواحد إلى أجزاء حتى يسهل عليها ابتلاعها والسيطرة عليها واخترعت لتلك الأجزاء أسماء ومسميات ما أنزل الله بها من سلطان وهي : السنغال ، والسودان الفرنسي ، غينيا ، هوت ، فولتا، شاطىء العاج، داهومي نيجر ، موريتانيا ، وكنت أود أن أتحدث باختصار عن كل جزء من هذه الأجزاء لنعطي فكرة موجزة عن عدد السكان ونسبة المسلمين فيهم وشكل الأحزاب والحركات السياسية ولكن هذا الكتاب لا يصلح محلاً لمثل هذا التفصيل وحسبي من القضايا الإشارة إليها والتنويه بها وبيان المخططات الإستعمارية حولها .

طريقة الغرب في الاستيلاء على الأمم

هذا نموذج من مخططات الإستعمار التي نبه عنها وكتب فيها ، أمير البيان « الأمير شكيب أرسلان » رحمه الله وجزاه عن جهاده ودفاعه عن الإسلام خير ما يجزي عاملاً عن عمله .

وقد كتب ما يأتي يقول :

غوليامو فريو ، الفيلسوف الكاتب الايطالي الشهير يعد اليوم النقريس الاكبر في علم الاجتماع والتاريخ لا في إيطاليا فحسب بل في أوروبا بأجمعها . وإذا كتب كتاباً أو نشر مقالة تجاوبت لها أصداء الشرق والغرب ، وتركت دوياً .

نشر الفيلسوف المؤرخ المشار إليه كتاباً أخيراً باسم « وحدة العالم » لا يزيد على مئات معدودات من الصفحات طاف فيه على جميع الحوادث الجارية على سطح الكرة الأرضية ، ودقق في مصادرها وأسبابها ، فذهب إلى أنها مع تناقضها وتصادم بعضها ببعض ، سائرة في الحقيقة على نظام ثابت مستقيم ، ووصل إلى هذه النتيجة وهي :

إن مشروع الفتح والإمتداد الذي يتابعه العالم المتمدن « أي الأوروبي » منذ أربعة قرون ، والذي بدأ بطيئاً وانقلب سريعاً في آخر الأيام ، يظهر للمتأمل أنه آيلٌ إلى « توحيد العالم الإنساني » . ولم يكن هذا « التوحيد » ليتم بدون جهد وبدون بلاء ، لأن البشر خلقوا أطواراً ، وبينهم من التدابر والتقابل ما يؤذن بالأخذ والرد والعكس والطرد ، وهناك أسباب عديدة للحب والبغض والقرب والبعد ، مع هذا كله تجد العالم سائراً إلى الوحدة فإذا نظرنا في كيفية النظام السائد الآيل إلى هذه الوحدة وجدناها .

بالانجيل ...

وبالسيف .

وبالإفناء .

وبتبادل المساعدات .

وبتبادل طلقات المدافع .

هكذا قدر البشرية وهو انه لا يمكن إخراج هذه « الوحدة » إلا من وسط المعامع والمعارك الفجيعة ، إلا أنها ستكون خيراً ثم ذكر فر يرو– تعزيزاً لرأيه – وجوه وحدة البشرية كلها وأبان أنها كلها مستحيلة ما عدا هذا الوجه الذي ذكره : الانجيل ، والمدافع ..

فقال : إن الوحدة لا تكون بتغلب أمة على أمة أو جنس على جنس بقوة الحكومة ولا يمكن أن يكون فرد واحد نسيداً للعالم كذلك الوحدة لن تكون بتوحيد اللغات فهذا غير ممكن ، ولن تكون بالعائلات المالية كالتجارة والصرف والصناعة ، فقد علمنا أن أصحابها لا يهتمون بالسياسة العامة إلا بالمقدار الذي يلزم لأشغالهم ، وطالما قال أناس أن المال هو الذي يدير شئون العالم لكنهم لم يوضحوا لنا كيف يديرها .

وعلى أنه برغم إختلاف العناصر واللغات وتصادم المجاري والمصالح وتعدد الحكومات والهيئات المدبرة للبشر ، نجد روح العالم سائراً من كل جانب إلى الوحدة ، فهذه الوحدة إنما تكون بنوع من الديموقراطية يسود على العالم ويقرب بين أجزائه بصورة غير محسوسة ! »

هذه خلاصة نظريات الفيلسوف الإيطالي فريرو ، وظاهر انه يقصد بالإنجيل « الثقافة الغربية » التي هي وحدها تمشي في آسيا وأفريقيا وفي يدها الواحدة « السيف » وفي الأخرى « ضماد للجرح » ، وهي وحدها التي تفتنّ في طرق إستئصال البشرية ، وفي طرق توفير صحة البشر : تجمع في وقت واحد بين الضدين وهي التي بين يديها الجندي من جهة والقسيس من جهة أخرى .

وكان فريرو يريد بقوله « الإنجيل والمدفع » الترغيب والترهيب فأوروبا تريد سوق الناس وراءها بكل الطرق سلمية كانت أم حربية ، وإنسانية أم وحشية .. فهي تستعمل الحلو والمر ، والعرف والنكر ، والاحياء والإفناء ، كل عندها جائز بشرط الحصول على مرادها وهو أن تصبغ جميع البشـــر بالصبغة الأوروبية وتطبعهم بطبائعها .

أما الإنجيل الحقيقي فليس المراد هنا ، لأن الإنجيل الحقيقي هو وحي سامي شرقي « والثقافة الأوروبية هي ثقافة يونانية لاتينية » ليس فيها من الإنجيل سوى الإسم كما يعترف بذلك فلاسفتهم المحققون ، ولعمري أن تعاليم المسيح عليه السلام في واد والثقافة الأوروبية في واد ، وأن الأمر هو كما قال « رنـــان » وكثير من حكماء أوروبا : لو وجد المسيح اليوم لكان غريباً عن هؤلاء المتكلمين باسمه .

وسواء كانت الدعاية لإنجيل حقيقي أو إنجيل أوروبي آري فالمقصود هو واحد والشاهد هو أن أوروبا تسوق إليه الناس بالقهر واللطف والشدة والعنف وأنها تبطش بالأمم غير الأوروبية وتتودد إليهم وتقتلهم وتبكي عليهم ، وكل هذا لأجل نفوذ دعايتها ، ونشر ثقافتها بأي سبيل .

وفي ذلك بلاغ لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

« شكيب أرسلان »

بواعث التبشير الحقيقية

كتب الأستاذان الكبيران الدكتور مصطفى خالدي رئيس مدرسة التمريض الوطنية في بيروت ، والدكتور عمر فروخ عضو المجمع العلمي العربي بدمشق في الفصل الأول من كتابهما النفيس الذي أنصح كل شاب عربي ومسلم أن يطلع عليه ويقرأ ما فيه وهو « التبشير والإستعمار في البلاد العربية » وفصلهما الأول كان عن بواعث التبشير الحقيقية فقالا :

يظن بعض الناس أن المبشرين يأتون إلى الشرق لنشر الدين على أنه هدفهم الأسمى والحق إن نشر الدين أمر ثانوي جداً ، في جميع الحركات التبشيرية ، قد نجد أشخاصاً قليلين يمولون حملات تبشيرية على الشرق ثم أفراداً قليلين أيضاً يأتون في هذه الحملات لينشروا الدين حباً بنشر الدين واعتقاداً منهم ، بأنهم يقومون بعمل سام ،على أن الكثرة المطلقة من الذين يمولون تلك الحملات ومن الذين يأتون فيها لا صلة بين أهدافهم الحقيقية وبين الدين الذي يزعمون أنهم جاءوا لنشره .

إننا إذا تأملنا العالم الغربي وجدناه عالماً ملحداً لا يؤمن بدين وعالمـاً مادياً لا يعرف للروح معنى : إن أمريكا التي تعبد الحديد والذهب والبترول ـ كما يقول أمين الريحاني ـ قد غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية وسلام ديني .

وبينما نرى في فرنسة دولة علمانية في بلادها نجدها الدولة التي تحمي رجال الدين في الخارج إن اليسوعيين المطرودين من فرنسة هم خصوم فرنسة في الداخل ، وأصدقاؤها الحميمون في مستعمراتها ، وكذلك إيطاليا ، التي ناصبت الكنيسة العداء وحجزت البابا في الفاتيكان ، كانت تبني سياستها الاستعمارية

على جهود الرهبان والمبشرين ، حتى الروسية السوفياتية التي تدعو في بلادها إلى الإلحاد ومحاربة الأديان ، كما يقال ، رأيناها بعد الحرب العالمية الثانية حينما أرادت أن تحقق لنفوذها توسعاً إقليمياً وسياسياً ، قد تظاهرت بالعطف على رجال الدين ودعت إلى مجمع مسكوني في موسكو ، وحملت إليه المؤتمرين في طائراتها ، ثم شرف ستالين نفسه أولئك المؤتمرين بمقابلته ، وكثيراً ما كان الرجال العسكريون من الإنكليز خاصة يحضون حكوماتهم على بث المبشرين في العالم ، كما نصح الجنرال « هايغ » للحكومة البريطانية أن ترسل مبشريها إلى شبه جزيرة العرب ؟!

ثم نقلا ما كتبه الشاعر القروي الأستاذ رشيد سليم الخوري في مجلة « العصبة الأندلسية » في العدد الرابع وهو يتكلم باسم النصارى الذين أخذوا يتألمون — كالمسلمين أيضاً — من أضرار المبشرين كلهم والبروتستانت خصوصاً فيقول الأستاذ الخوري : أما من الناحية الدينية فإن إقامتي الدليل على عدم نزاهتهم — أي المبشرين — لا تقتضي أن أكون بارعاً في الجدل أو عالماً شهيراً بالتاريخ .. ! إن طوائفنا العديدة ،قد زيدت بفضل تعرفنا على الرسالة الأمريكية طائفة جديدة اسمها الانجيلية .. وكم انفق الأمريكيون ، لكي يعرفونا بمواطننا السيد المسيح وبدينه ، كأننا أشد افتقاراً إلى فضائل المسيحية من الأمريكيين أنفسهم».

والمؤلفون الأجانب لا ينكرون أن التبشير قد اتخذه الكثيرون آلة للتجارة والسياسة ، وأن المبشر الأميركي خاصة لا يستطيع أن يتحرر من نفوذ حكومته وغاياتها وأهدافها الإستعمارية .

على أن جميع المبشرين على اختلاف نحلهم ومللهم تتميز كل فرقة منهم بعداوة شديدة للعرب والمسلمين وتحمل من الحقد الدفين أحمالاً وأحمالاً ولا ريب في أن مرد العداوة ، والفجور في الخصومة ، إنما هو الحروب الصليبية ، وفشلهم فيها ، ورجوعهم إلى ديارهم خائبين خاسرين ، يجرون أثواب الخزي والعار ، ولقد كان من حقد أحد المبشرين وهو المبشر جسب : أن يود لو يمحي

الإسلام من العالم وهذا قليل من كثير وما تخفي صدورهم أكبر وصدق الله العظيم إذ يقول : قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ».

لقد وجد المبشرون أن أشد الأديان مراساً في إباء الإستعباد إنما هو الإسلام، وهذا هو الصخرة الصلدة التي تقف في وجوههم ، حيثما حلوا ، وأينما نزلوا ، ولذلك يتمنى المبشرون أن ينصّروا المسلمين كلهم ، والمقصود الأول بالجهود التبشيرية هو الإسلام والمسلمون ، وقد استوى في هذه الرغبة جميع المبشرين على اختلاف طوائفهم وتباين الأقنعة التي يرفعونها على وجوههم ، حتى رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت الذي لبس أقنعة العلم وجاء ليهذب أبناءنا فهو مبشر كبير ودساس خطير يقول هذا الرجل واسمه بنروز : أن المبشرين يمكن أن يكونوا قد خابوا في هدفهم المباشر وهو تنصير المسلمين جماعات جماعات إلا أنهم قد أحدثوا بينهم آثار نهضة ... » .
ثم يتابع رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت قوله فيقول :

« لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي إستطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتنصير سورية ولبنان » .

ويعترف المبشرون بأن التبشير الرسمي واكتساب المسلمين إلى صفوف النصرانية قد خاب ، من أجل ذلك قنع هؤلاء المبشرون أن يكون عملهم « الإنساني المزعوم » قاصراً على زعزعة عقيدة المسلمين على الأقل ، ومن أمثال هذه الجمل ينفذ القارىء اللبيب إلى حقيقة بواعث التبشير في ديار الإسلام أنه ليس الإصلاح والحياة الروحية ، بل هو الإفساد والتوسل إلى السيطرة والإستعمار ومكافحة الإسلام في جميع صوره ، وأشكاله ، وفي جميع أقطاره ودياره .

وهذه المرارة من الخيبة في التبشير ، وهذه النقمة على الإسلام والمسلمين ، وهذا الافتراء على الإسلام ، وهذا الحقد الذي يتزايد يوماً بعد يوم ، تجده وتلمحه في كلام المبشرين أنفسهم : يقول المبشر رايد : « من الصعب أن تحب

مسلماً لأن المسلم ليس محبباً إلى النفس ، ولأنه هو عادة يشمئز من الذين يحاولون الإقتراب منه إذا نالوا ثقته » .

وهكذا يكون الافتراء والكذب ، فالمسلم وديع بطبعه ، طيب دمث الأخلاق يحب للناس الخير ، ويسعى جاهداً للإحسان حتى مع الحيوان ، فضلاً عن الإنسان كائناً من كان فانظروا كيف يتدفق الحقد من ثنايا ما يكتبون وما ينشرون والمستعان الله وهو الذي يرد كيدهم في نحورهم ويجعل كلمتهم السفلى وكلمته هي العليا .

الماسونية والجمعيات السرية...

إن الإستعمار الغادر ، لا يزال يحيط بنا من كل جانب ، فهو وإن اندحر سياسياً ، ولكنه لا يزال يصنع المؤامرات ويضع المخططات ، الواحدة تلو الأخرى ، وكلما افتضحت له مؤامرة وانكشفت له خطة ، عمد إلى حبك خيوط مؤامرة أخرى جديدة باذلاً في سبيل مكافحة الإسلام ، وديار الإسلام ، المال والسلاح ، والخداع والكذب والدعاية — العلنية والسرية — في بلادنا وبين ظهرانينا ، وفي الأوساط العالمية أيضاً ، كل ذلك ليتخذ من هذه الدسائس والأكاذيب والمخططات سلماً يرقى إليه للوصول إلى غرضه الخبيث الآثم .

إن الاستعمار العالمي — اليوم — وإن كان في حالة الإحتضار بل الموت ، والمسلمون قد استيقظوا في أكثر أوطانهم ، وكثير من الشعوب العربية وغير العربية ، قد فتحت أعينها على ألاعيب الإستعمار ، وأذنابه ، إلا أن الاستعمار الغادر ما يزال يحتفظ بالكثير من قواه وأسلحته العلنية والسرية

ولا يزال يستخدم — في كل وطن ناشىء ناهض — جيشاً سرياً من العملاء والأعوان ، ويوجههم ضد أوطانهم ، ويربيهم على عينه ويغدق عليهم الأموال

الطائلة ، ويسلمهم وكالة الشركات الكبرى ويجعل منهم شخصيات ذات سلطة ونفوذ .

وكان من عادة الإستعمار أن يوجد في المجتمع الذي يتغلغل نفوذه فيه فئات خاصة ذات مكانة اجتماعية مرموقة لا تنتمي إلى طبقة إجتماعية ، أو سياسية معينة ، وإنما ترجع بأصولها إلى مختلف الطبقات ، لتعمل ضمن برامج مدروسة وأهداف معينة الحدود والشعارات سلفاً ، تنتهي كلها إلى هدف بعيد واحد هو خدمة السياسة الإستعمارية بأساليب غير مباشرة وخفية ، أو لتمهيد السبل أمامها .

وكثيراً ما نرى جمعيات محلية أو دولية ، أو مؤسسات إجتماعية أو خيرية أو رياضية أو ثقافية أو مؤسسات تعمل ظاهراً للكشف عن الآثار أو للتبشير في الظاهر ، وهي إنما تعمل في الباطن لتخريب المجتمع ، فتعلن عن أهداف براقة ، مرغوبة جداً ولكنها تعمل في حقيقة الأمر على إثارة النزاع الطائفي أو التعصب العرقي ، أو بلبلة أوضاع المجتمع بمختلف الأساليب الشيطانية ، أو تعمد إلى أسلوب تكتمي سري للغاية ... كأن تستر [illegible] أهدافها العلنية ، أهدافاً تناقض مصالح المجتمع ، وتهدم دع[illegible]

إن هذه القوى في حقيقة الأمر ، ليست إلا قوى إحتياطية يستخدمها المستعمرون لسند هدفهم الاساسي .

لذلك نجدهم يشجعونها ، ويبذلون العون المادي والمعنوي العلني والسري لها ، ويحمون أقطابها ، وقادتها عند اللزوم ويسهلون لهم تسنم أسمى المناصب في ديارهم ودولهم ، لذا نراهم يتغلغلون في دوائر الدولة بسرعة إذ يسند بعضهم بعضاً ويتكاتف تكاتفاً عجيباً وغريباً ويستفيدون كثيراً من الشركات الإستثمارية ، خاصة ما كان لها طابع عالمي أو كانت تابعة للإحتكارات الأجنبية ، فيتولون إدارتها أو مهمة الدفاع عنها كمحامين أو وكلاء وغير ذلك من المهام لقاء مبالغ كبيرة تعمل بدورها لدعم مراكزهم في المجتمع وتضاعف نفوذهم بين الناس .

إنني أعتقد جازماً بأن الحركة الهدامة الخطيرة التي يطلقون عليهم إسـم « الماسونية » والمحافل الماسونية من أكبر هذه الجمعيات على اختلاف أسمائها، وعناوينها ، وتنوع أهدافها وتبعيتها أو الجماعات الفرعية المنبثقة عنها .

وكلما تغلغلت هذه القوى الإحتياطية في ثنايا المجتمع الإسلامي ومنه المجتمع العربي ، وزاد نفوذها ، وتضاعفت تدخلاتها . وتسنم عدد أكبر من أعوانها وعملائها ومريديها المناصب الكبرى أوالخطيرة . كلما وجد المستعمرون منافذ أكثر عدداً وأكبر نفعاً يلجون منهاإلى قلب مجتمعنا وكلما تقوت دعائم المستعمرين تبعاً لذلك ، ازداد نفوذهـم بإرتكازهم على هذه القوى الإحتياطية الخطيرة وهي بالإضافة إلى ما تقدم تعتبر الماسونيةمدرسة تهيء للمستعمرين الأجراء والأعوان والعملاء وتخرج لهم من صفوفهم أفواجاً تلو الأفواج ممن رضعوا لبان الكفر والضلال وتدربوا علىأعمال التجس والتخريب .

والحقيقة الواقعة أن أغلب هذه الجمعيات ، وخاصة المحافل الماسونية ، إنما ترتبط مباشرة بالمستعمرين في الخارج أو بالجمعيات الصهيونية التي تحمل أسماء مختلفة تجارية أو ثقافية أو دينية في حين أنها المنفذ الأول للأهداف الإستعمارية في البلاد المغلوبة على أمرها أو في البلاد نصف المستقلة أو التي يحاول المستعمرون سلبها استقلالها وتهديم دعائم سيادتها عن هذه الطـرق الخبيثة .

إن الواجب على المسلمين أجمعين حكاماً وشعوباً هو تصفية هذه الجمعيات المخربة واجتثاث جذورها السامة من تربتنا الطاهرة قبل أن يستفحل خطرها ويستشري شرها ، فتقضي على كل إمكانية في المستقبل لمنع خطرها و من ثم تنقي مجتمعنا وأجيالنا المقبلة من جراثيم دعايتها وسموم شعاراتها ، التي تنفثها، في صفوف المجتمع ، مقنعة بالأهداف العلنية البراقة ، وهي منها براء .

إن إرتباط الجماعات العميلة أو الجماعات السرية ذات الأهداف المخربة،

أو المؤسسات الإستعمارية ، أو المحافل الماسونية المتعلقة بالمؤسسات الصهيونية العالمية، هذا الارتباط لا يتم علناً بالطبع ،وإنما تحققه ارتباطات خفية لايراها الناس العاديون بالعيون المجردة ، ولكن لا بد للمدقق الفطن ، أن يرى — عند إمعانه النظر — هذه الخيوط الدقيقة ، فيكشف تلك الروابط السرية المتينة التي تقوم عادة بتوجيه أهداف هذه الجمعيات وتنظيم سلوكها ، بحيث تنتهي هذه الغايات والأهداف ويؤول هذا السلوك بالنتيجة إلى خدمة المؤسسات الصهيونية العالمية الإستعمارية دون أن تلفت الأنظار إليها ، ولذلك فالحذر الحذر أيها المسلمون في كل مكان .

حقيقة الماسونية

أخطر ما تفتقت عنه الذهنية اليهودية عدوة الإنسانية ، هي تلك الخطة التي وضعتها وعاونها على تحقيقها رجال الإستعمار ، وهي تكوين جمعية الماسونية المخربة ، وهي جمعية سرية تحمل أهدافاً سرية غاية في الخطورة ، إلا أنها في العصور الحديثة أخذت تعلن عن نفسها بمختلف الطرق ، كما أخذت تتبنى أهدافاً وشعارات جديدة لا تمت إلى أهدافها الحقيقية بصلة وهي بحكم سريتها ظلت خفية عن الأنظار ، مجهولة من المجتمع ولم تظهر بشكلها ، الواضح شبه العلني إلا بعد أن ظهرت آثارها السياسية والإجتماعية الخطيرة في المجتمعات وأخذت تهدد بعض القيم والتقاليد القائمة ، ثم كثر الدعاة لها ، والمتحمسون لمبادئها وزادت محافلها في الشرق الاسلامي ، زيادة مرهبة مخيفة واعتنقها كثير ممن يسمونهم — من علية القوم — وها هنا الطامة الكبرى والخطر الداهم .

والماسونية أو الفرمسون : إسم مركب من لفظتين أفرنسيتين « فرانك » ومعناها الحر و « ماسون» ومعناها بنّاء أي أنها « جمعية البنائين الأحرار » أي الهدامين الأشرار .

وقد اختلف المؤرخون في أصلها ونشأتها، ولكنهم متفقون على أنها جمعية سرية إرهابية قديمة وذات طقوس غريبة .

ومن المؤرخين من قال : أنها نشأت وترعرعت في هيكل سليمان ومنهم من ردها إلى الفراعنة ، أو إلى اليونان والهند وفارس ، ولكنهم مجمعون على أنها جمعية يهودية وطقوسها يهودية ، والأصابع السرية التي تحركها هي أصابع يهودية تحاول أن تهدم بها الاديان السماوية ، ما عدا اليهودية بالطبع ، وسبب إختلاف المؤرخين في نشأتها يرجع إلى طبيعة هذه الجمعية السرية حيث أن سريتها هي التي جعلت مسألة نشوئها غامضة ، يحيطها الكتمان الشديد ، ولكنها أخيراً عُرفت وفضح أمرها وانكشف الكثير من أسرارها على أيدي أناس دخلوها ثم خرجوا منها ، وكفروا بها وبأهلها من اليهود والمستعمرين معاً .

وعن فلسطين خاصة ودفاعه عنها خير الجزاء .

يقول الكاتب التركي المسلم المجاهد الأستاذ « جواد رفعت أتلخان » أمد الله في حياته وبارك فيه وجزاه عن الإسلام خير الجزاء قال هذا الرجل المجاهد في كتابه « أسرار الماسونية » (إن جمعية القوة الخفية دخلت جمعية البنائين الأحرار « الفرنك ماسون » وجعلتها مطية لها ، واتخذت من نفوذها سلماً لإعادة ملك إسرائيل ، ولا تزال اليهودية العالمية هي القوة المحركة الكامنة وراء الماسونية والأساتذة الكبار الحقيقيون في المحافل الماسونية هم الممثلون للجمعيات اليهودية السرية وإن التساند الواضح الموجود بين الماسونيين في العالم وبين اليهود يرجعه الباحثون إلى كثرة اليهود في الصفوف المتقدمة من الماسونية)

وذكر الأستاذ عوض الخوري في كتابه « تبديد الظلام » عن أول جلسة لمؤسسي هذه الجمعية المخربة وتصريح رئيسها حيث قال : «إن الغاية من جمعيتنا هي إرجاع العالم إلى اليهودية وسحق تعاليم يسوع » .

ثم قام مجرم آخر من أكابر مجرميها ومؤسسيها فقال : « على هذه الجمعية أن تقوم ولو بالقتل وصنع كل محرم في سبيل حفظ كيان الدين اليهودي ،

وأن تقوم بحفظ هذا السر في تسعة فقط ، وهؤلاء التسعة هم الذين يشكلون الإتحاد اليهودي العالمي وهم أساس الفساد وركن الإلحاد ومؤسسوا إسرائيل المجرمة .

ولهذه الجمعية طقوس غريبة ، رهيبة تمارس أمام هيكل عظمي لإنسان ، ميت وإلى القراء طريقة الإنتساب إلى هذه الجمعية المخربة كما أوردها الأستاذ عوض الخوري في كتابه الآنف الذكر حيث قال : يقول أحدهم واسمه جوناس يصف كيفية انتسابه إلى الماسونية ودخوله إلى المحفل قال : وقبل أن أدخل ، أغمضت عيني ، وأخذوني الى غرفة ثم رفعت العصابة عن عيني فوجدت نوراً ضئيلاً ، وقال لي الكفيل : انتظر هنا لا تفكر بالأبدية وهاك الهيكل البشري ، وكان إلى جانبي هيكل عظمي لإنسان ، ثم عاد الكفيل وقال : هل أنت مستعد للشرائه ثم أخذ مني دراهمي وخرج ، ثم دخل غيره ورفع لي كم بنطلوني عن الرجل اليسرى حتى الركبة ، وكذلك شمر عن ساعدي الأيمن ، وكشف عن عنقي وصدري وربط عنقي بحبل وقادني بعد إغماض عيني مسافة ما ، وأحسست أن سيفاً مسلولاً على عنقي وقال لي الرئيس : بماذا تحس ؟ قلت بشبه سيف قال : إفهم أيها الطالب إن هذا السيف يهدد حياتك إن لم تكن مستعداً لكتم السر .

ويتابع جوناس وصفه لهذه الطقوس حتى يصل إلى قوله : وبعد ذلك فتحوا عيني وفكوا الحبل عن عنقي وأشعلوا مواد ملتهبة بهرت نظري ورأيت الجميع قد سلوا سيوفهم فوق رأسي ووجهوا حراباً إلى صدري ثم علقوا في عنقي المئزر ، ويقول هذا الرجل : ولقد ترقيت إلى الدرجة الثامنة عشرة واسمها « الصليب الوردي » ثم إلى الدرجة ٣٣ وصرت معدوداً في صف الشيوخ ومع علو منزلتي لم أكن أعرف ولا حتى رئيس المحفل، الذي يعرف المصدر الأول للأوامر العليا التي تأتينا بشكل غامض .

والماسونية لا تمثل ديناً جديداً بل إنها الدين اليهودي بنفسه ، كما أن الماسونية ومن ورائها اليهودية لم تكن أبداً في حالة دفاع عن نفسها تجاه الأديان الأخرى بل كانت مهاجمة ، معتدية ولم يكن هجومها ناشئاً عن إختلاف في الرأي بل عن خطة مدروسة تهدف إلى محو الديانات الأخرى ، وخاصة منها المسيحية والإسلامية لكي يقوم بعدها كيان إسرائيلي واحد .

جاء في النشرة الرسمية التي أذاعها الشرق الأعظم الفرنسي قالوا عن أنفسهم :

« نحن الماسون ، لا يمكننا أن نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان لأنه لا مناص من ظفرنا أو ظفرها ولن نرتاح أبداً إلا بعد أن نقفل جميع أبواب المعابد » .

وقال كوكفيل في محفل منفيس « لندن » : «إذا سمحنا لمسلم أو مسيحي بالدخول لمحفلنا فيجب أن ينسى جميع أضاليله وخرافاته التي خدع بها في شبابه » .

ونشر زيل الماسوني فقال : «على الماسون أن يتحرروا من كل إعتقاد بوجود الله ، لأنه لم يبق أحد يؤمن بالله إلا البله والحمقى ويجب عليهم أن يتصوروا أنه ينبوع كل استبداد وظلم »

خسئت يا كافر ، فالله ربنا عز وجل مصدر كل عدل ومنبع كل خير وينبوع كل فضيلة وبر وإحسان للناس كافة .

وقال أحد أساتذتهم العظام « وفي إصطلاحهم الأستاذ الأعظم هو الحاصل على درجة ٣٣ » قال هذا المجرم في نشرة العالم الماسوني : « إن علينا أن نسحق في قلب الماسوني كل قبيح وفظيع وهذا القبيح الفظيع هو الله وليس الله سوى الشر» .

وجاء في نشرة أكاسيا وأكاسيا شجرة مقدسة عند اليهود « إنه لا يكفي

التغلب على الأديان والمعابد، بل القصد الأساسي هو محو الأديان وأما بداية عملنا فهو (فصل الدين عن الدولة) فكروا جيداً في هذه العبارة أيها المسلمون.

هذا إستعراض بسيط لأقوال أقطاب الماسونية المجرمة الهدامة ، ومن خلاله يتلمس الإنسان حقيقة هذه النحلة الكافرة التي تبدأ خططها على مراحل .

فالمرحلة الأولى هي أن تشكك الإنسان بدينه، ثم المرحلة الثانية :أن تسلخه عن هذا الدين ، ثم تأتي مرحلة إنكار وجود الله ثم تأتي بعدها مرحلة تطبيق التعاليم والتقاليد اليهودية بعد فراغ ذهنه وتجرده من كل عقيدة فيصبح من السهل عليهم أن يقودوه إلى حيث يشاؤون ، ويزجوه حيث يريدون .

ومن أساليبهم الخبيثة إفساد الأسرة وإنحلالها ، إذ الأسرة اللبنة الأولى في بناء المجتمع ، ومن مخططات الإستعمار والصهيونية والماسونية التي تجمع بينهما ، هو إنحلال الأسرة وانفصام عراها ، وهذا لا يتم إلا بتمزيق القيـــم الأخلاقية وإطلاق عنان الغرائز والشهوات ولقدكانت المرأة أول الأهداف في هذا الميدان الماكر، فهي العنصر الضعيف العاطفي وذوا الفعالية الكبيرة والتأثير المباشر في هذا المجال ، يقول كبير من كبراء الماسونية الكفرة :«يجب علينا أن نكسب المرأة فأي يوم مدت إلينا يدها فزنا بالحرام وتبدد جيش المنتصرين للدين » .

وقالت الخطة في البروتوكول الاول من بروتوكول صهيون: « إن المسيحيين قضت عليهم المسكرات فأصبحوا عجماً أمام خططنا ذلك بما ندرسه من فساد الأخلاق بالدروس الكلاسيكية حيث يحقنهم إياه معلمونا ومعلماتنا خادمونا وخادماتنا ، في دور الأغنياء .

ومستخدماتنا في كل مكان ، ونساؤنا في قاعات الملاهي ومن يحسن إقتناصهم من الطبقة العليا من نساء المسيحيين وقال دورفويل أحد كبار الماسونية: « إن العفة المطلقة مرذولة عند الماسونيين والماسونيات لانها ضد ميل الطبيعة » .

أيها القراء الكرام هذه نبذة مختصرة عن الماسونية الهدامة ومع كل هذه المبادىء الإباحية والإلحادية نجد لها أنصاراً وأعواناً فالحذر الحذر من هـــذه المبادىء الهدامة التي يعمل الإستعمار والصهيونية على إشاعتها بين الناس ومكافحة الإسلام بواسطتها ، وإشغال الناس بها وجلبهم إلى صفوف الكفر والفساد ومن أراد التوسع في معرفة هذه الجمعية السرية المجرمة فليراجع كتاب : « أوقفوا هذا السرطان ، حقيقة الماسونية وأهدافها » للمؤلف الكريم الدكتور سيف الدين البستاني جزاه الله خير الجزاء ، وأثابه خير ما يثيب عاملاً عن عمله والله الموفق لكل عامل لخدمة هذا الدين وهذه الأمة الإسلامية التي تحارب في كل ميدان .

التعليـــم... والتبشـــير

ليت المسلمين فطنوا ، وتيقظوا وتتبعوا الحرب الفكرية التي مضى الإستعمار يشنها علينا منذ سبعة قرون أو تزيد طبق مخططات منظمة منسقة وأسس نفسية دقيقة .

لقد أغمد الإستعمار سيفه الذي طالما قاتلنا به وهددنا بسله والتلويح به . إذ لم يعد يصلح لحرب الإسلام ومكافحة مبادئه وعقائده وأخلاقه ولكن الإستعمار سل سيفاً من نوع جديد أستطاع أن يغمده في صدر الإسلام وهذا السيف هو مدارس التبشير ومناهج التعليم والكليات والجامعات والمعاهد التي زرعها الإستعمار هنا وهناك من أرض الإسلام .

لقد اتخذ التبشير العلم والدين وسيلة إلى استعبـــاد الأفراد والشعوب ثم سوقهم بسيف الاستعمـــار إلى الاستكـــانة أمام سلطان السياسة المادي .

لقد سخر التبشير العلم الكاذب لافساد الشعوب ونشر الضلال . وكانت مدارس التبشير هي المعاول الهدامة لقتل المثل والأخلاق والعقائد .

حينما انتبه المستعمرون إلى قوة الإسلام الهائلة . أخذوا يتهامسون ويتشاورون حوله وكيفية مكافحته وحربه وأقاموا المؤتمرات ووضعوا المخططات ، وأخيراً أجمعوا أمرهم واتفقوا على أن يولي المبشرون والمستشرقون ومستشارو حكومات المستعمرات ، عنايتهم بالمدارس ومناهجها التعليمية لاسيما مدارس البنات والمعاهد الخاصة بهن والدورات التي تقيمها لهن الجامعات التبشيرية في الجامعة الأمريكية في بيروت وغيرها من الجامعات الاستعمارية .

يقول المبشر « جسب » ان مدارس البنات في بلاد الإسلام هي بؤبؤ عيني لقد شعرت دائماً أن مستقبل الأمر في سوريا إنما هو بمنهج تعليم بناتها ونسائها .

« لقد بدأت مدرستنا للبنات في بيروت وليس لها بعد بناء خاص بها وها هي ذى قد أثارت اهتماماً شديداً في أوساط الجمعيات التبشيرية » .

من أجل هذا قام الاستعمار البريطاني بحملة هائجة ضد مناهج التعليم الاسلامي في مدارس الهند أيام استعماره لها . كما حشد الأنكليز كل قواهم من أجل حرب المناهج الاسلامية في مصر والعراق وكل بلد مدت لهم فيه يد أو قدم .

ولقد عمد الانكليز على اخراج « القسيس دنلوب » من مجاله الديني الكهنوتي وجعلوه مستشاراً لمناهج التعليم هناك كي يتسنى له أن يجرد الثقافة والمناهج الدراسية من كل شيء اسمه « الإسلام أو التربية الإسلامية » .

ومن أجل هذا كذلك ترصد أمريكا سنوياً أعظم وأضخم ميزانية في العالم لمواجهة الإسلام ومكافحة الإسلام في بلاد المسلمين خاصة أفريقيا وغالبية هذه الميزانية الضخمة تصرف على الجامعات والمدارس التبشيرية كجامعة بيروت وكلية بغداد وجامعة السند وغيرها من الجامعات الأميركية المنثورة هنا وهناك .

ويجب أن نعلم ويعلم الناس أن لااستعمـــار في حرب دائبة على مقدساتنا وتراثنا الآسلامي ولم يلق السلاح منذ أن ظهر هذا الحقد في أعقاب الحروب الصليبية وحتى الآن وإلى أن يشاء الله .

يقول وليم جيفورد : « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل حضارتنا التي لم يبعدها عنه إلا محمد وكتابه » .

ولتحقيق حقدهم الأسود هذا سلكوا سبلاً متشعبة ووضعوا قواعد متعددة ورسموا مخططات خبيثة ولكنها جميعاً تمتص وتسقى من جذع أصيل واحد هو التعاليم ومناهج التعليم فهو أصل الأصول لإفساد العقائد والعقول .

يقول المبشر هنري جسب :«ان المدارس شرط أساسي لنجاح التبشير ، وهي بعد هذا واسطة لا غاية في نفسها . لقد كانت المدارس تسمى بالإضافة إلى التبشير (دق الأسفين) وكانت على الحقيقة كذلك في إدخال الانجيل إلى مناطق كثيرة لم يكن بالإمكان أن يصل إليها الأنجيل أو المبشرون من طريق آخر » ويقول الأستاذان الكريمان خالدي وفروخ في كتاب التبشير والاستعمار صفحة ٦٧ :

«ويرى بعضهم أن المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرى . ثم أن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً ما قادة في أوطانهم » .

ورأي المبشرين في ذلك لم يتغير قط حتى رأى المستر بنروز الذي جاء في عام ١٩٤٨ م ليتسلم زمام الرئاسة في جامعة بيروت الأميركية لا يزال خاضعاً لهذه الفكرة إنه يقول :«لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الامريكيون في سعيهم لتنصير سورية ولبنان .. ومن أجل ذلك تقرر أن يختار رئيس الكلية البروتستانتية الانجيلية (الجامعة الأمريكية اليوم) من مبشري الأرسالية السورية » انتهى .

ويقول الأستاذان جزاهما الله كل خير :

« في الوقت الذي كان بنروز يعد مواد كتابه التبشيري انعقد في القدس في « نيسان ١٩٣٥ م » مؤتمر تحت إشراف فرع فلسطين من لجنة التعليم للمجلس التبشيري المتحد . ولم يضع المؤتمر تقريراً على عادة المؤتمرات الأخرى ، بل عهد إلى احد أعضائه هرداني ليضع كتاباً توجيهياً يتضمن ما وصل إليه المؤتمرون من الملاحظات والآراء . يقول داني هذا في كتابه ص ١٠ — « كان التعليم وسيلة قيمة إلى طبع معرفـــة تتعلق بالعقيدة المسيحية والعبادة المسيحية في نفوس الطلاب » .

يقول المؤلف :«ان المدارس التبشيرية تحاول أن تنقل الطلاب إلى جوها الخاص وتهيء لهم جواً مسيحياً وتحملهم فيه على ممارسة التقوى المسيحية السلوك المسيحي وخصوصاً ما دام الطالب طفلاً وهكذا ينشأ الطالب وتنشأ معه فلسفة مسيحية للحياة » .

وقبل داني وبنروز رئيس الجامعة الامريكية في بيرت ذكر المبشر المشهور (جون موت) كـــلاماً أكثر وضوحـــاً وفيمـــا يتعلق بالتعليم بين الصغار خاصة قال :

« يجب أن يؤكد في جميع ميادين « التبشير » جانب العمل بين الصغار ، وبينما يبدو مثل هذا العمل وكأنه غيرية» .

ترانا مقتنعين لأسباب مختلفة بأن نجعله عمدة عملنا في البلاد الإسلامية . ان الأمر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً من أجل ذلك يجب أن يحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية إن إختبار الارساليات في الجزائر فيما يتعلق بهذا الأمر ، وكما ظهر من بحوث مؤتمر شمالي افريقيا اختبار جديد ومقنع ... »

وهكذا نجد أن وجود التعليم في يد المسيحيين لا يزال وسيلة من أقوى الوسائل للوصول إلى المسلمين » .

ولقد أدرك المبشرون ذلك كله . وغاية المبشرين ليست دينية بل هي « افسادية » يحاولون بها أن يفككوا وحدة الأمة الإسلامية ليحكموا شعوبها . فإنهم قد قنعوا بافساد المسلمين لأن فساد الشعوب يصل بالمبشرين إلى غايتهم القصوى وهي تمكين الدول الغربية من حكم البلاد الإسلامية إذا فسد رجالها وتحلل شبابها وطغت نساؤها يقول المبشر « تكلى » .

« يجب أن نشجع انشاء المدارس وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي إن كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الانكليزية إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمراً صعباً جداً ».

خطاب ... وتحذير

أيها المسلمون إن هذه المدارس والكليات الأجنبية لم تفتح حباً في سواد عيوننا ، ولا طمعاً في تهذيبنا كما يزعمون بل فتحت لتثبيت قدم الاستعمار في بلادنا وتجريد أبنائنا من مقوماتهم الأخلاقية والدينية حتى تجعلهم كالسوائم لا يفكرون إلا في بطونهم وشهواتهم فتلهيهم هذه الأغراض الدنيئة عن عظائم الأمور وتقعد بهم عن أسباب المجد ومدارج الكمال ، وتزرع في قلوبهم حب أعدائنا وأعداء أوطاننا ودينننا من رسل التبشير وأذناب الاستعمار .

وهل يتصور أن انساناً ما يحارب أو يكره أناساً علموه وهذبوه ؟ وهذا ما يريده الأعداء من نشر هذه المدارس وصرف مئآت الملايين من الدولارات والجنيهات عليها .

ايها المسلمون قد يقول قائل منكم أن التبشير المسيحي قد فشل في ديارنا كل الفشل ولم يستطع التبشير حتى الآن أن ينصّر عشرة من المسلمين .

وننقل لكم بصدد هذا القول الخطاب الذي ألقاه القس زويمر في مؤتمر

المبشرين الذي عقد في جبل الزيتون في القدس ابان إحتلال فلسطين الشهيدة من القوات الأنكليزية المعتدية .

وقد أفصح القس زويمر وهو رئيس المؤتمر في هذا الخطاب عن أغراض التبشير وبرامج التعليم بعد أن سمع إلى خطب كثير من المبشرين اليائسة والدالة على افلاس التبشير في البلاد الإسلامية فقام خطيباً محدداً أغراض التبشير بهذه الكلمات قال هذا القسيس وكان رئيس المبشرين في القطر المصري « أيها الأخوان الأبطال ، والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام ، فاحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس».

«لقد أديتم الرسالة التي نيطت بكم أحسن الأداء، ووفقتم لها أسمى التوفيق ، وإن كان يخيل إلي أنه مع اتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه » .

« إني أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين . لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة ... إما صغير لم يكن له من أهله من يعرّفه ما هو الإسلام ، أو رجل مستخفٌ بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية . ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ، فان في هذا هداية لهم وتكريماً – كذا – وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله» .

«وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها. وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الإستعماري في الممالك الإسلامية وهذا ما قمتم به في خلال الأعوام المائه السالفه خير قيام . وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً كل التهنئة» .

لقد قبضنا أيها الاخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية .

والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء أنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كـــل التمهيد .

إنكم أعددتم نشئاً (في ديار المسلمين) لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشيء الإسلامي طبقاً لما أراده له الإستعمـــار المسيحي لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات .

فإذا تعلم فللشهوات وإذا جمع المال فللشهوات وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء .

إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضي عنكم الإستعمار فاستمروا في أداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب » .

انتهى خطاب القس زويمر وبه انتهى مؤتمر المبشرين المنعقد في القدس بعد أن أخذوا قراراً إجماعياً بالاستمرار على خطة السير في الوسائل التبشيرية القديمة يضاف إليها الوسائل الجديدة وأهمها زيادة عدد المدارس والكليات وتكثيرها في كل مكان والابتداء من رياض الأطفال والتدرج منها إلى الثانويات فالكليات والجامعات وقد سيطروا على البرامج في جميع مراحل الدراسة وهيئوا لها جيوش المبشرين من القسس والرهبان ووكلائهم ممن تتلمذ على أيديهم وخرج على أمته ودينه .

أيها المسلمون لقد رأيتم نوايا هذه المدارس وقد وصفها أصدق وصف

القس زويمر وشهد شاهد من أهلها وإن الواقع الذي نلمسه في الشباب المتعطل والمتفرنج المتحلل المتخرج من هذه المدارس ليصدق الوصف الذي نعتها به هذا المبشر الخبيث . فماذا بعد الحق إلا الضلال فهل يسوغ لكم أن تتركوا أبناءكم في هذه المدارس يعيث في عقولهم وعقائدهم ذئاب الاستعمار ورسل الشر والدمار ؟ .

تعليم المرأة وإفسادها

من المخططات الخبيثة التي وضعها الاستعمار الغادر ، ورجاله المفسدون هي : العمل على تعليم المرأة المسلمة ، ثم اخراجها من بيتها وافسادها في مجتمعها ، ولم يفت الاستعمار أن للتعليم النسائي أهمية كبرى في بناء المجتمع . لذا فقد أولوها كل عنايتهم ، وسعوا إليها بكل طاقاتهم حتى وصلوا إلى ما يريدون في أكثر ديار الإسلام وهم في طريق الوصول إلى الديار الأخرى — إن لم يتداركها الله بلطفه ويستيقظ أهلها إلى ما يحيط بهم من أخطار وكوارث افساد المرأة ، والذي يسعى إليه الأستعمار ورجاله هو : اسفار المرأة سفوراً خليعاً واختلاطها اختلاطاً بشعاً وتبرجها التبرج الجاهلي الأوروبي الحديث ، حتى يمكنه بواسطتها وهي أخطر سلاح يحارب به الخلق وتنتحر به الفضيلة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : «ما تركت فتنة من بعدي أشد على الرجال من النساء » لما جاء المبشرون إلى العالم الإسلامي كان العلم بين الرجال قليل الانتشار أما بين النساء فكان أقل بكثير مما هو بين الرجال .

ولقد أدرك المبشرون أن هذه الحالة لا يمكن أن تدوم وإن المرأة ذات أثر في التربية أكثر من الرجال بدرجات كبيرة فوجهوا مخططاتهم ومؤامراتهم إلى تعليم النساء المسلمات والعمل على أفسادهن بواسطة هذا التعليم المنحرف

الاهوج . وبلغ هذا الأمر من الأهمية عندهم بحيث قال المبشر جسب :
« إن مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني .

لقد شعرت دائماً أن مستقبل سورية إنما هو بتعليم بناتها ونسائها . لقد بدأت مدرستنا « للبنات » ولكن ليس لها بعد بناء خاص .

وها هي قد أثارت اهتماماً شديداً في أوساط الجمعيات التبشيرية » .

إن أول مدرسة للبنات في الامبراطورية العثمانية فتحها المبشرون في بيروت عام ١٨٣٠ م ، ولقد فتح المبشرون مدارس كثيرة للبنات في مصر والسودان وسورية ، والعراق وفلسطين وفي الهند والأفغان .

وكان اهتمـــام المبشرين بالمدارس الداخلية للبنات أشـــد قالوا ان التبشير يكون أتم حبكاً في مدارس البنات الداخلية لما يكون فيها من الأحوال المؤاتية والفرص السانحة . إن المدرسة الداخلية تفضل المدرسة الخارجية لأنها تجعل الصلة الشخصية بالطالبـــات المسلمـــات أوثق ، ولأنها تنتزعهن من نفوذ حياة بيتية أسلامية إلى نفوذ حياة اجتماعية مسيحية صرفة ولا بد أن تؤثر فيهن هذه الحياة ويسر المبشرون إذا اجتمع في مدارسهم الداخلية بنات من أسر إسلامية معروفة ومشهورة ، لأن نفوذ هؤلاء يكون حينئذ في بيوتهن أعظم وأكبر ، وتقول المبشرة المسيحية آنا ميليفان : « في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشاوات وبكوات وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي ، وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة » من أجل ذلك طلب المبشرون الأمريكيون منذ عام : ١٨٧٠ م مبالغ ضخمة من حكومتهم ليؤسسوا بها مدرسة دينية للبنات في بيروت وعللوا طلبهم هذا بقيمة المرأة في الحياة البيتية وإن تلك المدرسة المزمع انشاؤهـــا ستساعد على تنصير سورية في المستقبل »[1]

---

١ — راجع كتاب التبشير والاستعمار صفحه ٨٧ .

إن المبشرين والذين هم وراء المبشرين يبذلون كل جهد لاستخدام العلم والمدارس في سبيل التبشير الذي هو طليعة الاستعمار وقدمه في ديار الإسلام والذي يريده التبشير من افساد المرأة المسلمة هو تفكيك أواصر الأسرة وانحلال الأخلاق في الأمة الإسلامية حتّى يتمكن الغرب المستعمر من السيطرة على الشعوب الإسلامية واستغلال بلادها اقتصادياً وعسكرياً وفكرياً .

ومن المؤسف أنه قد وصل الاستعمار إلى ما أراد في كثير من ديار الإسلام وها نحن نرى المرأة المسلمة وقد خرجت على كثير من تقاليدها وعاداتها وتلبست بعادات الغربيات وقلدنهن تقليداً أعمى وعلى المرأة المسلمة أن تنتبه إلى المؤامرة الخطيرة التي تحاك حولها لتخرجها عن دينها وتقاليدها الإسلامية الشريفة .

المــــرأة.. فتاة وأمــــًا

كتب الاستاذان الكريمان الدكتور خالدي والدكتور فروخ جزاهما الله عن الإسلام خير الجزاء عن كتابهما : التبشير والاستعمار في البلاد العربية جاء في صفحة ٢٠٣ :

ويهتم المبشرون خاصة بالمرأة . إن المرأة مدار الحياة الاجتماعية ، والوصول بالتبشير إليها وصول إلى الأسرة كلها من أجل ذلك كانت جمعية الشابات المسيحيات بفروعها ومن أجل ذلك كانت المنازل والمعاهد التي يعدها المبشرون للفتيات خاصة .

ويصفق المبشرون باليــدين لأن المــرأة المسلمــة قــد تخطت عتبة دارها .

لقد خرجت إلى الهواء الطلق لقد نزعت عنها حجابها ولكنهم لا يصفقون لأن المرأة المسلمة قد فعلت ذلك بل لأن فعلها هذا يتيح للمبشرين أن يتغلغلوا عن طريق المرأة في الأسرة المسلمة بتعاليمهم التبشيرية .

ولهذا السبب خاصة أخذ المبشرون منذ أمد يأتون بالمبشرات ليتصلن بالنساء المسلمات وهم يصيحون : لقد سنحت لنا فرصة جديدة .

وللمرأة عند المبشرين أهمية عظمى ، قال نفر منهم :

« بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها — ذكوراً واناثاً — حتى السنة العاشرة من عمرهم بالغ في الأهمية وبما أن النساء هن العنصر المحافظ في الدفاع عن

العقيدة فاننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية » .

من أجل ذلك اهتم المبشرون بالتبشير بين النساء اهتماماً خاصاً ووضعوا له البرامج المفصلة وأكثروا من ارسال المبشرين والمبشرات لهذه الغاية ثم استعانوا على ذلك بكثير من الجمعيات النسائية في أميركا .

ويبدي موضوع المرأة في صورته الحقيقية من أن المرأة عنصر فعال في الحياة الدينية فإذا بالمؤتمر التبشيري الذي عقد في القاهرة عام ١٩٠٦ يتمخض فيما تمخض عنه عن هذا النداء الذي وضعته الأعضاء المبشرات في ذلك المؤتمر .

« ... لا سبيل إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح .

إن عدد النساء المسلمات عظيم جداً لا يقل عن مائة مليون فكل نشاط مجد للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن . نحن لا نقترح إيجاد منظمات جديدة ولكن نطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائي على العمل واضعة نصب عينيها هدفاً جديداً هو الوصول إلى نساء العالم المسلمات كلهن في هذا الجيل ... » .

ومنذ زمن قديم والمبشرون يرون أن يهاجموا هذا المعقل الحصين في الإسلام فزعموا أن المرأة المسلمة متأخرة وإنها لا تتحرر ولا تتقدم إلا إذا دخلت في النصرانية .

ثم إنهم يزعمون أيضاً أن الدين الإسلامي نفسه مصدر ألم للمرأة المسلمة إنها تتألم بسببه طبيعياً وروحياً وعقلياً : إنها تخاف من زوجها ومن الموت ومن الطلاق .

على أن الذي يفتريه المبشرون على المرأة المسلمة كثير لا سبيل إلى حصره ولا إلى تعداد وجوهه ، فلماذا يفعلون ذلك ؟ إن لذلك عندهم غايتين .

١ ــ أن يثيروا عاطفة الأغنياء من النصارى في أوروبة وأميركة للبذل في سبيل التبشير .

٢ ــ أن يحطموا من عزيمة المسلمين ويحملوهم على الشعور بالنقص في أنفسهم .

ويبالغ بعض المبشرين فيزعم أن المسلمين لا يستطيعون أن يتخيلوا أن بامكان المرأة أن تتعلم الدين . فمن أجل ذلك يريد هذا المبشر الذكي أن يستغل المبشرون كلهم هذه الناحية فيرسلوا إلى أفغانستان خاصة نساء مبشرات منهم . من هذه السبيل تستطيع هاته المبشرات أن يدخلن إلى الحريم فيبشرن بين النساء من غير أن يتسرب شك إلى الأفغانيين بحقيقة مهمتهن .

وبعد أن تدرب هؤلاء المبشرات الأجنبيات نساء وطنيات يتوجب عليهن أن ينسحبن من ميدان التبشير ويتركن مكانهن لمبشرات وطنيات من أبناء البلاد . على أن المبشرات الأجنبيات يجب أن يبقين مديرات للعمل ومبشرات من وراء ستار .

والمبشرة عندهم على كل حال إمرأة ذات شخصية مسيحية مشعة موحية .

وحينما ينظر المبشرون من خلال الاعصر والحوادث لا يستطيعون أن يروا إلا التبشير .

يرى المبشرون أن الحرب العالمية الأولى قد أثرت في كل صقع وشعب ، وكذلك فعلت بالمرأة المسلمة فنبهت فطرتها إلى طلب الحرية . إن لهذا التبدل الطارىء على المرأة المسلمة عندهم قيمة خاصة : إن نساء العالم الإسلامي قد أصبحن الآن ــ بعد هذا التبدل الجديد ــ أكثر تعرضاً لوصول المبشرين إليهن بالتعاليم المسيحية .

صيحات من الغرب.. وأخرى من الشرق

الغرب مصدر الشرور ومنبع الفجور ومع هذا ففي الغرب اليوم صيحات تنادي بالويل والثبور على دعاة التحلل والفجور وفي الغرب اليوم أصوات ترتفع لتشجب الحضارة الغربية الماجنة التي أفسدت الخلق وقضت على المثل وأخرجت المرأة عن طورها وجعلتها متاعاً رخيصاً مبتذلاً وسلمتها القيادة والريادة لعواطفها ونزواتها وفي الغرب اليوم عقول ورجولات — وإن كانت نادرة — سلمت من غش وأصباغ الحضارة التي ستنهار قريباً إن هي استمرت في سيرها غير القويم ونادت هذه العقول بأعلى صوتها : أن إرجعي أيتها المرأة إلى مملكتك الأصيلة ارجعي إلى البيت » فقد كفى ما أفسدت وكفى ما عبثت وكفى ما هدمت من أخلاق المجتمعات الغربية والشرقية .

وفي الشرق أصوات — واأسفاه — تريد أن تبدأ من حيث انتهى الناس فتنادي بخروج المرأة المسلمة على تقاليدها ومثلها .

وفي الشرق أصوات — واأسفاه — تزعم انها تطالب بحرية المرأة ومشاركة المرأة للرجل في كل شيء :

وفي الشرق عقول منكوسة وأفكار مدسوسة وإن كانت بفضل الله قليلة وذليلة ولكنها تنادي وتصيح بين الحين والآخر وتطالب بخروج المرأة لمخاصرة الرجل وتدعوها للرقص والغناء والسير وراء الأغبياء من دعاة حرية المرأة وتحللها ولقد سمعنا مثل هذه الأصوات المنكرة المبحوحة حتى من نساء يزعمن الثقافة ويدعين التطور والتقدم وينادين — خبن وخسرن — بخروج المرأة للرقص والغناء وفتح الباب على مصراعيه لدعاة الهوى والشباب .

واسمعوا يا دعاة تحلل المرأة المسلمة هنا لتكون العوبة رخيصة بين أيديكم

اسمعوا لرجال الغرب وعاقلات نساء الغرب وعوا ما يقولون واعلموا أن دعوتكم هذه لحرية المرأة إنما هي تنفيذ لمخطط الإستعمار الغاشم .

جاء في مجلة البعث الإسلامي التي تصدرها ندوة العلماء في لكهنؤ في الهند أمد الله في حياة رجالها وجزاهم عن جهادهم خير الجزاء .

قالت المجلة في عددها الثاني من المجلد التاسع الصادر في ١٣٨٤ هـ .

« لقد طلب عدد كبير من أساقفة نيويورك إيقاف هذا السرطان الجديد الذي ألم بالجيل النابت فقالوا :

« إنه يجب على الحكومة أن تمنع على الفور الملابس الضيقة الفاتنة والكتب الماجنة والصور الفاضحة بدون أي تأخير ولا تهاون وكان من الواجب على نسوة نيويورك قبل كل شخص أن يساهمن في هذه الحركة الطيبة مساهمة فعالة ، ولكن مما يبعث الأسف والشجى أنهن لم يشتركن فيها ولجأ الرجال وحدهم إلى القيـــام بهذه الحركة حينما تبين لهم أن هذا الداء العضال أخذ يتأصل في الجيل الناشيء فهم يتعودون الرذيلة والفاحشة ويستسيغون المجون والوقاحة والإنحلال الخلقي من نعومة أظفارهم ولا يألون جهداً في اقتراف فضيحة إذا سنحت لهم فرصة ثم يدمنون الخمر والمسكرات وإذا ما سنحت لهم فرصة لأقتراف رذيلة يتركون الأكل والشرب ويلقون بأنفسهم إلى التهلكة » .

هذه هي الأراء الصريحة التي أدلى بها رجال الغرب الذين عاشوا في الغرب طيلة حياتهم ودرسوا الحياة الغربية مباشرة لمسوا محاسنها ومساويها ولكنهم ليسوا وحدهم في النقد على الحضارة الغربية الحديثة بل تؤيدهم في ذلك امرأة أمريكية كذلك فتقول :

« إن الحضارة الغربية الماجنة الفاحشة جلبت للشباب والشابات في أمريكة أمراضاً جنسية والواقع أن المرأة إذا قطعت علاقتها عن آصرة الأسرة ، وانفصلت عن الحياة العائلية لا تبقى أنوثتها . »

بيان الأطباء الأمريكان

وقد جاء في بيان من جماعة الأطباء الأمريكيين المخلصين ما متنه : لقد سبقت البلاد الأمريكية دول العالم المسكون في سباق الكتب الماجنة ، والحضارة الوقحة ، والفضائح الأخلاقية وصنعة الأفلام السينمائية القذرة ، ومؤسسوا هذه الأعمـــال الإجرامية المفسدة قد قضوا على القيم الروحية والخلقية لا في أوروبا فقط بل عدوا على الشرق وأوقفوه في صفوفهم وإننا نذر البلاد الآسيوية أن تكون على حذر من هذه الحضارة السافرة وإلا فستكون أسوأ حالا وأبشع منظراً من الغرب » . وأخيراً ايها القراء أنقل لكم ما نقلته جريدة المدينة المنورة بعددها ٢٩٤ الصادر في يوم ١٨ شوال سنة ١٣٨٤ هـ الموافق ١٩ شباط سنة ١٩٦٥ م عن جريدة الجمهورية القاهرية بعنوان : المجتمع الإسلامي .. الأوربي بين السفور والاختلاط قالت الجريدة :

المجتمع الإسلامي .. الأوروبي بين السفور والاختلاط

نشرت جريدة الجمهورية القاهرية مقالاً لكاتبة أمريكية مختصة في شؤون الأحداث دون العشرين .. وقد زارت القاهرة عام ١٣٨٢ هـ .. وساءها ما رأته من إختلاط في المجتمع الإسلامي فكتبت تقول : واسمعوا أيها الناس ما تقول هذه المرأة المتحضرة المجربة :

أمنعوا الإختلاط قبل سن العشرين .. فقد عانينا منه في أمريكـــا الكثير .. ولقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً معقداً ، مليئاً بكـــل صور الاباحية والخلاعة وإن ضحايا الإختلاط والحرية قبل سن العشرين يملأون السجون

والأرصفة والبارات والبيوت السرية .. إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات أحداث وعصابات (جيمس دين) وعصابات للمخدرات والرقيق .

إن الآختلاط والآباحية والحرية في المجتمع الأوروبي والأمريكي هددت الأسر وزلزلت القيم والأخلاق .. فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين في المجتمع الحديث تخالط الشبان وترقص التشاتشا وتشرب الخمور والسجائر .. بل وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والحرية والاباحية .

والعجيب في أوروبا وأمريكا أن الفتاة الصغيرة تحت سن العشرين تلعب وتلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها ، بل وتتحدى والدها ومدربيها والمشرفين عليها وتتحداهم باسم الحرية والآختلاط والانطلاق تتزوج في دقائق وتطلق بعد ساعات ولا يكلفها هذا أكثر من امضاء قرشا وعريس ليلة أو بضع ليال وهكذا .. زواج وطلاق .. مرات ومرات ...

إن المجتمع العربي مجتمع كامل وسليم ، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشاب — في حدود المعقول — وان هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي ، ففي المجتمع العربي تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة وتحتم احترام الأب والأم بل وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التي تهدد اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا .

ولذلك فإن القيود التي يفرضها المجتمع (الإسلامي) على الفتاة الصغيرة صالحة ونافعة .. ولهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم ، وامنعوا الإختلاط وقيدوا حرية الفتاة ، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا .

هذه أراء رجال ونساء من الغرب فماذا يقول بها دعاة تحرر

المرأة أو تحلل المرأة ؟؟ خاصة دعاتها في ديار الإسلام ومهبط الوحي ومنزل القرآن ؟! .

أيها المسلمون لقد نهض الإسلام بالمرأة نهضة روحية ، وعلمية وإنسانية وأخلاقية واجتماعية واقتصادية فملكها وورثها، وجعل منها شخصية فائقة سامقة بين نساء العالمين لقد فعل الإسلام هذا وأكثر من هذا يوم كان للإسلام سلطان وكان المسلمون من الناس يطبقون في أنفسهم شريعته وأحكامه السامية فاتقوا الله في هذه الأمة ، واتقوا الله في أنفسكم وفي أهليكم ، وعودوا إلى شريعتكم الصافية النامية يعزكم الله بها وينصركم ويثبت أقدامكم والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

مثل من الأردن ....

مدرسة البنات في نابلس

اطلعت على تقرير رفعه فضيلة الشيخ مشهور الضامن مفتي نابلس إلى سماحة الشيخ عبد الله غوشه قاضي القضاة في الأردن والتقرير يتكلم عن التبشير في المدارس الأهلية الأجنبية في نابلس ويفضح ما يجري في مدرسة البنات بنابلس من طعن على نبي الإسلام ومن تشويه لحقائق الإسلام والطالبات كلهن مسلمات والمدرسات مسيحيات مبشرات مرسلات لهدم العقائد والأخلاق ونزع الروح الاسلامية الصافية من نفوس المسلمين .

ولقد وددت أن أقتبس فقرات من هذا التقرير لارتباطه بموضوعي خاصة بتعليم البنات وما يجري في مدرسة البنات في نابلس يجري مثله في الموصل والبصرة وبغداد وحلب والشام والاسكندرية وأسيوط والجزائر وتونس ومراكش وأفريقيا وكل بلد ابتلى بمثل هذه المدارس المسمومة ، وما بال

المسلمين يبقون ابناءهم وبناتهم في هذه المدارس ؟ وقد إنكشف أمرهـا وافتضح سرها وشاع فسادها وضلالها ، والحادها ؟ ماذا دهاهم حتى يرضوا بهذا الضلال الذي ينتزع منهم أبناءهم وبناتهم ويهوي بهم إلى الجحيم ، هل الدنيا أصبحت كل شيء ، هل عميت الأبصار والبصائر معاً ؟! وإليكم فقرات من هذا التقرير الذي هو نموذج لكل ما يحدث في جميع ديار الإسلام قال :

١ ــ إنه بيان للحقيقة عن النشاط التبشيري الواقع في المدارس الأهلية الأجنبية أرجو أن أعرض لسماحتكم مـا حصـل في مدرسة البنات في نابلس التابعة للارسالية الفرنسية بالتبشير بين الفتيـات المسلمات داخل المدرسة وقـد ذكر لي والد إحدى الطالبات في المدرسة المذكورة عن حديث جرى في صف من صفوف المدرسة يتلخص الطعن الواضح على رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته وقد دعاني والد البنت المذكورة إلى بيته لأسمع بنفسي تفصيلات ما وقع مع ابنته وبالفعل ذهبت إلى بيته وذكرت البنت أن الحديث في المدرسة بدأ من نقطة فتحت أبواباً كثيرة في موضوع أن الديانة المسيحية تولي الميت عنـاية فائقة حيث يوضع في صندوق خشب مع مراعاة أمور كثيرة في غسله ودفنه لا توجد عند المسلمين إذ أن المسلمين يضعون ميتهم في قبر وهو ملفوف بكفن بشكل لا يتفق وكرامة الإنسان وأن محمداً رسول الإسلام كان رجلاً راعياً مزواجاً شهوانياً لم يتعلم ولم يفعل ما يستحق الذكـر ، على أنه اقتبس ما نشره على الناس من التعاليم من كتاب الانجيل ، إلى آخر ما وقع من حديث ونقاش .

وإن ما أرفقه مع كتابي هذا عن التبشير في بلدنا في إحدى المدارس الأهلية الأجنبية يعطي فضيلتكم صورة عن وضع تبشيري مركز له أهداف معلومة وأغراض صليبية واضحة وإذا سبرنا أموراً أخرى نجد أن المؤسسات الأجنبية من مدارس وروضات وكليات وجامعات وجمعيات ونوادي وبارات

ومستشفيات ومستوصفات وغير ذلك من المؤسسات فإنها تهدف في مجموعها إلى غرض واحد هو محاربة الإسلام والمسلمين في كل مكان وتلتقي عند هدف واحد هو خدمة الإستعمار والتبشير . ولا أبالغ إذا قلت ان مدينة واحدة في الاردن كعمان فيها أكثر من مائة وثلاثين مركزاً للأجانب بين مدرسة أو كلية أو معهد أو مستشفى أو جمعية ، وغير ذلك من المؤسسات الأجنبية الأمر الذي دعا بعض الغيورين في عمـــان إلى إنشاء المركز الإسلامي لمقاومة النشاط التبشيري بالعمل لا بالإحتجاج والخطب والكسل كما دعا جمعية الاتحاد النسائي بنابلس إلى إيجاد مدرستين للاناث ومستوصف ومستشفى للولادة

وإن مؤتمر المبشرين الذي عقد في جبل القدس منذ نيف وأربعين سنة برآسة القس زويمر يعطي الباحث صورة عن أهداف التبشير وغاياتهم في فلسطين عامة والقدس خاصة الأغراض التبشيرية وعلى المدارس الأهلية أن تكون خاضعة لنظام وزارة المعـــارف العامة كما نص على ذلك في الجريدة الرسمية إلا أن المدارس الأهلية الأجنبية لا تقوم بتدريس الدين الإسلامي المنصوص عليه في نظام وزارة التربية والتعليم وهي مع ذلك تقوم بنشاط تبشيري معروف .

وأرجو أن يكون معلوماً أن نسبة المسلمات في المدرسة هو ٩٧ ٪ تقريباً . فلا يجوز لإدارة المدرسة المسؤولة أن تهمـــل الناحية الدينية كما لا يجوز لها أن تقصر في محاسبة اللائي تعرضن أمـــام الطالبات المسلمات بكلام خارج عن حدود الأدب والدين لسيد الأنبياء والمرسلين .

المؤامرة الكبرى

لقد ذكرت العديد من المخططات والمؤامرات الإستعمارية التي استهدفت الإسلام ، بالحرب والمكافحة ، والملاحقة في جميع الميادين السياسية ، والثقافية ، والتاريخية والأخلاقية ووددت أن أذكر المخطط الأكبر والمؤامرة الكبرى التي دبرتها أصابع المستعمرين وحاكت خيوطها أناملهم تلك هي « قضية فلسطين » وفي فلسطين معركة التاريخ بيننا وبين الصليبية الحاقدة الكائدة للإسلام والمسلمين .

ومعركة فلسطين هي معركة الإسلام وقضيتها قضية الإسلام الكبرى في هذا العصر ومنذ العصور الأولى للتاريخ الإسلامي .

وقد كان لشيخنا الجليل الشيخ أمجد الزهاوي أمد الله في حياته وبارك فيه وجزاه عن الإسلام خيراً .

كان له رأي أذكر أن بعض الذين يستمعون إليه كانوا لا يؤيدونه عليه ، ولكنهم لا يردونه خجلاً منه وحياءاً فقد كان يقول لنا ابان قيام إسرائيل : إن أمريكا وانكلترا ضحكتا على اليهود ولعبتـا عليهم وجاءتا بهم إلى أرض فلسطين ليكون اليهود قدماً لأمريكا وانكلترا في بلاد المسلمين ، واليوم وبعد هذه الحقبة من الزمن تثبت الأيام أن إسرائيل خرافة وإن إسرائيل ألعوبة الإستعمار ومؤامرة الإستعمار الكبرى ومخططه .

وإسرائيل هي أمريكا وهي انكلترا وهي فرنسا والكفر ملة واحدة منذ القديم والله تبارك وتعالى يقول :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) .

ولسماحة شيخنا الزهاوي حفظه الله رأي آخر في قيـــام إسرائيل وددت أن أسجله هنا الآن ففيه البشرى للمسلمين بنصرهم وبفنـــاء اليهود وقتلهم بإذنا لله على أيدي المسلمين ورأيه أبقاه الله هو في تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم والذي يقول فيه : (لتقاتلن اليهود ولتقتلنهم حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي تعـــال فأقتله إلا شجر الغرقد فإنه من شجر اليهود)أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

والشيخ الزهاوي حفظه الله يقول : المقاتلة مفاعلة ولا تكون إلا بين متكافئين ولو لم تقم إسرائيل فكيف يتحقق لنا مقاتلة اليهود وهم في ذمتنا ؟ .

وهم أقلية في كل البلاد الإسلامية فلا يجوز للمسلمين مقاتلتهم أما وقد قامت إسرائيل وتجمعوا فيها فقد وجبت مقاتلتهم وسيتحقق وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث من معجزات النبوة ودلائل النبوة أما متى يكون ذلك فعلمه عند الله ، وما النصر إلا من عند الله والله مع المتقين .

خيوط المؤامرة

لقد بدأت خيوط المؤامرة الكبرى بتحويل قضية فلسطين من قضية إسلامية مقدسة ، إلى قضية عربية صرفه ، فالأقصى لم يكن قبلة العرب الأولى بل كان قبلة المسلمين الأولى ومعاركنا عبر القرون كانت معارك دينية ، لم تكن معارك قبلية أو قومية ، ومن زعم غير ذلك فقد خدع نفسه وافترى على الواقع والتاريخ .

ولم تشهد فلسطين عربياً غير مسلم قاتل الغزاة الصليبيين المعتدين ، أو وقف مع المسلمين موقف المسالم على أقل تقدير ولقد شهد قادة الحروب الصليبية أن المسيحيين في الشرق كانوا عوناً أكبر لهم في حروبهم ضد المسلمين .

أنا لا أصدق أن جماعة تقول : أن أمنا فرنسا ستقف يوماً معنا وتحارب اليهود ، أو أن فئات من الناس تفخر بأنها قد تحدرت من أصلاب ريكاردوس « قلب الأسد » ستقف إلى جانبنا وتحارب اليهود باسم العروبة أو باسم القومية العربية . هذا مستحيل ومن صدق به فقد خدع نفسه وخالف أخبار القرآن الذي لا ينطق إلا بالحق والعدل والصدق حيث يقول :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم » . (البقرة) .

ولكن أرض فلسطين قد شهدت الآلاف المؤلفة من المسلمين غير العرب قاتلوا فيها قتال الأبطال وأبلوا فيها البلاء الحسن وطالما ارتوت أرض فلسطين

بدمائهم الزكية الطاهرة وعلى رأس هذه الآلاف المؤلفة الشهيد نور الدين زنكي التركي والبطل صلاح الدين الأيوبي الكردي وغيرهم كثير ولأمر ما ولحكمة ما جعل الله خلاص فلسطين وطرد الصليبيين على يد قائد عربي ، ولكن جيشه كان مجموعة من الأمم والشعوب المختلفة الأجناس واللغات ، ومنهم أبطال العرب والمجاهدون من بني قحطان وعدنان ، وكانوا جميعاً أخوة في الله الدين يجمعهم ، والقرآن يوحدهم والإسلام يرفرف فوق رؤوسهم ، ورايات التوحيد فوق هاماتهم وكلمة التوحيد شعارهم ، والعقيدة بالله دثارهم ، والله عز وجل ينصرهم ويؤيدهم ويثبتهم والإيمان يحركهم والشوق إلى الجنة يدفعهم للتسابق إلى الموت والشهادة مناهم وأملهم المرتقب ، وقد كان أحدهم يخرج من بيته فيودع أهله وأطفاله ثم يقول وهو بباب داره : اللهم أخترني إليك شهيداً ولا ترجعني إليهم ، ثم يستشهد أحدهم فيقول وهو في أنفاسه الأخيرة : وعجلت إليك ربي لترضى ، . لمثل هذا جاهدوا وقاتلوا وبمثل هذا انتصروا وعزوا وأعزوا الإسلام ، ورفعوا راية القرآن ، وأقاموا دولة الإيمان » وخلدوا على الزمان فقضية فلسطين قضية الإسلام الكبرى اليوم ، وبالأمس وغداً ، وستبقى قضية الإسلام الأولى ومعاركها معارك التاريخ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وتحويلها إلى قضية عربية ، أفقدها قدسيتها أولا ، ثم أفقدها طاقات روحية هائلة كانت الجيوش تقاتل وتندفع بقوة هذه الطاقات الروحية الكبيرة ، التي بعثها فيها الإسلام العظيم ، ثم أفقدها نصر الله وتأييده إذ لم يعد القتال في فلسطين كما كان جهاداً في سبيل الله إنما تحول إلى قتال قبلي أو قومي أو وطني ، فبعد أن كان الجندي المسلم يقاتل متطوعاً ومؤدياً فريضة من فرائض دينه وهي الجهاد في سبيل الله ، لجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى أصبح الجندي في الجيوش العربية يقاتل للمنصب والراتب ونيل السمعة والمراتب إلا من رحم الله منهم وقليل ما هم ، وشتان بين هذا وذاك .

ثم أفقدها هيبة أعدائها منها ومن رجالها فلما كانت إسلامية كان العدو يحسب حساب ستمائة مليون مسلم من وراء هذه القضية ومعهم عقيدتهم وهي مادة الحياة فيهم أصبح العدو لا يحسب إلا حساب هذه الملايين القليلة من العرب وفيهم أقوام هم مع العدو بقلوبهم وجهودهم وأسيافهم وإن كانوا معنا بأجسامهم .

ومع هذا وبعد هذا فتحويل قضية فلسطين من قضية إسلامية كبرى إلى قضية عربية خاصة أفقدها طاقات بشرية هائلة كانت سنداً للقضية بمالها ورجالها وأعمالها لو انها أحست وشعرت بأن القضية قضيتها وعلينا نحن العرب المسلمين أن نشعر إخواننا بأن القضية قضيتهم هم كما هي قضيتنا نحن ونحن بحكم جيرتنا لأرض فلسطين تولينا الأمر أولاً وإلا فنحن لسنا أحق بها من أي مسلم على وجه الأرض ، والمسلمون شركاء في هذه الحرب المقدسة التي تستهدف قبلتنا الأولى ومسرى نبينا محمد عليه صلوات الله وسلامه .

وإنني في الواقع لا أقول : أن المسلم الأندونوسي ، أو المسلم التركي أو الباكستاني أو الأفغاني أقرب إلى قضية فلسطين منا نحن العرب ومن قال هذا فقد قال شططاً ، وارتكب غلطاً ولكنني أقول وأنا مؤمن بصحة قولي ، يجب أن نشعر العالم الإسلامي بأن القضية قضيته كما هي قضيتنا ، ويجب أن نسلك كل الوسائل الممكنة لإرجاع القضية إلى عهدها الأول في أن القضية قضية الإسلام الكبرى في هذا العصر كما كانت في العصر الأول .

وأقول ثانياً إننا معشر العرب يجب أن نخوض الحرب في فلسطين كمسلمين مجاهدين ، لا كعرب مقاتلين ، وعلى هذا الأساس والمبدأ يجب أن يربى شبابنا وجيوشنا بصورة خاصة وهذا هو طريق استرجاع فلسطين ولا طريق غيره .

وعلينا أن ندخلها بروح الإسلام لا بروح القومية العربية والدفاع عن فلسطين دفاع عن الإسلام ، ومقدسات الإسلام وشرف الإسلام ، وتاريخ

الإسلام وبطولات الإسلام ، لا دفاع عن القومية العربية المجردة أو الوطـن العربي ولماذا لا نعلنها إسلامية ظاهرة وأنها حرب مقدسة ، وأعداؤنا جميعاً يحاربوننا بإسم الدين ؟ وإسرائيل أقامت دعوتها ودولتها باسم الدين ، وسمت حكومتها باسم إسرائيل ، وإسرائيل اسم لنبيهم يعقوب ، وأسمت مجلس نوابها الرسمي إسماً دينياً « الكنيست » .

فلو سمينا دولتنا في فلسطين « الدولة المحمدية » أو الدولة « الإسلامية » ، لقامت الدنيا وقعدت وسمونا رجعيين ومتعصبين ومن الذي يغضب علينا ويحاربنا أول من يحاربنا ؟ انهم أناس من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، ولكن أفكارهم قد تسممت واستعمرتها روح الغرب الخبيثة التي ما فتئت تحارب الإسلام فينا ، وتبعده عن محيطنا السياسي والإجتماعي ، والأخلاقي والعسكري حتى استطاعت أن تربي جيلاً يحمل أفكارها ، وينطق بألسنتها ، ويتخلق بأخلاقها ، ويفسد ويظن أنه يصلح ويسيء ويحسب أنه يحسن وقد أصبح هذا الجيل المستعمر « بفتح الميم » فكرياً وعقلياً وخلقياً يفزع من كل صوت إسلامي ولذلك نراه حائراً بين المبادىء والأفكار تتخطفه من كل جانب ويحسب أنه هو المحق الصادق ولا يشعر بما هو فيه من الطامة الكبرى وصدق الله العظيم إذ يقول :

« وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » .

واود هنا أن أضرب مثلين شهدتهما بنفسي ليرى الناس روح الإسلام في نفوس المسلمين غير العرب ، ومن خلالهما أرجو أن يتبين لنا وجه الحق ونعلم كم هي خسارتنا حينما نقلنا قضية فلسطين من قضية إسلامية إلى قضية عربية خاصة .

١ ــ قبل أربعة عشر سنة تقريباً دعيت إلى المؤتمر الإسلامي الأول المنعقد في

كراتشي عاصمة الباكستان ، فذهبت عن العراق أنا وعالم العراق الأكبر الشيخ أمجد الزهاوي حفظه الله وبعض الإخوان المحامين ورجال الصحافة في بغداد ، وكانت قضية فلسطين لا تزال طرية جديدة ، وشارك في المؤتمر وفود كبيرة من مختلف ديار الإسلام ، ومن الوفود البارزة رؤساء قبائل الباتان وهي قبائل ضخمة تعد الملايين ورجالها أبطال أشداء أولو بأس شديد ترى الرجولة والبطولة والعزة بادية على وجوههم المشرقة بنور الإيمان ، وعلى أجسامهم الممتلئة صحة وعافية ويقيناً ، وتسكن هذه القبائل في الجبال الممتدة بين باكستان وأفغانستان يفصلها مضيق خيبر المشهور ، وهم شقر الوجوه ، ضخام الأجسام رجال حرب وضرب ، كانوا يدخلون المؤتمر بأسلحتهم ولا يفارقون السلاح وهو من صنع أيديهم وبصورة جيدة جداً ولقد رأيت بعض أسلحتهم بنفسي ولم أرها تختلف كثيراً عن السلاح المصنوع في أوروبا سواء بنادقهم أو مسدساتهم .

وعند مناقشة قضية فلسطين وكان سماحة الحاج أمين الحسيني يومها رئيساً للجلسة إحتدم الجدال فقام رئيس هذه القبائل وقاضيهم الشجاع فوقف وسط المؤتمر وتكلم باللغة العربية وقال بجد وحماس : إفتحوا لنا الطريق أيها العرب نحن نكفيكم الحرب ، ونحن نقتل ونطرد اليهود والإنكليز ونخلص مسجدنا المبارك ومسرى نبينا وحبيبنا وإمامنا محمد صلى الله علية وسلم ، وقبلتنا الأولى المعظمة ، إفتحوا لنا الطريق لنجاهد في سبيل الله ، أعلنوها أيها العرب جهاداً إسلامياً ونحن وحدنا ننقذ الأقصى ولا نكلفكم مالاً ولا رجالاً ولا سلاحاً فنحن سلاحنا معنا ونصنعه بأيدينا منذ مئات السنين ، إن الإنكليزي الشيطان ما استطاع أن يدنس أرضنا منذ مائة وخمسين عاماً .

بل نحن فرضنا الجزية عليه ، إفتحوا لنا الطريق لنموت شهداء في سبيل الله كيف تضيع منكم فلسطين ؟ كيف تضيع ؟! كيف تضيع ؟؟ ثم دمعت عيناه وجلس وساد المؤتمر صمت عجيب وشعرنا نحن العرب بالخجل والأسف ثم

أيده رجال القبائل جميعاً ثم كان بيننا بعد الجلسة عناق وبكاء على هذه الروح الإسلامية التي أضعناها بجعل قضية فلسطين قضية عربية فقط .

وهذه القبائل المقاتلة كانت قد أعجزت قوات الإستعمار البريطاني طوال مدة مكوثها هناك بثوراتها المتكررة حتى أخذت بريطانيا تقنعهم بالمال تقذفه عليهم وخصصت لهم كثيراً من الهبات السنوية خوفاً من بطشهم وثوراتهم فسماها رئيسهم جزية ولقد نقلت كلامه على ما بقي في ذهني ولقد أثر منظره وكلامه في نفسي حتى أصبحت لا أنسى هذا الحادث بالذات فلهجته كانت في منتهى الصدق ، والإسلام هو الذي أنطق هذا الرجل وبهذا الحماس ، وكم يتمنى هذا وأمثاله من ملايين المسلمين المنتشرين هنا وهناك في هذا العالم الإسلامي المترامي الأطراف كم يتمنون أن تسقى أرض فلسطين المباركة بدمائهم الزكية الطاهرة ويرجون الله أن يرزقهم الشهادة في مثل هذه الأرض الحبيبة إلى قلوبهم ، والمقدسة في عقيدتهم والتي شرفها الله فجعلها قبلة نبيه وصحابته الكرام ، ثم اختارها مسرى ومعراجاً لرسوله الأمين محمد صلوات الله وسلامه عليه .

إن أمثال هؤلاء المؤمنين يتمنون الموت في سبيل الله في هذه الأرض التي باركها الله وبارك حولها ، ولكن كم دون هذه الأمنية من حواجز ، فهل تأذن الباكستان لأمثال هؤلاء الرجال الأشداء بالخروج لغرض الجهاد ؟ وهل تسمح البلاد العربية الواحدة تلو الأخرى لهؤلاء بعبور أراضيها أولاً والسماح لهم بممارسة عمليات الجهاد الإسلامي ؟؟

إن أهل فلسطين وهم أصحاب القضية المباشرون الذين اكتووا بنارها واصطلوا بسعيرها وهم أحق بها وأهلها ومع ذلك فقد منعوا من كل نشاط ، وحرم عليهم العمل المباشر لوطنهم ومقدساتهم وتراث آبائهم وأجداد هم ، فكيف بغيرهم ممن نعدهم أجانب وهم منا ونحن منهم ، ولكننا نصمم على أنهم أجانب ولو كانوا من العروبة في الذؤابة ومن الإسلام في السنام ! !

ألا ترون معي بعد هذا أن تحويل قضية فلسطين وقضايانا كلها بصورة عامة من قضايا إسلامية شاملة إلى قضايا عربية خاملة أفقدنا كثيراً من معنوياتنا وأخلاقنا وهيبتنا في قلوب أعدائنا ، وأضاع علينا الكثير من عطف اخواننا في الله الذين تجمعنا وإياهم كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، تلك الكلمة التي دوت في الآفاق . وكان ولا يزال وقعها على نفوس وقلوب أعدائنا أشد من وقع مائة ألف سيف إذا نزلت على رؤوسهم كان الجيش المسلم إذا هتف بها وكبر الله معها وهذا شعارهم في حروبهم ، إرتعدت فرائص الأعداء ووجفت قلوبهم . وانخلع لها لبهم وطاش من أجلها سهمهم ، وكان مع هذه الكلمة الفتح المبين فهي مفتاح النصر وكلمة السر في الفوز وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول :

« قولوا لا إله إلا الله تفتح لكم الدنيا » .

٢ — والمثل الثاني الذي وددت أن أذكره للقراء الكرام هو ما وقع لنا وشاهدناه في نفس بلاد الباكستان المسلمة والأمثال في الواقع كثيرة لا تحصى ولكنني أذكر ما كان له الأثر في نفسي ، لعله يؤثر في القارىء كما أثر في من قبل ، فيحس بما أحسست به عند مشاهدتي لهذا المثل ، وإليكم المثل : بعد إنتهاء دورة المؤتمر الإسلامي أعدت حكومة الباكستان ، رحلات وسفرات لأعضاء الوفود لمختلف أرجاء باكستان ، وكان من نصيبنا السفر إلى كشمير الحرة « مظفر آباد » وتوجهنا بتوفيق الله إلى هذه الأرض الطيبة وكنا أربعة نفر أنا والشيخ أمجد الزهاوي عن العراق وفقيد الإسلام الاستاذ مصطفى السباعي عن سورية رحمه الله وأسكنه الجنة والوجيه الكريم عبد العزيز العلي المطوع عن الكويت ، وبعد سفرة طويلة وممتعة وصلنا إلى راولبندي ومنها توجهنا إلى تلك الربوع الخضراء في كشمير الغنية بمناظرها الجميلة وخيراتها الوفيرة ، وجبالها الشماء ، ومن أطراف جبالها شهدنا جبال هملايا الساحقة التي تناطح السحاب وتردى بالغمام وتعمّ ، وكشمير مفتاح باكستان وفيها الزرع والضرع

ومنها تتدفق أنهر باكستان فهي روح باكستان وهي بالنسبة للباكستان كقضية فلسطين بالنسبة للعرب ، وهما بالنسبة لكل مسلم قضيتان إسلاميتان ، وقضية عمان قضية إسلامية ، وقضية الجنوب العربي قضية إسلامية وهكذا فجميع القضايا تخص المسلمين أجمعين فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

وفي سفح جبل من جبال كشمير الخضراء أقامت لنا الوحدة العسكرية الباكستانية المرابطة هناك أمام خط العدو ، أقامت حفلة شاي عصر يوم وصولنا وبعد استراحتنا وجلوسنا مع الضباط المؤمنين كان موضوع فلسطين الحديث الأول في الجلسة وبعد نقاش قصير ، وقف رئيس الوحدة العسكرية وكان برتبة مقدم « بكباشي » وكان مغضباً عليه آثار الحزن والتألم وسألنا سؤالاً نحن العرب الأربعة شعرنا معه بشيء من التأنيب المر ، والحسرة والألم لقد وقف على المنضدة وفي يده قلم وأمامه ورقة ورسم خريطة مصغرة للبلاد العربية ثم قال لنا مشيراً باصبعه ، فلستين ، وأشار إلى قلب الخريطة ثم قال : ايجبت « مصر » سورين « سورية » سؤودين « السعودية » وهو يشير باصبعه على كل بلد من البلاد بفلسطين ، وفلسطين في القلب ثم قال والدمع محتبس في عينيه وقد أحمر معهما وجهه المشرق بالإيمان ، فكيف تضيع منكم ؟ وكيف ينتصر عليكم أخس خلق الله وأنتم أشرف أمة أخرجت للناس كيف تذهب منكم وهي أمانة للإسلام في أعناقكم أيها العرب ، ادعونا لنتوجه إليكم ولنقاتل إلى جانبكم اطلبونا من حكوماتنا فقد احترقت قلوبنا لذهاب قبلتنا الأولى ، بالله عليكم أيها العرب إحفظوا شرف الإسلام وهو أمانة الله وأمانة المسلمين في أعناقكم أيها العرب أنتم أئمتنا وقادة المسلمين والعالم الإسلامي ينظر إليكم بعين التقديس والإجلال والإكبار فلا تخيبوا ظنه فيكم .. ثم جلس وكاد أن ينفجر بالبكاء ولكنه ملك نفسه فحبس دمعه ولكن التأثر كان يبدو على كل عضو من أعضاء جسده ويعلم الله بأنني شعرت بالخجل والأسف المر وحز في نفسي الألم في حينها إذ

أرى هذا البطل المسلم وهو رابض أمام عدو غادر غاصب قد خرب ديارهم وقتل أطفالهم ونساءهم في كشمير وذبح فيها أكثر من نصف مليون مسلم ومسلمة ولم يتحرك فينا عرق . ولم يرتفع لنا صوت في نصرة قضيتهم العادلة .

ومع كل هذا يقف هذا المسلم ليبكي فلسطين ، ويشتاق للجهاد فيها ، ويؤنب أهلها على تقصيرهم وتفريطهم في ضياعها .

وعندما شعرت بفداحة الخسارة في تحويل قضية فلطسين من قضية إسلامية مقدسة ، إلى قضية عربية خاصة . وهذه أحبولة من أحابيل المستعمرين نجحوا فيها علينا وحولوا أنظارنا من سمائها العالية إلى الأرض الواطية .

لقد قرأت لبعض الكتاب الأفاضل أن قضية فلسطين بوضعها الحاضر لا تحل إلا بمعجزة ، وقد عرفنا أن البشر لا يصنع المعجزات ، ولكن الذي يصنع المعجزات الباهرات هو الله عز وجل ، فاذا أردنا بحق معجزة السماء ، فلنرجع إلى الله خالق المعجزات وصانع المدهشات المذهلات ،ومبدع الأرض والسموات فلنرجع إلى الله وحده هو القاهر فوق عباده وهو الذي ينصرنا ولا ناصر لنا سواه ، ونصره لنا محقق ، ووعده مصدق فإذا صدقنا النية وأخلصنا لله جهادنا جاءنا النصر المبين : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

فالعزة معقودة بنواصي الإيمان ، والفوز معلق بأهداب الإسلام ، والنصر مرتبط بأحكام القرآن ومن طلب العز بغير الإسلام أذله الله ، ومن ترك دينه قصمه الله ومن ابتغى الريبة في دينه أهلكه الله .

أيها الفلسطينيون أيها العرب ، الطريق واضحة ، والمسالك بينة فما علينا إلا أن نسير في طريق الحق ، طريق الله طريق الإسلام وماذا بعد الحق إلا الضلال؟؟ وماذا بعد الإسلام إلا الخبال ؟ ووالله ثم والله لن نجد الفوز ، ولن نجد رائحة النصر ما دمنا بوضعنا الحاضر وسوف نبقى نبدىء ونعيد ، ونستعير المبادىء

الوافدة ونزيد ، حتى نهتدي إلى طريق الله ونسير فيه ونعتصم بحبل الله المتين ، وإذا أوينا إلى الله فقد أوينا إلى ركن شديد ، ولن تغلبنا قوة إذا كانت قوة الله معنا ولن يكون الله معنا حتى نكون معه : فانصروا الله ينصركم ، وأذكروه يذكركم واشكروا له ولا تكفرون ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، والحمد لله رب العالمين .

مؤامرات على القدس

إن خيال الحروب الصليبية في أذهان المستعمرين ، واندحار جيوشهم في تلك المعارك الفاصلة بيننا وبينهم . ربى في نفوسهم حقداً دفيناً على الإسلام والمسلمين وعقداً نفسية غريبة وعجيبة ، فهم لا يقر لهم قرار ، ولا يهدأ لهم بال ولا تطمئن لهم نفس ، ما دام قرآن يتلى وكعبة تزار ؟! وقد صرح بذلك غلادستون وغيره من زعماء الغرب ولن ننسى تصريح اللورد اللنبي قائد الحملة الإنكليزية الصليبية الجديدة حينما فتح القدس :

إذ قال : «اليوم إنتهت الحروب الصليبية وعادت القدس لاحضاننا » .

ولما ذهب إلى الشام أولئك القادة الصليبيون زاروا قبر بطل الإسلام ومنقذ الأقصى السلطان صلاح الدين رحمه الله وخاطبه أحدهم قائلاً : قم يا صلاح الدين ها قد عدنا .

ونحن نقول للورد اللنبي : لا يا حضرة اللورد لم تنته الحروب الصليبية بل هي قائمة على قدم وساق ونحن الذين سننهيها بعون الله يوم نطردكم من كل مكان ونتعقبكم في كل ميدان وسيقوم فينا صلاح الدين وأمثال صلاح الدين باذن الله وما ذلك على الله بعزيز .

إن حقد المستعمرين لم يشبعه قيام إسرائيل على أشلاء المسلمين وتشريد مليون نسمة من هذه الأمة الطيبة ولم يكفهم ما صنعوا فينا من الفساد ونكث

العهود وخلق الوعود وطعننا في جميع العهود ، لم يكفهم هذا ولا أكثر منه ، حتى جاءوا اليوم يتآمرون مع حفنة من نصارى الأردن ولبنان أولئك الذين باعوا ضمائرهم للمستعمر وخانوا أمتهم ومواطنيهم وخانوا دينهم قبل أن يخونوا المسلمين ويغدروا بالمسلمين حفنة قليلة ذليلة مهانة حتى من بني جنسها ودينها لأنها تسعى بالفساد ، وتعمل في الظلام مع المستعمر الغاشم جاء الإستعمار اليوم ليجدد المؤامرة على القدس وعلى الأقصى المبارك قبلة المسلمين الأولى ومسرى نبيهم عليه صلوات الله وسلامه ، ويحاول أن يثير فيها الفتن ، وأن يمتلكها على مر الزمن ولقد بدأت المؤامرة وحيكت خيوطها والمسلمون في غفلة وأقام الإستعمار « مجلساً أعلى » بإسم النصارى ووضع له خبراء سياسيين وعسكريين وإقتصاديين ، وجعله يتلقى الأمر من الفاتيكان مباشرة وكان من أهداف هذا المجلس : شراء أراضي القدس من أهلها الشرعيين وسكانها المسلمين ، وقد رصد لذلك أموالاً طائلة خصصها لعملية الشراء وبدأوا بشراء الأراضي الواقعة على منافذ القدس ثم على منافذ المدن الأخرى إذ لم تقتصر مؤامراتهم على شراء الأراضي في القدس بل تعدت إلى غيرها من مدن الأردن كبيت لحم ، ورام الله ، والبيرة وعمان وإربد ومادبا وغيرها ، وحاولوا أن يقيموا على الأراضي المشتراة والواقعة على منافذ المدن ومداخلها حاولوا أن يقيموا عليها كنائس هائلة شاهقة ساحقة في بنائها وفي أشكالها الهندسية ، وضخامتها حتى يخال الناظر اليها أنها ليست مراكز للعبادة وإنما هي مراكز حربية إستراتيجية ، وكذلك صنعوا في بناء المستشفيات والمستوصفات ، ومدارس التبشير ودور الأيتام والمعاهد الدينية ، ثم هم يحاولون أن يقيموا — وقد فعلو في بعض المناطق — قرى محصنة على الطرق الرئيسية التي تربط الأردن ببقية العالم العربي ولو أن يقيموا القرية باسم مشروع لتربية الدواجن أو مشروع للصم والبكم ؟! ثم يتوسع حتى يصبح سكناً لطوائف معينة منهم .

إن وسائل الإغراء المادي التي بذلت في شراء الأراضي عجيبة وغريبة ،

حتى يخال المرء إذا سمع قصص الشراء أنه يسمع أساطير لا يكاد يصدقها العقل ، إن القطعة التي قد تساوي في السوق العادية ألف دينار يبذل السماسرة في سبيل شرائها المستحيل حتى ولو بلغت مائة ألف فهم يشترونها بمائة ألف ولا يبالون ، فالمال موفور والدولارات أكداس من هنا وهنـاك ودول الإستعمار تمدهم والفاتيكان تساندهم .

لقد بدأ التجار والسماسرة يشترون الأراضي بإسم الدين وبإسم الجمعيـات الخيرية ، والناس في غفلة ، والمسلمون في سلامة نيتهم لا يعيرون لهذا الأمر بالاً ، حتى تفاقم الأمر واشتد الخطر . وأحس الناس بالمؤامرة الخطيرة التي تدبر وتحاك ضد القدس الشريف حتى بلغ ما استملكه النصارى ما يقارب ٧٠ بالمائة من أراضي القدس فضج الناس وانتبهت الحكومة للخطر فسنت قانوناً يمنع بموجبه بيع الأراضي في القدس القديمة وصدق القانون من مجلسي النواب والأعيان وبهذه المناسبة كان المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي مجتمعاً في مكة المكرمة في دورته الخامسة وعرضت قضية أراضي القدس عليه فقرر المجلس إرسال وفد من أعضائه إلى الأردن لمقابلة الملك ورجال حكومته وتبليغهم شكر المجلس على القانون الذي سنوه لحماية الأراضي ، وتبليغهم كذلك قلق المسلمين على القدس من أيدي المستعمرين وخدامهم وعملائهم المأجورين لهم ورجاء طلب المزيد من الحيطة والحذر مما يحاك حول القدس من مؤامرات ، وأن يشمل القانون جميع الأراضي في القدس القديمة والجديدة بل وفي الأردن بصورة عامة وكان الوفد يتألف من سماحة الشيخ محمد مكي الكتاني رئيس رابطة العلماء في الشام وسماحة الشيخ عبد الله القلقيلي المفتي العام للأردن ومؤلف هذا الكتاب محمد محمود الصواف ولقد قابلنا المـلك والمسؤولين هناك وبلغناهم قرار الرابطة وكلمناهم بما يجب فوجدنا تجاوبـاً مشكوراً نرجو أن يوفقوا لتحقيق ما هم عازمون عليه من حماية هذه البلاد التي هي أمانة الإسلام في أعناقهم في هذا العصر .

ولقد أصدر سماحة المفتي العام للأردن الشيخ عبد الله القلقيلي فتوى شرعية يحرم بموجبها بيع أراضي القدس وما جاورها إلى الأجانب وهذه الفتوى الشرعية كانت رداً على المؤامرات الخطيرة الطويلة والمخططات البارعة التي تنفذ في القدس وضواحيها بل وفي الأردن كله منذ سنوات النكبة وحتى الآن

وبعد زيارة « البابا » للقدس لاحظ المطلعون من أهالي القدس وغيرهم أموراً غريبة تحدث لا عهد لهم بها من قبل هذه الزيارة .

١ ــ فقد كثرت المؤسسات الخيرية المرتبطة بمراكز أجنبية وقامت بإنشاء سلسلة من مشاريع الملاجىء والمستوصفات والخدمات الصغيرة ولوحظ أن هذه المؤسسات كلها ركزت أعمالها في منطقة القدس .

٢ ــ إنبثقت فجأة مؤسسات ذات أسماء مختلفة حرصت على شراء وإستئجار مزيد من الأراضي لإستعمالها للخدمات فبدأ الإتحاد اللوثري والمؤسسات الكاثوليكية والبعثة البابوية والمؤسسات البلجيكية بالعمل بسرعة .

٣ ــ إزداد عدد رجال الدين بصورة مدهشة وغريبة جداً إذ وصل ــ على ما يقال ــ عدد الأعضاء المقيمين في دير اللاتين إلى سبعمائة رجل .

٤ ــ وقيل أن البابا لدى زيارته للقدس أمر بصرف خمسين مليون دولار لهذه الأغراض .

ومعنى هذا أن الصليبية عادت إلى القدس تحاول أن تسلبها من المسلمين لتسلمها إلى ربيبتها وصنيعتها إسرائيل باسم التدويل أو باسم الوثيقة التي أصدرها المجمع المسكوني وبرأ فيها اليهود المجرمين ، وإذا أضفنا إلى هذا ما قامت به روسيا السوفيتية من بيع بعض ممتلكاتها في القدس المحتلة إلى إسرائيل مقابل بضعة ملايين من الدنانير سلمتها إسرائيل إلى روسيا أو بالأحرى دفعتها أمريكا خادمة إسرائيل المطيعة إلى الإتحاد السوفيتي مقابل تنازله عن بعض ممتلكاته لدولة العصابات .

فهل بعد هذا شك في أن هناك مؤامرات ومخططات حيكت وتحاك ضد القدس العربية المسلمة ، وهل سيفيق المسلمون وينتبهون إلى ما يحاط بهم من مخاطر في كل مكان ، خاصة في هذه الأرض المباركة والتي بارك الله حولها وجعل فيها الأقصى المبارك وأنزل قوله تعالى .

«سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير» .

الجيش المريمي .. ؟

وهذه خطوة أخرى ، ولعبة جريئة ومخطط تشم منه رائحة الإجرام المبيت ضد الإسلام والمسلمين في أعز بقعة من بقاعهم وأقدس منزل من منازلهم في القدس الشريف والأقصى المبارك إنها مؤامرات الإستعمار تحاك خيوطها هناك وتنفذ هنا بأيدي الخونة والعملاء من أذناب الإستعمار ورجاله الأشرار .

لقد قام الإستعمار بالتعاون مع بعض النصارى في الأردن من الخارجين على قومهم ووطنهم والخائنين لبلادهم والمنكرين لجميلها عليهم قاموا بتشكيل قوات عسكرية مسيحية بإسم « منظمة الجيش المريمي » وهي تشبه قوات « الماليشيا » وشكلوا هذه القوات تحت إشارة كشافية ليخفوا مؤامراتهم تحت إسم الكشافة .

وهذه المنظمة الخطيرة قيادتان في الضفة الشرقية مركزها « عمان » وفي الضفة الغربية ومركزها « القدس » ولكل قيادة مركز حربي أعلى ، وقد بلغت قوات الجيش المريمي – على ما يذكر المطلعون – ما يقرب من الخمسة عشر ألف جندي ، ولهم دستور ومجلة شهرية تحمل إسم « مجلة الجيش المريمي » تطبع في لبنان ونظراً لمقالاتها المسمومة الحاقدة المثيرة وبعد إطلاع الحكومة الأردنية عليها فقد منعت الحكومة الأردنية دخولها للأردن .

ولهذا الجيش قادة عسكريون أكثرهم تربى في أحضان كلوب ، وتتلمذ على هذا الإستعماري الخبيث وإننا نمسك عن ذكر أسمائهم وهم معروفون لدى الأردن حكومة وشعباً ، كما لهذا الجيش قسس روحانيون عينوا فيه كمرشدين وهم من الضالعين مع الإستعمار والممثلين له في أرض الإسلام .

ولقد نشرت مجلتهم مقالات مثيرة داعية للفتنة وإشعال النار بين المسلمين والمسيحيين وهذا ما يريده الإستعمار ويسعى جاهداً وراءه ، ليدس أنفه باسم الأقليات المسيحية .

وهذه بعض العناوين لتلك المقالات المثيرة : « القدس عاصمتنا المسيحية » « آن لجيشنا أن يخلص البلاد من أعدائه » « ليس لغير المسيحيين حق في هذه الديار » .

ويقال أن آخر نشرة من « مجلة الجيش المريمي » من قبل المرشد العام « البرتس غوري » تقول : آن لجيشنا بعد أن قويت قواه أن يبرز لرفع علم — مريمي — على أرض المسيحية ويقيم نظام دولتها » .

يظهر من هذه التصريحات أن هذه الشرذمة من نصارى الأردن الّتي تتعاون مع الإستعمار وأنا على شبه اليقين بأن عقلاء النصارى في الأردن ضد هذه النزعة الإنفصالية الخطيرة الّتي تحلم بقيام دولة نصرانية لتحمي ظهر إسرائيل وتتعاون مع إسرائيل ضد الإسلام والمسلمين ، ولا شك أن هذه المرحلة هي آخر مراحل الغزو الصليبي الغادر الحاقد ، ويجب على المسلمين جميعاً شعوباً وحكومات أن ينتبهوا إلى خيوط هذه المؤامرة الدقيقة ويعملوا جميعاً على تمزيقها وسحقها في مهدها قبل إستفحال أمرها وتطور مستقبلها .

والأعداء بمثل هذا يكيدون للعرب وللمسلمين ويضعون الألغام في طريقهم لإشعال نار الفتنة هنا وهناك حتّى يصفو الجو لقرة عين الإستعمار الأمريكي .

إسرائيل الّتي تلعب في أمريكا وتحرك سياستها صوب مصالحها ومنافعها ،

وهي غافية أو نائمة أو ميتة لست أدري ؟! ولعل العكس كذلك فإسرائيل قدم الإستعمار في ديارنا وهو يهدد بها ويثيرها متى شاء كمن يملك كلبة مسعورة يهدد الآمنين ويطلقها على السائرين وهي الطيعة الأمينة والخادمة الرجيمة .

فعلى المسلمين أن يدركوا جميعاً مدى خطورة هذا الغزو الصليبي الأعمى الرهيب الذي بات يهددهم جميعاً وعليهم أن ينظروا إلى الأردن نظرة أخرى جدية تعمل على تدعيمه وتقويته وهذا البلد يرابط على حدود تمتد أكثر من ستمائة كيلومتر أمام عدو غادر ، وخصم فاجر تسنده قوى الشر من الشرق والغرب ويربض في أرضه قليل من الخصوم الذين كشفوا عن نواياهم وأظهروا بعض خباياهم ، وما تخفي صدورهم أكبر وعلينا جميعاً أن ندرك حقيقة المعركة بيننا وبين خصومنا جميعاً وأنها معركة الإسلام فمن قصر فيها فالويل له والله مع المتقين : ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز .

وإنني قد كتبت ما كتبت عن هذا الجيش المريمي وأنا على يقين من أن يقظة الحكومة الأردنية والجيش الأردني الباسل سوف لا يتركان مثل هذا الجيش أن يرفع رأسه أو يتحرك للشر والفساد والله مع المؤمنين .

المستشرقون

ليس من العدل ولا من الحق أن نقول : إن جميع المستشرقين الذين عنوا بالدراسات الإسلامية قد أبرزوا أحقادهم ضد الإسلام ، وإن كانت السمة الغالبة على تفكير معظمهم هي محاولته الدس وفتح منافذ يتسرب منهاالطعن في الفكر الإسلامي ، والتهوين من شأن الثقافة الإسلامية ، والحضارة الإسلامية ومن ثم من شأن الإسلام ، وقد يصل الغلو والحقد ببعضهم إلى درجة النيل من الإسلام عقيدة وشريعة ، للتشكيك في صحة نسبته إلى السماء .

ومؤلفات المستشرقين من الكثرة بحيث لا تعد ولا تحصى ، ولا سيما مـــا تناول منها الفكر الإسلامي ، والتراث الإسلامي والحق أن بعض هذه المؤلفات الإستشراقية قد أدى دوراً لا بأس به في تعميق التفكير في بعض القضايـــا والبحوث الإسلامية كما فتح مسالك للجد الهادف وهيأ لنا أسباب الدفـــاع المشروع عن قضايانا الفكرية ، ما كنا نهتم لها لولا أمثال كتابات هؤلاء المستشرقين .

ولكن البقية الباقية من المستشرقين الحاقدين فقد نفثت سموماً في التفكير الإسلامي الحديث أقل ما يقال عنها : إنها مزيج من التعصب والحقد والهوى الأعمى المضل .

وهي التي أثرت في نفوس الكثير من شبابنا المثقف وانحرفت به عن دينه القويم إلى إتباع الهوى ، وأقوال هؤلاء الحاقدين .

ومن أعلام المستشرقين:

غوستاف لوبون ـ كوسان دي برسيفال ـ نولدكه ـ كارادي‌فو ـ سلديو ـ بروكلمان ـ درمنجهم ـ موير ـ أرفنج مرجيلوث ـ جولد تسيهر ـ لا منس ـ سبرنجر ـ فون هامر ـ سمرومر ـ مونتجمري واط ـ أربري ـ بلاسكو أبانيز ـ جوزيف مكاب ـ الس ليختنسنارتر ـ مستشرقة‌المانية‌ـ‌سدني فيشر ـ هاملتون جب ـ بكنجهام ـ سافور ـ ليندون هاريس ـ سونلوز ـ ولفريد كانتول سمث ـ ليونارد ياپندر ـ شويترر ـ شبروك وليامز ـ أرنولد توينبي ـ ماسينيون ـ

هذه بعض أسماء أعلام المستشرقين وهناك غيرهم كثير وكثير جداً ، ولكل واحد من هؤلاء مؤلف أو مؤلفات عن الإسلام ، ونظم الإسلام وتاريخ الإسلام ومنهم المنصف ومنهم المجحف يقول الأستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله :

«كل ما اطلعنا عليه من مؤلفات « المستشرقين »المتلاحقة في العصر الحاضر يدل على أن المخلصين منهم فريقان : طلاب المعرفة ، وطلاب العقيدة وقد تجمعهما فئة واحدة يقال عنهم جميعاً أنهم طلاب الحقيقة في عالم العلم لا في عالم الضمير

ثم يقول : وليس بهؤلاء خفاء فيما يكتبون لأنه ينم على مقاصد أصحابه بعد مراجعة يسيرة ، ومنهم من عرفوا بالأمانة العلمية فيما كتبوه عن سائر المطالب العلمية غير الإسلام .

وفيما عدا طلاب العلم يندر الإخلاص في مؤلفات القوم حيثما عرضـــوا

للمسلمين او عرضوا لما اعتقدوه أو تعودوه ، ولكنهم في قلة الإخلاص أو سوء النية أنواع ودرجات »[1] .

هكذا يصفهم هذا العالم الأديب الذي إطلع على المئات من مؤلفاتهم وتحدث عن الكثير منها وهم جميعاً – إلا ما ندر – إذا تكلموا عن الإسلام فقـدوا أعصابهم ونسوا مراكزهم العلمية وغلبهم الحقد والهوى فدسوا وشوهـوا وغيروا ، وبدلوا ، وتحاملوا حتى تكاد تلمس الحقد في كل سطر من كتاباتهم ومع كل هذا ففيهم المنصفون الصادقون الذين ذكروا الإسلام بخير واعجبوا بتاريخ الإسلام ، ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام وترجموا معاني القرآن بأمانة فلهم منا الشكر ونسأل الله أن يهديهم لنور الإسلام ، لنعيش معهم في صعيد عقيدة التوحيد ، ونلتقي بهم في رحاب الله على أخوة الإسلام في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

---

١ – راجع كتاب « ما يقال عن الاسلام » للعقاد ص ٨ .

القاديانية...

هذه فرقة أخرى أنشأتها يد الإستعمار ووضعت لها المخطط الجهنمي الخبيث أخرجتها به من الإسلام وجعلت منها مطية حقيرة وعميلة ذليلة لمصالح الاستعمار ، وخرجت بها على الإسلام لتهدم بنيانه وتنقض أركانه ، فكان القاديانيون أكفر وأخس جماعة ربتها يد الإنكليز الغادرين أيام احتلالهم للهند ولا تزال هذه الطائفة الكافرة تعيث في الأرض فساداً وتسعى جاهدة لحرب ومكافحة الإسلام في كل ميدان، خاصة في أفريقيا،ولقد وصلتني رسالة من يوغندا بأفريقيا الشرقية ومعها كتاب «حمامةالبشرى »وهو من مؤلفات كذاب قاديان أحمد المسيح الموعود والمهدي المعهود بزعمهم وقد وزع منه الكثير هناك وهو مليء بالكفر والضلال .

والرسالة التي وردتني من أحد كبار الدعاة الإسلاميين هناك يقول فيها : «لقد دهانا ودهى الإسلام من القاديانية شيء عظيم لقد استفحل أمرهم جداً ونشطوا كثيراً في دعايتهم وينفقون أموالاً لا تدخل تحت الحصر ، ولا شك أنها أموال الإستعمار والمبشرين بل بلغني نبأ يكاد يكون مؤكداً أن هناك جمعية تبشيرية قوية مركزها أديس أبابا عاصمة الحبشة وأن ميزانية هذه الجمعية ٣٥ مليون دولار وأنها متركزة لمحاربة الإسلام » .

هكذا يتعاون القاديانيون الكفرة مع أعداءالإسلامفي هذاالعصرليحاربوادين اللهودعوةالتوحيد ويقفواإلى جانب الإستعمار والمستعمرينقاتلهم الله وأخزاهم.

حقيقــــة القاديانيــــة

يقول الأستاذ المجاهد الكبير الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي أمدّ الله في حياته وجزاه عن جهاده خير الجزاء . يقول في أول كتابه « القادياني والقاديانية » :

« لقد ظهرت الديانة القاديانية في آخر القرن التاسع عشر المسيحي في الهند بعد إستقرار الحكم الإنكليزي فيها ، وهي ثورة على النبوة المحمدية — على صاحبها الصلاة والسلام — وعلى الإسلام ، ومؤامرة دينية وسياسية ، إن وجد لها نظير في الخطر والضرر على الإسلام ففي الحركة الإسماعيلية الباطنية التي تولى كبرها عبيد الله بن ميمون القداح في القرن الثالث الهجري وأشك أنها بلغت مبلغ الأولى — القاديانية — في اصالة الفساد ودقة المؤامرة ومعاداة الإسلام .

وتبنتها الحكومة الإنكليزية واحضنتتها وساعدتها العوامل الإجتماعيــة والسياسية والفكرية الكثيرة التي توفرت عصر ظهورها فانتشرت على بعدها من الإسلام وأصبحت طائفة كبيرة يحسب لها الحساب ، وأصبحت (قاديان) مركز دعوة ودعاية وسياسة يدين لها ، ويؤم شطرها بعض كبار المثقفين — الثقافة العصرية — ورجال الدولة ولا يرى نشاطها إلا في المناظرات ، وإثارة الشكوك والشبهات في المسلمين وتأييد السياسة الإنكليزية ونشر الدعاية لعقيدتها الخاصة في الهند وخارج الهند ثم قال حفظه الله :

وقد كونوا إمارة حرة في بنجاب تسمى « الربوة » وهي مستعمرة قاديانية لا يوظف فيها إلا القادياني ويمكن أن تشبه الربوة في باكستان بإسرائيل في فلسطين وكلاهما جاثم على صدر المسلمين وقائم منهم بالمرصاد .

ثم قال : وأطبق العلماء على تضليل القاديانيين وتكفيرهم وأصبح ذلك كلمة إجتماع لم يشذ منها الا شاذ وأفتوا وألّفوا في ذلك مؤلفات كثيرة وأصدرت

مراكز الفتوى فتاوي صريحة بكفرهم وارتدادهم عن دين الإسلام ، وأصدرت محكمة بها ولبور سنة ١٩٣٥ م بعد « مناقشة طويلة دامت عامين كاملين واشترك فيها كبار علماء أهل السنة وكبار علماء القاديانية حكمها بكفـــر القاديانيين ، وعدم صحة نكاح المسلمة بالقادياني ». إنتهى .

وكذاب قاديان المرزا غلام أحمد العميل الإستعماري المخلص يفخر بخدمته وخدمة أسرته العريقة في خدمة الإنكليز ومناصرتهم ولا يخجل من أحد إذ يصرح فيقول : لقد أقرت الحكومة بأن أسرتي في مقدمة الأسر التي عرفت في الهند بالنصح والإخلاص للحكومة الإنكليزية ، ودلت الوثائق التاريخية على أن والدي وأسرتي كانوا من كبار المخلصين لهذه الحكومة من أول عهدها ، وصدق ذلك الموظفون الإنكليز الكبار .

وقد قدّم والدي فرقة مؤلفة من خمسين فارساً كمساعدة للحكومـــة الإنكليزية في ثورة عام ١٨٥٧ م وتلقى على ذلك رسائل شكر وتقدير من رجال الحكومة ، وكان أخي الأكبر غلام قادر بجوار الإنكليز على جبهة من جبهات حرب الثورة » .

عن كتاب القادياني والقاديانية صفحة ١٧ .

مرحى ثم مرحى لك أيها الخادم الأمين للإنكليز المستعمرين الذين كانوا وما يزالون يمدونك ويمدون أتباعك الكفرة بالقوة والتأييد والمال الوفير .

وما دمتم أعداء الإسلام فأنتم قرة عين الإستعمار ورجال الإستعمار في كل مكان .

ورحم الله شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال فقد كان من أشد خصوم هذه النحلة الضالة الكافرة وقد صرح هذا الفيلسوف المسلم : بأن القاديانية أبعد عن الإسلام من السيخ متعصبي الهنادك ، وقد جعلتهم الحكومة الإنكليزية أقلية غير هندوكية رغم ما بين هذه الأقلية والهنادك من صلات إجتماعية ودينية وثقافية وأنهم يتناكحون فيما بينهم بينما القاديانية تحرم مناكحة المسلمين

ومصاهرتهم وقد حظر عليهم مؤسسهم كل إرتباط بالمسلمين وقال في المسلمين (إن المسلمين لبن فاسد ونحن اللبن الطازج) .

هكذا يزعم هذا الدجال وهذا ما يريده الإستعمار تشتيت المسلمين وتفريق كلمتهم وتمزيق وحدتهم وثلم حصونهم من الداخل على أيدي أمثال هؤلاء الكفرة من هذه النحلة الضالة المجرمة .

ومن المؤسف حقاً أن كثيراً من المسلمين لم يفطنوا إلى خطر هذه الجماعة المفسدة ولم ينتبهوا إلى أنها ليست مجرد عقيدة أو طائفة دينية فحسب ، وإنما هي مؤامرة منظمة ومخطط مجرم ضد الإسلام وثورة ماكرة على دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومعاندة لهما ومحادة لكتاب الله وسنة رسوله أنها تزاحم الإسلام في كل شيء وتريد أن تحل محله في العقيدة والفكرة والعاطفة ، وأن تستولي على نصيبه من الطاعة والحب والاحترام والتقديس .. فالقاديانيون يتبجحون بتفضيل الغلام القادياني على أكثر الأنبياء وأولي العزم من الرسل ، ولا تعترف بفرق بين أصحابه وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، إنها تقول بمساواة كذاب قاديان بسيد ولد عدنان ومساواة خلفائه بالخلفاء الراشدين ومساواة بلدة قاديان بمكة والمدينة ، ومساواة الحج إلى قاديان بالحج إلى مكة والمشعر الحرام ، وإلى القراء شيء من أضاليلهم وأباطيلهم فقد نشرت صحيفة الفضل في العدد ١٨٤٨ الصادر في كانون أول ١٩٢٢ م : أن الذي يزور قبة المسيح الموعود البيضاء يساهم في البركات التي تختص بقبة النبي الخضراء في المدينة فما أشقى الرجل الذي يحرم نفسه من هذا التمتع في الحج الأكبر إلى قاديان » .

وجاء في كتاب « حقيقة النبوة » « أن غلام أحمد أفضل من بعض أولى العزم من الرسل » وفي صحيفة الفضل الصادرة في نيسان ابريل سنة ١٩٢٧ : « انه كان أفضل من كثير من الأنبياء ويمكن أن يكون أفضل من جميع الأنبياء » .

وفي نفس هذه الصحيفة : لم يكن فرق بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتلاميذ مرزا غلام أحمد إلا أن أولئك رجال البعثة الأولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية » ومن هرائهم وإفكهم قولهم : لقد قدس الله هذه المقامات الثلاثة مكة والمدينة وقاديان .

وقولهم كما جاء في صحيفة « الفضل » المجلد العشرين عدد ٦٦ الحج إلى قاديان حج ظلي إلى البيت ، وزادت على ذلك صحيفة (بيغام صلح) لسان حال الفرع اللاهوري فنشرت :

« إن الحج إلى مكة بغير الحج إلى قاديان لا يؤدي رسالته ولا يفي بغرضه »

وهكذا نجد هذه الفرقة الكافرة ترشح لنفسها ديناً جديداً له نبيه وأصحابه ، وخلفاؤه ومقدساته وتاريخه وشخصياته ، وتقطع صلة أتباعها ومعتنقيها عن التراث الإسلامي الخالد ، وعن التاريخ الإسلامي الماجد ، وعن منابع الإسلام الأولى ومصادره وتعوض عن كل ذلك بما انتحلته أو إدعته من أماكن نجسة هي مركز العملاء والجواسيس كقاديان عاصمة عش الشيطان ، وتريد أن تساويها بمكة المكرمة والمدينة المنورة وبرجال أقزام عبيد للأجنبي لا يعرفون غير الغدر والمكر والكفر وبيع الضمائر للمستعمر الكافر يعوضون بهؤلاء الجواسيس الجبناء عن رجال التاريخ الذين هم أطواد الفضائل ومنبع الكمالات وعماليق الهداية والجهاد والبطولات والتضحيات .

جاء في مجلة « الشبان المسلمون » :

« إن القاديانية منبع الفساد والعلة في جسم العالم الإسلامي تنفث في شرايينه وعروقه سموم الخشوع والجبن والتملق والخضوع للمستعمرين الأوروبيين والركون إلى الظالمين الذين أفسدوا في البلاد وملأوا أرض الله جوراً وظلماً واستعبدوا المسلمين .

إن القاديانية تنشر في العالم الإسلامي الفوضى الفكرية وعدم الثقة بمصادر

الإسلام الصحيحة ومراجعه وسلفه وتقطع صلة هذه الأمة عن ماضيها وعن خير أيامها وأفضل رجالها ، وتفتح الباب للأدعياء والمتطفلين والمتنبئين على مصراعيه وتسيء الظن بقوة الإسلام وحيويته وإنتاجه وتؤيس المسلمين من مستقبلهم ...

إن القاديانية تصرف عناية المسلمين عن المسائل العالمية وإقامة الوصاية العادلة على البشرية التي هيأ الله هذه الأمة لها الى مسائل تافهة تربط هذه الأمة العظيمة بعجلة احدى الأمم الأوروبية التي نشأت هذه النابتة في حضانتها وبوحيها .

إن القاديانية قد هبطت بمستوى الإنسانية الى الحضيض بتتويجها مثل غلام أحمد في نذالته وسخافته وترشيحها اياه لمنصب النبوة العظمى، بقدر ما رفع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم مستوى الإنسانية ، وزاد في قدرها وشرفها بنبوته الشاملة الرحيمة فكانت القاديانية جناية على الإنسانية كلها ، واساءة الى كرامة الإنسان لا تغتفر ولا تنسى في التاريخ » انتهى .

هذا قليل من كثير عن هذه الفرقة الضالة الكافرة ويكفي منها قولها الآثم « إن التفريط في جنب الإنكليز كالتفريط في جنب الله » فهل بعد هذا الضلال من ضلال ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!

وهكذا تفعل المؤامرات والمخططات الإستعمارية تخلق من مثل هـؤلاء الأقزام فرقة تطوف هنا وهناك وتنفق الملايين لتحمل معها أضاليلها وأباطيلها وكفرها البواح ، فليحذر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها هؤلاء الكفرة الفجرة .

وبهذه المناسبة أود أن أذكر بالشكر أن الحكومة السعودية وفقها الله بعد أن علمت بالفتاوى التي صدرت بتكفير هذه الفرقة فقد عممت لسفاراتهـا وقنصلياتها في العالم الإسلامي بعدم السماح لأي قادياني بدخول المملكة سواء أيام الحج أو في غير أيام الحج باعتبار أن هؤلاء كفار مرتدون بإجماع

المسلمين ولا يجوز مع هذا دخولهم إلى مكة والمدينة المطهرتين زادهما الله بركة وتقديساً .

ولقد ذكرت هذا بالذات لينتبه المسلمون في كل مكان إلى خطر هؤلاء الضالين ، وهم يدّعون الإسلام ويتمشدقون باسم الإسلام ويظهرون الدعوة للإسلام ، وهـــم أعداء الإسلام وخصوم الإسلام والمرتدون عن الإســـلام بإجماع علماء الأمة في كل مكان ولقد صدرت الفتاوى بكفرهم من الهنـــد وباكستان ومصر وسورية والعراق وغيرها من ديار الإسلام وقانا الله شرهم وجعل كيدهم في نحورهم وجعل تدميرهم في تدبيرهم والله المستعان .

البهـــــائـــيـــــة

وهذه فرقة أخرى كافرة ، وهي قرينة أختها القاديانية وقد قامت القاديانية في الهند أما البهائية فقد نشأت في فارس وترعرعت في أحضان الكفرة من المستعمرين وأعوان المستعمرين وبلبلت الأفكار وأشغلت الناس عند ظهورها بترهاتها وفجورها وضلالها وقد أعلنت صراحة انتهاء حكم الإسلام بقيامها وقيام زعيمها وكذابها الملقب (بالباب) وهو بزعم أتباعه الكفرة أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين بل هو كما يقول جنوده — جنود إبليس — (أتم وأكمل هيكل بشري ظهرت فيه الحقيقة الآلهية وإنه هو الذي خلق كل شيء بكلمته والمبدأ الذي ظهرت عنه جميع الأشياء، وهو حقيقة كل نبي ورسول وقديس) .

ولقد قال هذا الأفاك عن نفسه : كنت في يوم نوح نوحاً وفي يوم إبراهيم إبراهيم ، وفي يوم موسى موسى ، وفي يوم عيسى عيسى ، وفي يوم محمد محمداً إلى آخر هذا الهراء .

ولقد الغى الباب الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والجماعة إلا في الجنازة وأباح — عليه اللعنة — نكاح الأخت من أخيها وإلى القراء ملخصاً عن فكرتهم كما جاء في خطبة إمرأة كافرة فاجرة كان لها وجمالها دور خطير في نشوء هذه النحلة الكافرة واسمها « قرة العين »

ولقد أقام البابيون مؤتمراً عاماً في « بدشت » وهي بلدة فارسية تقع بين خراسان ومازندران ، ودعوا في هذا المؤتمر إلى استماع البشائر التي وردت من قبل الإمام المنتظر الذي ظهر ، وكل ما أرادوه من هذا المؤتمر هو نسخ البابية للشريعة الإسلامية ، وفي خلال المناقشات اندفعت « قرة العين » ولهذه المرأة تاريخ أسود في جبين البهائية نمسك هنا عن ذكره لقذارته ونجاسته .

وقد اندفعت هذه المرأة مسفرة تتلهب أنوثتها الفاجرة وتقتل بفتنتها الطاغية فاعتلت منصة الخطابة وقالت :

(أسمعوا أيها الأحباب والأغيار ، اعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب ، وأن أحكام الشريعة الجديدة البابية لم تصل إلينا ، وإن اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو ، وفعل باطل ولا يعمل بها بعد الآن إلا كل غافل وجاهل

إن مولانا البـــاب سيفتح البلاد ، ويسخر العباد وستخضع له الأقاليم السبع المسكونة وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة حتى لا يبقى إلا دين واحد وذلك الدين الحق هو : دينه الجديد وشرعه الحديث وبناء على ذلك أقول لكم : وقولي هو الحق لا أمر اليوم ولا تكليف ولا نهي ولا تعنيف فاخرجوا من الوحدة إلى الكثرة ومزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم بأن تشاركوهن بالأعمـــال ، وتقاسموهن بالأفعال واصلوهن بعد السلوة ، وأخرجوهن من الخلوة إلى الجلوة فما هن إلا زهرة الحياة الدنيا وإن الزهرة لا بد من قطفها وشمها ، لأنها خلقت للضم والشم ، ولا ينبغي أن يعدأو يحد شاموها بالكيف والكم فالزهرة تجنى وتقطف وللأحبـــاب تهدى

وتتحف، وأما ادخار المال عند أحدكم وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال فهو أصل كل وزر وأساس كل وبال ساووا فقيركم بغنيكم ولا تحجبوا حلائكم عن أحبابكم إذ لا ردع الآن ولا حد ولا منع ولا تكليف ولا صد فخذوا حظكم من هذه الحياة فلا شيء بعد الممات »[1] .

هذه هي البهائية وهي شيوعية في الأموال والنساء وهي عود إلى المجوسية الأولى . وجزى الله علماء ايران كل خير فقد وقفوا لهـــا بالمرصاد وأصدروا الفتاوى بكفر أتباعها وحاربوها في كل ميدان وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الأمين إذ يقول : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله » .

وقد قبرت هذه النحلة الضالة ولم يبق لها إلا بعض الأتباع التافهين من الذين غضب الله عليهم فأصمهم وأعمى أبصارهم فهم في الضلال غارقون ومن الدين مارقون وإلى الشيطان متبعون .

وقد أخزاهم الله في كل مكان ظهروا فيه والحمد لله رب العالمين .

---

١ ــ راجع كتاب البهائية للشيخ عبدالرحمن الوكيل .

الخـــــاتمـــــة

الحمد لله في البدء والختام وله الفضل وله النعمة وهو الكبير المتعال أحمده وأشكره ، وأستغفره وأستهديه ، وأصلي وأسلم على خير خلقه أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين وبعد :

ها هو كتاب (المخططات الإستعمارية) بين يدي القراء . ولله الشكر والمنة على ما أولاني من نعمته في إنجاز وعدي بطبع هذا الكتاب فإن أصبت فيه فمن الله ، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، ورجائي من القراء تنبيهي إلى مواطن الخطأ فيه لاتجنبها قدر المستطاع في الطبعة القادمة بإذن الله وإنني في هذا الكتاب كنت كالطبيب الذي يجب أن يشخص الداء أولاً ثم يصف الدواء ، وقد وجدت من الأمراض ما قد اطلعتهم عليها ، وهي كثيرة ومتنوعة وقد أصيب بها الوجود الإسلامي في كل مكان ومع كل هذه الأوباء التي رجمنا بها خصومنا وبثوا في أوساطنا عدواها ، ونشروا بيننا المكروب الخبيث الذي يحمل معه الوباء والبلاء ، مع هذا كله فقد سكت عن أمراض أخرى خطيرة حرصاً على سلامة هذا الكتاب ، وأملاً في نشره ليضل إلى أيدي المسلمين ، ولعل الله أن ينفع به ، ويهيء للمسلمين من يجدد لهم أمر دينهم ويقودهم إلى الشاطىء الأمين شاطىء الأمن والسلامة والاستقرار تحت ظل الإسلام وفي راية القرآن .

وما سكت عما سكت عنه خوفاً من أحد ولا كتماناً للحق في معرض البيان، ولكنها المصلحة الإسلامية التي تقتضي الحكمة وتتدرج في الإصلاح والعلاج ،

وتسكت عن أمور حتى تواتيها الفرصة وعندها تجهر بالحق وتصدع بما تؤمر .

لقد كان النبي صلوات الله وسلامه عليه يصافح أقواماً وقلبه يلعنهم وكان عليه الصلاة والسلام يصلي إلى الكعبة أيام الدعوة الأولى وفي الكعبة أكداس من الأصنام والأوثان بلغت أكثر من ثلاثمائة صنم ومع كل هذا فلم يزلها ولم يحطمها إلا بعد الفتح الأكبر يوم أعز الله جنده وصدق وعده ونصر عبده .

وفي ديار الإسلام اليوم مخططات إستعمارية خطيرة أبطالها لا يزالون على مسرح السياسة والقيادة فلم أحاول التطرق إليها أو التعرض لها حباً في عدم إساءة العلاقة بين بلد إسلامي وآخر وأملاً في أن يصلح الله رجالها ويكفينا وإياهم شر أعداء الإسلام وخصومه ورجاء أن يصل الكتاب إلى أكبر عدد ممكن من ديار الإسلام .

وحسبي ما ذكرت فيه من علل وأمراض ومخططات ومؤامرات . ولو وفقنا إلى اصلاح ما ذكر في هذا الكتاب لكنا — كما كنا — في سالف الدهر . (خير أمة أخرجت للناس) .

وأخيراً أسأل الله عز وجل وهو العليم بما في القلوب أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبل مني وأن يثيبني عليه أجراً حسناً أدخره ليوم الحساب ، وأسأله عز وجل أن يعز الإسلام والمسلمين وأن يجمع كلمتهم على الحق وأن يردهم إليه تعالى رداً جميلا وهو حسبنا وهو ربنا عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير .

« ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن ، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء » .

« رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » .

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحابته ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

رجاء واعتذار وشكر

أيها القراء الكرام :

السلام عليكم ورحمة الله :

ها هو ذا الكتاب بين أيديكم ونرجو أن تكونوا قد ارتحتم لاتجاهه وموضوعاته وإننا رغم الجهود الكبيرة التي بذلت في تصحيحه ، فقد وقع فيه بعض الأغلاط المطبعية ، التي نظن انها لا تخفى على القارىء اللبيب لذا نقدم اعتذارنا وأسفنا لوقوع هذه الهنات الهينات ، ونرجو صفح القارىء وعفوه وتذكيره لنا ان رأى ما يوجب التذكير والذكرى تنفع المؤمنين .

ولقد سقطت كلمتان من صفحة ٦٤ في أول موضوع « مستشرق يتأسف » شوهت الموضوع لذا وجب التنويه عنه ونرجو إضافتها إلى آخر السطر الأول من الموضوع وهي : يتمسك بها مسلموا — الجزائر — جزائر أندونيسيا الخ كما ذكر خطاب القسيس زويمر مرتين في الكتاب ولعل التأويل في ذلك أنه لأهمية هذا الخطاب الذي يجب أن يطلع عليه كل مسلم فقد كرر ذكره في موضوعين من الكتاب .

ولا يفوتني وأنا أنتهي بفضل الله من اخراج هذا الكتاب من أن أذكر بالشكر الجزيل دار الثقافة بمكة المكرمة وعلى رأسها أخي وصديقي الأستاذ الكبير الشيخ صالح محمد جمال على ما بذل من جهد مشكور هو وجميع من معه من موظفين وعمال جزاهم الله جميعاً كل خير والحمد لله رب العالمين .

٢٥ من ذي القعدة — سنة ١٣٨٤ هـ.

٢٧ من مارس — آذار — سنة ١٩٦٥ م.

محمد محمود الصواف

مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

آيات من كتاب الله هي خير ما نختم به هذا الكتاب

قال الله تبارك وتعالى :

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

سورة التوبة ٣٢

وقال عز من قائل في سورة الصف :

ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين .

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .

هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وقال تعالى :

بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون.
سورة الأنبياء ١٧

صدق الله العظيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع

دار الاعتصام
القاهرة ٨ شارع حسين حجازى
تليفون ٣١٧٤٨

رقم الإيداع ١٩٧٩/٢٥٥٢

الترقيم الدولى ٣-١٠-٧٣١٨-٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ شارع نشاطى - شبرا - القاهرة

هذا الكتاب

جيش لا يقهر .. وجدار لا يعبر .. وأمة لا تغلب .. وشعب لا يهاب الموت بل يتمناه ويسعى إليه حثيثاً كأنه يطلب الشهد والطل .. هذا هو الشعب الإسلامي منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

لم يهزم للإسلام جيش ، ولم تنكس له راية ، ولم ينهزم في معركة .. كان المسلمون على بصيرة من دينهم ، وعلى صلة وثيقة بربهم .. لقد انصهروا جميعاً في بوتقة الربانية حتى كانوا كالجسد الواحد ، وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

وهال اليهود والنصارى ، والمجوس والمشركين ، ما وصل إليه حال الأمة الإسلامية من مجد وسؤدد .. وراحوا يفكرون في السر الذي جمع الأشتات المتفرقة ، والأوزاع المتمزقة .. ما هو السر الذي أخرج العرب من ضيق الجزيرة العربية .. فانتشروا يفكرون في العالم الرحب .. في سعادته وشقائه .. ما هو السر الذي يكمن وراء العرب الذين صنعوا هذا الصنيع الذي لم يصنعه أحد قبلهم ؟ !

ثم وصل المشركون إلى السر الرهيب الذي يكمن وراء كل هذا .. إن السر يكمن في دينهم الجديد .. الإسلام .. إذن فليجمعوا أمرهم على هدمه وتقويض بنيانه .. ووضعوا المخططات ، ورسموا المؤامرات .. فكان العمل الدائب على إلغاء الخلافة الإسلامية ، وإثارة النعرات القومية ، والسيطرة الاقتصادية .. والتحكم في الأسواق لامتصاص أكبر قدر من ثروة البلاد الإسلامية ..

واستمرت اجتماعات « المتآمرين » ضد الإسلام ، وإحباك الخطط والمؤامرات على مر السنين .. وفي العصر الحديث كانت هناك اجتماعات في القاهرة سنة ١٩٠٦ ، وفي أودنبرة سنة ١٩١٠ ، وفي لكنو بالهند سنة ١٩١١ وغيرها .. وغيرها .. وهكذا دعا البابا أوربان الثاني في أواخر القرن الحادي عشر المسيحي – القرن الخامس الهجري – إلى عقد مؤتمر للرهبان لدراسة وسائل مقاومة انتشار الإسلام ومبادئه السامية .. إلى أن تم الائتلاف الصهيوني المسيحي لوقف المد الإسلامي والقضاء على كل حصونه .

وفي هذا الكتاب يوضح لنا الداعية الإسلامي الكبير الشيخ محمد محمود الصواف مسيرة المؤامرات ضد الإسلام في مختلف العصور والسنين والتي استهدفت عودة العرب إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام .. قبائل يعدو بعضهم على بعض .. أو يقتل بعضهم بعضاً .

ويوم تشتد الحركة الإسلامية الفتية التي بدأت فصائل المجاهدين فيها الزحف المقدس ، والتي بدأت أصداء انتصاراتها في الآفاق سيستعيد الإسلام مجده من جديد ، وسترتفع راية الحق عالية خفاقة معلنة صيحته الخالدة .. الله أكبر والنصر للإسلام .. الله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ..

دار الاعتصام

١٦٠ قرشاً